

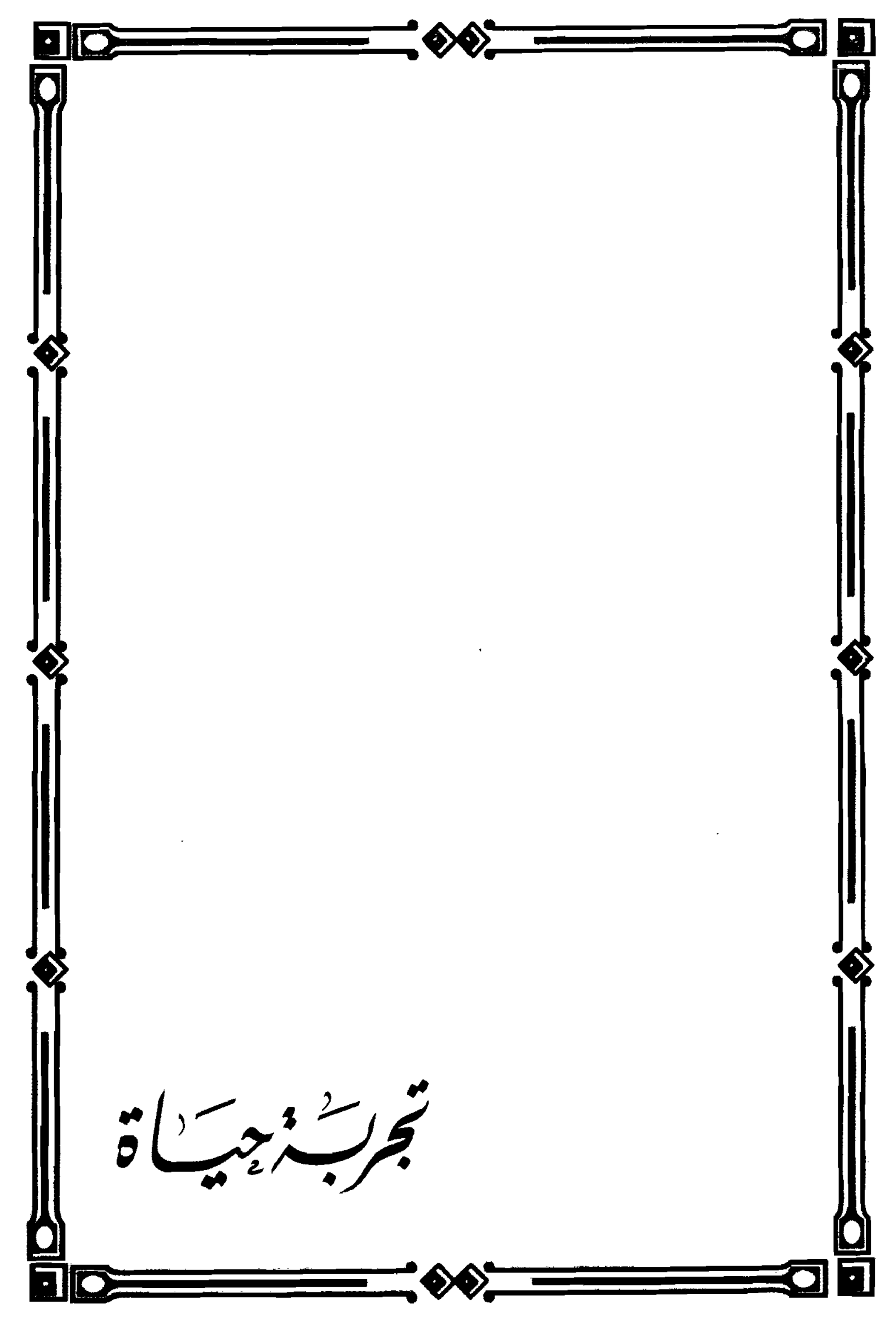


عضو مجلس الشورى و المجلس الأعلى للأوقاف سابقا

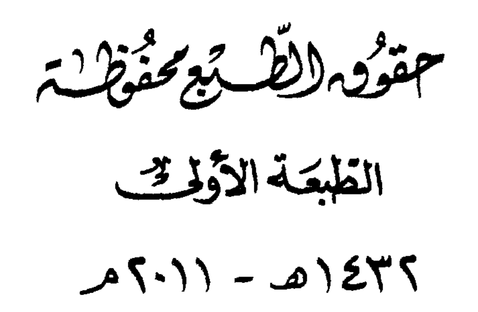
تجربة حياة

دار التدمرية


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



تجربة حياة



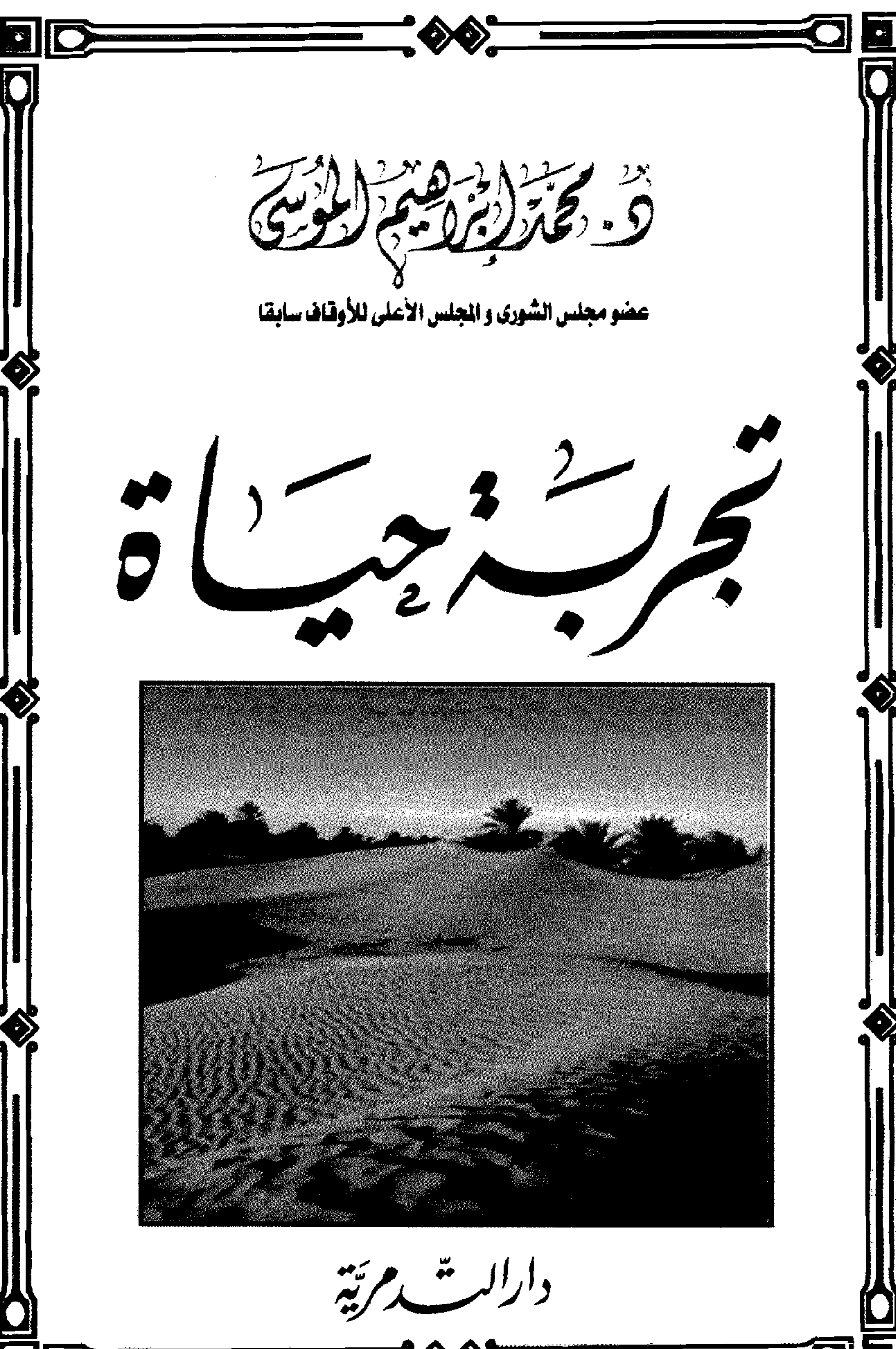
دار التدمرية

الرياض - ص.ب: ٢٦١٧٣ - الرمز البريدي: ١١٤٨٦

هاتف: ٤٩٢٤٧٠٦ - ٤٩٢٥١٩٢ - فاكس: ٤٩٣٧١٣٠

Email: TADMORIA@HOTMAIL.COM

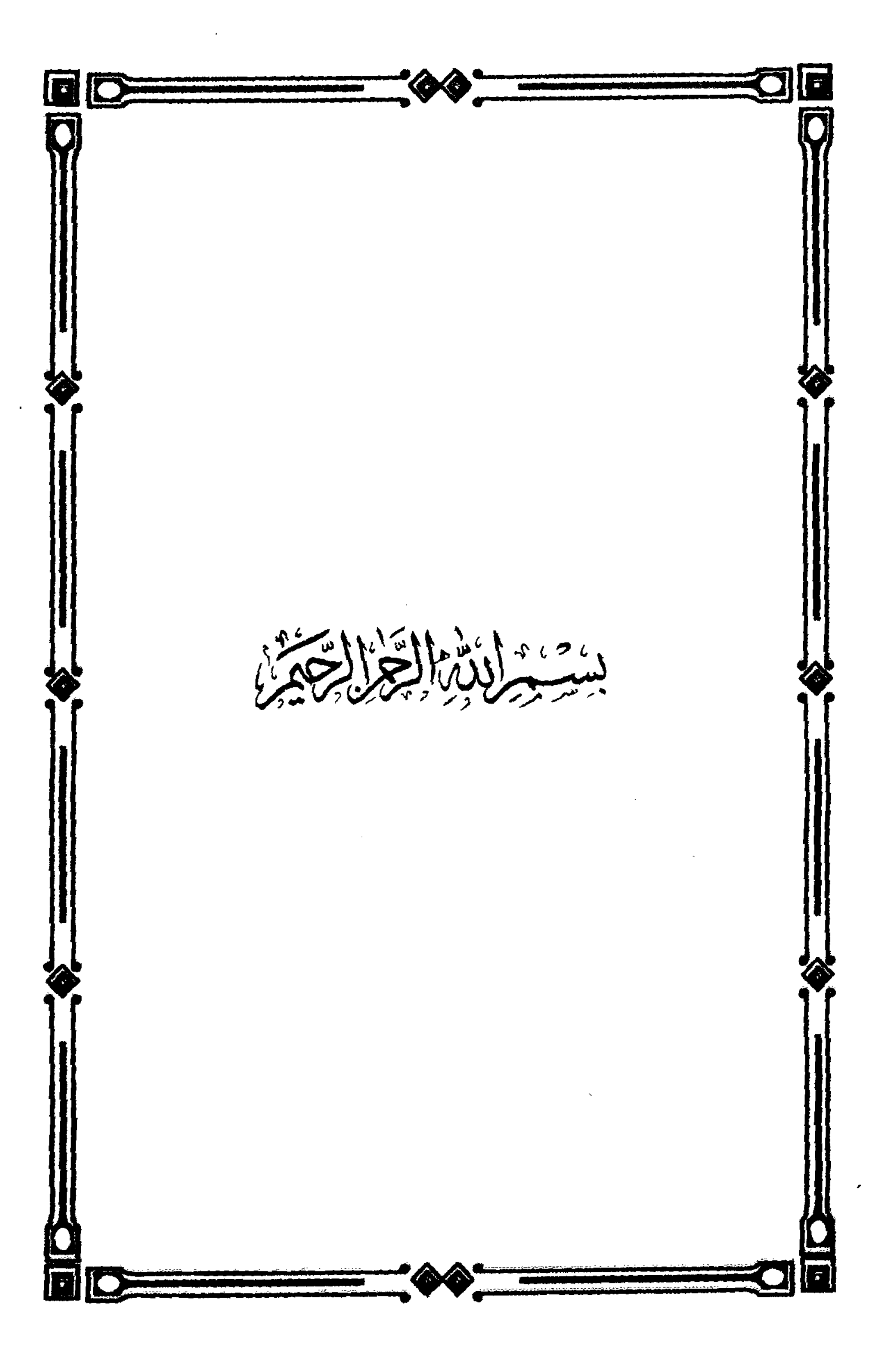
المملكة العربية السعودية



د. محمد إبراهيم الموسى
عضو مجلس الشورى و المجلس الأعلى للأوقاف سابقا

تجربة حياة

دار التدمرية


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله على ما أولانا من النعم ومنحنا من الهبات والكرم، نعمه عظيمة وآلاؤه كثيرة لا تعد ولا تحصى ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

والصلاة والسلام على رسوله المجتبى ونبيه المصطفى الذي هدانا الله به من الضلالة ودلنا إلى طرق الخير كلها في الدنيا والآخرة، وبعد:

فإن نعمة العلم من أعظم النعم التي أنعم الله بها على الإنسان ورزقه العقل والفكر ليعمل ذلك فيما هو أمامه وبين يديه من صفحات الكون والواقع وفيما ألفه البشر من مؤلفات هي خلاصة تجربتهم في هذه الحياة كي يستفيد منها غيرهم ويبنوا على ما جاء فيها من عبر وآيات ودروس ونتائج وعلامات، ولقد بلغت الأمة الإسلامية شأواً بعيداً وكان لها شأن كبير يوم كان الخلف يستفيدون من السلف وما قدموه لهم من تجربة وخبرات حتى كانت الحضارة الإسلامية منارة شامخة في العالم تقدم له كل جديد مفيد فسعدت البشرية بذلك.

إن الإنسان كل إنسان يملك رصيداً جيداً من الخبرات في شأن ما، فلو أن كلاً منهم يقدم ذلك لأولاده ومن يرتبط بهم لاجتمع لدينا رصيد كبير من التجارب والخبرات ولاستفاد منها الأجيال تلو الأجيال بعد

دراستها واستخلاص المفيد للأفراد والمجتمع والأمة.

إنه انطلاقاً من ذلك قمت بتدوين ما تيسر لي من تجارب وخبرات علمية وثقافية وعملية في هذه الحياة، وذلك رغبة في تقديم المفيد مبتدئاً في ذلك بأولادي بنين وبنات وأبناء أسرتي ثم من يرغب الاطلاع والاستفادة لعلهم يجدون فيها شيئاً ينير لهم الطريق ويساعدهم على تحقيق أمانيهم وطموحاتهم، وفقنا الله جميعاً للتزود من العلم النافع والعمل الصالح والاستفادة من تجارب وخبرات الآخرين مما ينفعنا في هذه الدنيا والآخرة إنه على كل شيء قدير.



التمهيد

المولد والنشأة:

ولدت وترعرعت في أسرة مؤمنة يقرأ كل من الوالد والوالدة كتاب الله ويمتثلون أوامره ويجتنبون نواهيه، وكانوا مثالاً للإيمان الصادق والقدوة الحسنة وحب الخير للآخرين وكانت الأسرة تعيش كغيرها آنذاك شظف العيش إلا أنها ليست مجاعة كما كنا نسمع قبل ذلك.

وكانت الوالدة سارة بنت علي مطير البهلال قد قامت حينذاك منذ عام ١٣٧٦هـ قبل افتتاح مدارس تعليم البنات بتدريس البنات القرآن الكريم في بيتها ثم انضمت إليها أختي الكبرى هيا لمساعدتها في ذلك فقد كثر البنات، وكانت الدراسة صباحية ومسائية بعد العصر واستمرت على ذلك رحمها الله إلى عام ١٣٩٢هـ، وتخرج على يديها وابنتها نساء كثيرات تعلمن القرآن الكريم والأدب الحسن.

الحياة التعليمية:

درست في مدرسة المنصورية الإبتدائية في مدينة الزلفي حتى حصلت على شهادة الكفاءة ثم بعدها تابعت الدراسة في دار التوحيد في الطائف منتسباً وكنت أعمل مدرساً للمرحلة الإبتدائية للحاجة المادية وبعد أن تخرجت في دار التوحيد وكنت أحد الطلبة الأوائل بين منتظمين ومنتسبين عندها تركت التدريس وتفرغت للدراسة في كلية الشريعة

بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وانتقلت بعد عام واحد إلى كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض وتخرجت فيها بتقدير ممتاز وعينت معيداً فيها إلا أني رغبت في الالتحاق بالمعهد العالي للقضاء في الجامعة نفسها وتخرجت فيه عام ١٣٩٨هـ بتقدير ممتاز مع التوصية بطبع الرسالة وتداولها مع الجامعات، وكان موضوعها (شركات الأشخاص بين الشريعة والقانون) ثم إني تابعت الدراسة في المعهد وحصلت على درجة الدكتوراه في الفقه المقارن عام ١٤٠٤هـ بتقدير ممتاز مع درجة الشرف الأولى والتوصية بطبع الرسالة وتداولها مع الجامعات وتم ذلك فعلاً في رسائل الماجستير والدكتوراه وكان موضوع رسالة الدكتوراه (الضمان الشخصي الكفالة) دراسة مقارنة بين المذاهب الفقهية الإسلامية ومقارنة ما ورد في القانون في ذلك).

لقد كان الفضل في متابعتي الدراسة حتى الحصول على شهادة الدكتوراه لله أولاً وأخيراً وكان لذلك أسباب:

١ ـ أن أصدقائي ومن التقي بهم كانوا يواصلون الدراسة الثانوية والجامعية وما بعدها وهذا شجعني على إتمام الدراسة من باب المنافسة الطيبة إذ كنت أفكر في نفسي كيف سأكون لو لم أكمل الدراسة وكيف سيكونون فأنا لا أرضى بأقل منهم ومنه يظهر إن الصحبة والصداقة تؤثر في حياة الإنسان العلمية والعملية ولهذا أوجه أولادي ومن يهمه ذلك أن يختار من الأصحاب من يعينه ويدفعه إلى ما فيه خيره ديناً ودنيا.

٢ ـ كنت صغيراً وأحتاج إلى التوجيه في التعليم والتعلم فكان لإسداء أستاذي الشيخ الدكتور. عقيل بن أحمد العقيلي النصح لي بمواصلة الدراسة وتشجيعي والثناء عليّ بحسن الفهم كان له أثر طيب في التوجه لإكمال التعليم وكان لأخي الدكتور عبد الله بن عبد العزيز العضيب أثر حسن في تشجيعي وتهيئة الأسباب لي في المواصلة بدار

التوحيد، فلهما مني جزيل الشكر وخالص الدعاء على ذلك.

الحياة العملية:

عملت مدرساً مدة انتسابي إلى دار التوحيد ثم بعد الجامعة عينت معيداً في كلية الشريعة بالجامعة وبعد تخرجي في المعهد العالي للقضاء وحصولي على شهادة الماجستير في الفقه المقارن عينت قاضياً إلا أني لم أباشر عمل القضاء، وقد تكلمت مع سماحة الشيخ عبد الله بن حميد رَحِمَهُ ٱللَّهُ لأنه كان وقتها رئيساً للمجلس الأعلى للقضاء بطلب إعفائي إلا أنه لم يستجب وقال: إن رغبت إكمال الدراسة للدكتوراه فرغناك، وإن رغبت مكاناً قريباً نقلناك ـ لأني كنت عينت في محكمة الطائف ـ أما الإعفاء فلا.

عندها عملت مديراً لفرع شركة الراجحي المصرفية في الزلفي لمدة سنتين، تعلمت من خلالها التعامل مع الناس ومعرفة الأمور والمعاملات البنكية وأكسبتني خبرة طيبة في هذا المجال، وبعد إعفائي من القضاء عينت رئيساً لبلدية الزلفي ولمدة أربع سنوات، عملت بكل ما أستطيع في تطوير الخدمات البلدية والعناية بمصالح المواطنين مع إخواني منسوبي البلدية وفقاً لما أمر الله وجاءت به الشريعة الإسلامية وتنفيذاً لتوجيه ولاة الأمر بما يحقق الصالح العام وقد استفدت من خلالها تجربة فريدة في فن التعامل مع الجمهور أخذاً وعطاءً، ولذلك فإني أحسب أن من يعمل في القضاء أو البلديات يستطيع معرفة الناس على حقيقتهم كما جاء عن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في رجل قام بتزكية آخر فقال من ضمن ما قال: هل تعاملت معه في بيع أو شراء؟ فقال: لا، قال: إذن أنت لا تعرفه.

لأن التعامل الذي فيه مصالح ومبالغ مادية يبين الرجل على

حقيقته، وأحسب كذلك أن العمل في البلديات يكسب مزيجاً وكثيراً من الخبرات فتكون خدمة سنة فيها عن عدة سنوات في غيرها.

بعد ذلك تم انتقالي إلى منطقة حائل وهي تشمل إحدى عشرة بلدية ومجمعاً قروياً بطلب من معالي الشيخ إبراهيم العنقري وزير البلديات حينذاك رحمه الله، وعملت فيها مدة خمس سنوات مع أخوة وزملاء كانوا مثالاً للحيوية والنشاط حتى أصبحت حائل من أفضل مدن ومناطق المملكة تطوراً وبناء، كل ذلك بفضل الله أولاً ثم بدعم ومساعدة أميرها آنذاك صاحب السمو الملكي الأمير مقرن بن عبد العزيز.

ثم كانت المحطة الأخرى وهي انتقالي إلى جهاز الوزارة بطلب مني وعملت مستشاراً في مكتب الوزير ثم تم تعييني عضواً في لجنة اختيار رؤساء البلديات وتعيينهم وترقيتهم وكلفت بالإشراف على شؤونهم.

ثم في مساء يوم الاثنين ليلة ١/٣/١٤١٦هـ هاتفني معالي الشيخ إبراهيم العنقري رحمه الله مفيداً أن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز رحمه الله قد اختارني عضواً في مجلس الشورى فلبيت الأمر داعياً الله أن يجعلني عند حسن الظن، وعملت في السنة الأولى في المجلس عضواً في لجنة الأنظمة والإدارة ثم بعدها نائباً لرئيس اللجنة الاقتصادية والمالية وبعدها رئيساً للجنة الاقتصادية والمالية، وقد استفدت إبان عملي في المجلس كثيراً من الخبرة والتجربة أهمها: الصبر والتحمل واحترام الرأي الآخر، وبعد انتهاء مدة عملي عضواً في المجلس تقاعدت مبكراً متفرغاً لأعمالي الخاصة ومنها:

١ ـ مزاولة الاستشارات الشرعية والقانونية والمحاماة منذ عام ١٤٢١هـ.

٢ ـ العمل في المجال العقاري: بيعاً وشراء واستثماراً وقد وجدت

من ذلك خيراً كثيراً ولله الحمد والمنة، سواء أكان في الخبرة والتعامل مع الناس أم في مجال اختيار أنسب الفرص وأحسن الصفقات، وكنت قد حاولت الدخول في صفقات كبيرة وناجحة ولكن لم يتم ذلك فللّه الحمد لأني أردت شيئاً والله أراد غيره، وما يريده الله أفضل لي من كل وجه بدون ريب والله أمن وأكرم قد حقق لي كثيراً مما أتمناه مادة وراحة بال وتوفيق.

القراءة والتأليف:

أحببت القراءة منذ كنت طالباً، لكن الوقت لا يسعفني، لا سيما بعد أن عملت في البلديات؛ لأن العمل فيها يستغرق الوقت كله، وبعد انتقالي إلى الوزارة توفر لي الوقت فكنت أقرأ ولله الحمد كثيراً كل ما أراه مناسباً، فقرأت في تفسير القرآن الكريم: تفسير القرطبي، وتفسير ابن كثير، وفتح القدير للشوكاني، وأيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري وغيرها.

وقرأت في كتب الحديث وفي كتب الفقه بعض الكتب المشهورة في كل مذهب من المذاهب الفقهية وبعض كتب شيخ الإسلام ابن تيمية (الفتاوى ـ اقتضاء الصراط المستقيم ـ السياسة الشرعية وغيرها) وبعض كتب ابن القيم (أعلام الموقعين ـ زاد المعاد ـ مفتاح دار السعادة ـ الوابل الصيب من الكلم الطيب وغيرها).

وكتب الأصول والقواعد الفقهية وكتاب الفروق للقرافي والأشباه والنظائر لابن نجيم الحنفي والأشباه والنظائر للسيوطي.

وفي كتب التاريخ: الكامل في التاريخ لابن الأثير والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر وغيرها.

وفي الأدب قرأت كتب عيون الأدب كما يقولون، عيون الأخبار

لابن قتيبة، والكامل في اللغة والأدب لابن الأثير والبيان والتبيين للجاحظ والآمالي لأبي عالي القالي وقرأت في العقد الفريد لابن عبد ربه وفي الأغاني للأصفهاني وقرأت في الموسوعات كثيراً.

وقرأت في كتب الإدارة، ولم أذكر ذلك للإخبار عن نفسي وإنما هو لبيان ما يقرأ للاستفادة، وكنت أقرأ بنهم وفي سباق مع الوقت وذلك من فضل الله الذي أتاح لي الوقت والفهم وعلى هذا فإني أدعو أولادي وأحبابي إلى كثرة القراءة لأنها تنمي الفكر وتزيد في الإدراك وتساعد على تكوين الشخصية.

وفي التأليف: فإني أعدت النظر في رسالتي الماجستير والدكتوراه وهما بعنوان: شركات الأشخاص بين الشريعة والقانون، والضمان الشخصي (الكفالة) وتم طباعتها وهي في المكتبات الآن، ثم ظهرت لنا مع الأخوة الدكتور الشيخ عبد الله بن محمد المطلق عضو هيئة كبار العلماء والمستشار بالديوان الملكي والدكتور الشيخ عبد الله بن محمد الطيار الأستاذ بالدراسات العليا بجامعة القصيم وهما زملاء دراسة، فعزمنا على أن نؤلف في تيسير الفقه الإسلامي حيث رأينا الحاجة داعية لذلك، ورأي الجماعة أفضل من رأي الواحد، وقد دعا مجمع الفقه الإسلامي بجدة إلى تيسير الفقه، فقمنا بتأليف كتاب الفقه الميسر وهو شامل لأبواب الفقه ويقع في ثمانية مجلدات ثم أتبعناه بالنوازل والحوادث الفقهية في العبادات (الجزء التاسع) وبعده النوازل في المعاملات وهو (الجزء العاشر) ويتبعه بإذن الله النوازل في بقية أبواب الفقه، نسأل الله تعالى التوفيق والعون وأن يجعل عملنا خالصاً لوجهه وأن ينفع به.

ثم تبع ذلك هذا المؤلف الذي بين يدي القارئ فأرجو أن يكون فيه فائدة لمن قرأه وأمضى فيه وقتاً.

هذا المؤلّف:

أسميت هذا الكتاب (تجربة حياة) وجاء فيه بيان السيرة الشخصية، وقد ذكرت فيه مائة فائدة وفائدة تتناول مختلف شؤون الحياة وما استفدته من تجربة وخبرة وجعلته وسطاً بين الإطالة والإيجاز فليس بالطويل الممل ولا القصير المخل، وقد اخترت ترتيبه بهذه الطريقة بعيداً عن الملل ورغبة في التنوع، بحيث يتنقل القارئ بين مواضيع مختلفة.

وقد كان هذا المؤلف فكرة واستشرت فيه بعض الأخوة فأيدوا ذلك ثم استخرت الله أكثر من مرة حتى شرح الله صدري للكتابة، وهو مجموعة خواطر وأفكار وتجارب وخبرات رغبت أن أدونها لأولادي جميعاً بنين وبنات ولمن يرغب الاستفادة من أقارب وأصدقاء وغيرهم لعلهم يجدون فيه ما يستحق القراءة، والانتفاع بما جاء فيه، فقد أردت أن أقدم فيه خلاصة تجربتي في هذه الحياة وما استفدت من قراءاتي العلمية والثقافية ومطالعاتي للواقع الذي نعيشه والذي مزج لي المعرفة العلمية النظرية بالتجربة الواقعية الفعلية فأثمرت خبرة أعانني الله بها في تخطي دروب الحياة قصدت من ذلك أن أكفيهم القيام بالتجربة من البداية وأن يستفيدوا مما قدمته لهم ويبنوا عليه، بحيث يبدأون من حيث انتهيت لتكون لهم رصيداً وزاداً إلى معالي الأمور راجياً أن يكونوا أفضل مني ويحققوا ما لم أحققه، وفقهم الله جميعاً وجعل عملنا دائماً خالصاً لوجهه الكريم إنه سميع مجيب.

السفر والسياحة:

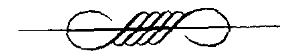
كنت محباً للسفر داخل المملكة وخارجها فلقد زرت كل مناطق

المملكة الحبيبة بل كل مدينة تقريباً وأحياناً بعض القرى في الغرب والشرق والشمال والجنوب والوسط ورأيت الأماكن الأثرية فيها وأخذت العظة والعبرة مما رأيت في الآثار وبقايا الأمم السالفة وعرفت طبائع الناس وعاداتهم واستفدت من ذلك خبرة لو قرأت عنها سنين عديدة ما بلغت ما تحقق لي من الزيارات الميدانية والالتقاء بالناس.

كما زرت بعض البلدان العربية والإسلامية وغيرها، مثل مصر وسوريا ولبنان والأردن ودول الخليج العربية وتركيا والهند وماليزيا وبعض الدول الأوربية كبريطانيا وألمانيا وفرنسا واليونان وزرت الولايات المتحدة الأمريكية، وكنت أهتم كثيراً بالآثار في كل بلد زرته وكذلك المكتبات والمعالم الهامة فيها ولقد صدق الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ حين قال:

تغرَّب عن الأوطان في طلب العلى وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشة وعلم وآداب وصحبة ماجد

فوجدنا في السفر تفريج الهم واكتساب العلم والآداب والصحبة الطيبة بل وأكثر من ذلك سعة الاطلاع والثقافة فيمكنك معرفة مدينة ما وآثارها ومعالمها وعادات أهلها في أيام ولكنك لو قرأت عنها مدة طويلة فلن يكون لديك عنها كما لو زرتها وشاهدتها لأنك ترى كل ما فيها بحواسك ومشاعرك كلها وهذا هو ما يبقى في ذاكرة الإنسان بعد سفره أما غيره فيذهب، هذا إن سلم من توابعه وعواقبه نسأل الله تعالى التوفيق والسلامة.





أخي، ولدي، سترى هذه الفوائد متنوعة ومتعددة وليست في موضوع واحد وذلك رغبة في مزيد من الفائدة وإثراء المعرفة والاستفادة من تنوع التجربة والخبرات وإليك بيانها:





١

قراءة القرآن الكريم وتدبره وحفظه والعمل بما فيه

القرآن الكريم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ ليكون نبراساً ومنهاج حياة للبشرية جمعاء ولقد مَنَّ الله علينا نحن المسلمين بنعم كثيرة وعظيمة ومن أهمها نعمة الإسلام، والقرآن هو الصراط المستقيم للوصول إلى الله ونيل ما أعده لمن استجاب له ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [الرعد: ١٨].

وقد تعلمت من دراستي واطلاعي على تجارب الآخرين أن من أراد سعادة الدنيا والآخرة فليتمسك بالقرآن تلاوة وتعلماً وتدبراً وعملاً.

وقد ورد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «كنا لا نتجاوز عشر آيات حتى نتعلمهن ونعمل بهن»[١] وأرى أن يكون للمرء منهج في تلاوة القرآن ودراسته وذلك وفق الآتي:

١ ـ قراءة التلاوة:

وذلك كي يزيد رصيده من الحسنات وفقاً لما ورد أنه يكتب لمن يقرأ القرآن بكل حرف عشر حسنات ويختم كل شهر، فإن استطاع أن يختم القرآن كل أسبوع فذلك خير، وقد يستطيع بعض الناس ممن وفقه الله أن يختمه كل ثلاثة أيام وبذلك يحقق رصيداً كبيراً من الحسنات

(١) قال ابن تيمية: وهذا أمر مشهور رواه الناس عن عامة أهل الحديث والتفسير وله إسناد معروف. مجموع الفتاوى ١٧/٤٠٧.

ويرتقي بذلك درج الجنان أرأيت لو أن عمل المرء في مجال ما يكسبه زيادة رصيده في البنك أكان يتردد في ذلك؟ لا أظنه يتردد فأولى به زيادة رصيده من الحسنات التي هي أهم من المال، في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وليس ذلك صعباً على من يسَّره الله عليه فإنه بذهابه إلى المسجد بعد الأذان مباشرة يتوفر لديه أكثر من ستين دقيقة يومياً وبها يستطيع قراءة ثلاثة أجزاء يومياً إذ إن كل جزء من القرآن يكفي لتلاوته عشرون دقيقة.

٢ ـ قراءة التدبر ومحاولة فهم القرآن:

ويستعين بذلك في أحد التفاسير المختصرة المعتبرة، ولا يستعجل كي يختم القرآن بل العبرة في هذه الطريقة الفهم محتسباً الأجر على ذلك وقد يستغرق ذلك أشهراً أو سنوات حسب تدبره وما يفتح الله عليه من فهم ونفحات.

إن تدبر القرآن يزيد الإيمان بالله وبدينه الحق ويدفع إلى العمل بما فيه عن معرفة ويقين. وبتدبر القرآن يزداد يقين المرء بأنه من عند الله لما يجده فيه من الحلاوة وحسن اللفظ وتناسق المعنى ولما يدعو إليه من معالي الأمور ومكارم الأخلاق، وصدق الله إذ يقول: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾.

وقد تعلمت من تدبر القرآن أنه يزيد العلم وأن الله يفتح على متدبره من المعاني والأفهام ما لا يتحقق لغيره ممن يقرأ القرآن سرداً دون تدبر ولا يعتني بقراءته فضلاً عن تدبره والعياذ بالله. إن أي كتاب غير كتاب الله القرآن الكريم مهما أوتي مؤلفه من علم ودراية وخبرة فإنك تلاحظ عليه كثيراً في اللغة وفي الأسلوب وفي التنظيم وفي تناسق الأبواب والمعاني وفي كل شيء؛ لأنه جهد بشري يرد عليه الخطأ، ثم

إن المؤلف لأي كتاب لو أعاد النظر فيه لتبين له في كل مرة ملاحظات وملاحظات، قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨].

وقال: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [البقرة: ٢٣].

وقال المزني: قرأت كتاب الرسالة على الشافعي ثمانين مرة فما من مرة إلا وكان يقف على خطأ، فقال الشافعي: هيه أبى الله أن يكون كتاب صحيحاً غير كتابه.

ومن ذلك يعلم من تدبر القرآن وأعطى فهماً فيه، وأنه محفوظ بحفظ الله لم يتغير منذ أنزل، إنه كتاب الله الحق، وإنه لو كان من عند غير الله لوجد فيه اختلاف كثير كما في مؤلفات البشر وأعمالهم الناقصة.

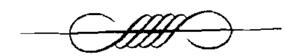
٣ ـ قراءة العلم والعمل بما يعلمه:

وهذه تحتاج إلى اجتماع القلب والحواس كي يفتح الله عليه من بركات القرآن. وتحتاج هذه الطريقة إلى مدة طويلة قد تكون سنوات وتكون بإشراف أحد العلماء الذين يمكن الاستفادة منهم علماً وسلوكاً وتطبيقاً.

وهذه الطرق استخدمها بعض العلماء في السابق وقد جمعت كل أسباب الخير من التلاوة والتدبر والعلم والعمل وهو منهج علمي وعملي حسن يحقق النتائج المأمولة، وبذلك يحيا المسلم بالقرآن ويفتح الله عليه من حكمه وأسراره الخير الكثير بما يعود عليه في السعادة دنيا وأخرى، والله الموفق لمن شاء، ولست أدعي القيام بذلك ولكني أرجو الله أن يهيئ لي من أمري رشداً كي أمتثل ذلك قولاً وعملاً فإنه الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

٤ ـ قراءة الحفظ:

وذلك بأن تختار لنفسك الوقت المناسب سواء أكان بعد صلاة الفجر أم بعد العصر أم المغرب أو ما تراه موافقاً لك وتخصص فيه وقتاً للحفظ وفق قدرتك ورغبتك بحيث تحفظ القرآن كاملاً أو ما تستطيع منه.



٢

علم السُّنَّة والعمل بها

السُّنَّة هي الأصل الثاني من أصول الشريعة الإسلامية وهي الوحي الثاني ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٤] وقال ﷺ: «**ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه**»(١)، وتشكل السُّنَّة مع القرآن الكريم دستور الإسلام.

يجب على كل طالب علم أن يكون مطلعاً على السُّنَّة بقدر ما يوجبه عليه علمه تخصصاً وشمولاً.

وقد أوتي النبي ﷺ جوامع الكلم بحيث يبين ما أوحي إليه بعبارة جامعة مختصرة ميسرة وهو منتهى البلاغة وذلك كي يسهل حفظها واستيعابها.

وقد تعلمت أنه ينبغي على طالب العلم أن يطلع على الصحيحين (البخاري ومسلم) وغيرهما من كتب السُّنَّة وذلك في كتب السنن: سنن أبي داود، سنن الترمذي، سنن النسائي، سنن ابن ماجه، وكذلك مسند الإمام أحمد.

كما أنه يستحسن له أن يحفظ ما يستطيع حفظه مما يكون أساساً في الاستدلال لأبواب الفقه.

أما المثقف المسلم رجلاً كان أم امرأة فأرى أنه ينبغي له أن يطلع على السُّنَّة بما يكفيه لمعرفة دينه وعبادة ربه على طريق مستقيم، كما أنه

---

(١) رواه المقداد بن معد يكرب. قال ابن حجر العسقلاني: حديث حسن، مشكاة المصابيح ١/١٢٩.

ينبغي له أن يحفظ الأربعين حديثاً والمسماة (الأربعين النووية) التي جمعها النووي إذ هي أساس في العلم الشرعي.

وعلى كل منهم أن يكون محتسباً الأجر في كل ما يتعلمه ويحفظه من السُّنَّة، كي يضيف إلى رصيده من الحسنات وأن يعمل بما علمه من السُّنَّة ويطبقه في حياته لأن العمل هو ثمرة العلم.

وما ذكرته لك لا أزعم أني أقوم به ولكني أحاول وأرجو الله أن يوفقني للقيام بذلك وأن يجعله خالصاً لوجهه تعالى إنه سميع مجيب.



٣

أهمية العلم في الحياة

العلم بكافة أنواعه أشرف ما في الحياة، فبالعلم يعرف الناس ربهم قال تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [محمد: ١٩] فبدأ الله تعالى بالعلم لأهميته، والإسلام أول ما جاء بقوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ وقال تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ﴾ [الزمر: ٩].

وقد أثنى الله على العلماء بقوله: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾ [فاطر: ٢٨]. وقد جاء في حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»[1].

فالعلم هو السبيل والطريق الصحيح لشؤون الحياة الدنيا بكافة وجوهها، كما أنه المنهج المبين والصراط القويم لمعرفة الله والإيمان به والعمل بما جاء به الرسل صلوات الله وسلامه عليهم جاء في الحديث «**إنما العلم بالتعلم**» رواه الدارقطني في الأفراد وهو حسن.

والعلم له المنزلة العليا والمكانة السامية في كل الحضارات ولدى كل الأمم سابقاً وحالياً ومستقبلاً.

وقد جاء عن عليّ رضي الله عنه قوله في العلم: «العلم ضالة المؤمن فخذوه ولو من أيدي المشركين ولا يأنف أحدكم أن يأخذ الحكمة ممن سمعها منه» وكل شيء إذا كثر وزاد عند الإنسان قلّت قيمته إلا العلم فإنه كلما

---

(١) رواه ابن ماجه برقم ٢٢٤ في باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، نشر الشؤون الإسلامية.

كثر عز وغلا وارتفعت قيمته، والعرب تقول: كل شيء يعز حين ينزر إلا العلم فإنه يعز حين يغزر.

قال الضحاك: أول باب من العلم الصمت ثم استماعه ثم العمل به ثم نشره، ولقد اهتم الإسلام بالعلم اهتماماً كبيراً بحيث لا يمكن أن يرقى إلى درجته في ذلك أي دين أو نظام في القديم أو في الحديث، ووعد سبحانه العلماء بأن يرفع لهم الدرجات فقال: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

وقد ركز الإسلام على العلم النافع لأن العلم مصدر تأثير كبير في حياة البشر جاء في الحديث «اللهم إني أسألك علماً نافعاً»[١] وجاء في حديث آخر «**اللهم أني أعوذ بك من علم لا ينفع**»[٢].

فلا بد أن يسير العالم مهما كان تخصصه بمنهج القرآن والسُّنَّة حتى لا يوجه العلم نحو الدمار والفساد.

قال ابن حزم: لو لم يكن من فضل العلم إلا أن الجهال يهابونك ويحبونك وأن العلماء يحبونك ويكرمونك لكان ذلك سبباً إلى وجوب طلبه، فكيف بسائر فضائله في الدنيا والآخرة[٣].

ولن ينتفع طالب العلم إلا إذا عظَّم العلماء وأهل العلم وأن يكون محترماً لأستاذه وكما قيل: لا يطلب العلم مستح ولا متكبر، فالخجل يمنع الإنسان من السؤال واستيعاب العلم، والتكبر يمنعه من إتيان بعض العلماء والاستفادة منهم بزعمه أنه أفضل منهم وقد كان العلماء الكبار يأخذون العلم ممن هم أعلم منهم ومن أقرانهم بل ومن هم أقل منهم علماً.

---

(١) رواه ابن ماجه برقم ٩٢٥، وأحمد في المسند ٦/ ٢٩٤.

(٢) رواه أبو داود برقم ١٥٤٨، وابن ماجه برقم ٢٥٠، ورواه الحاكم في المستدرك عن ابن مسعود قال السيوطي في الجامع الصغير: حديث ضعيف ١/ ٢٢٣.

(٣) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر ١/ ١٣٠.

والعلم واسع ومتعدد لا يمكن للإنسان أن يلم به. وقد تعلمت من الحياة أنه ينبغي للإنسان أن يتخصص في فرع منه كي يتمكن من استيعابه والإبداع فيه، وعلى المرء أن يتعلم ما يحتاجه مجتمعه وأمته من العلوم ويتخصص فيها مع النية الصادقة لتقديم ما يحقق الخير ويدفع إلى التقدم والتطور في كل نواحي الحياة. وقد قيل: إذا أردت أن تكون عالماً فاقصد لفنٍ من العلم وإن أردت أن تكون أديباً فخذ من كل شيء أحسنه[1].

وبالعلم يعرف الإنسان أمور دنياه ونواميس الكون كي يسخر ذلك في خدمة البشر فيخدم نفسه وغيره.

وينبغي له أن يكون مطلعاً على أساسيات العلوم الأخرى وهو أن يكون مثقفاً بحيث إذا كان في جماعة وفيهم من يحمل مختلف التخصصات فإنه يستطيع أن يفهم الحديث في مختلف الجوانب ويشارك في النقاش بشكل عام ولا ينبغي أن يكون متضلعاً في تخصصه وأمياً في غيره من العلوم كي يستفيد ويفيد ويكون له مزيداً من التقدير.

وعلى المسلم أن يكون طلبه للعلم أيّاً كان نوعه (فالأمة بحاجة لجميع التخصصات الشرعية والتطبيقية) خالصاً يحتسب به الأجر من الله كي يستفيد منه في دنياه ويخدم به أمته وينال أجره في الآخرة وألا يكون طلبه من أجل الشهادة أو الوظيفة أو الوجاهة فقط بل رغبة في العلم وحباً له كي يبدع في علمه وينفع أمته والوظيفة والشهادة تأتي تبعاً ونتيجة للتحصيل العلمي.

والإنسان في هذه الحياة يستفيد كل يوم علماً جديداً في مسألة أو قضية فيضيف إلى علمه ما ينير قلبه ويفتح له الآفاق، فالعلم نور وعلى

(١) الأخلاق في الإسلام، د. عبد اللطيف محمد العبد ص٩٥.

الإنسان أن يفرغ قلبه ووقته وكله للعلم حتى يستطيع أن يدرك منه ما به صلاح دينه ودنياه.

فالعلم كما يقال: إذا أعطيته كلك أعطاك بعضه.

والإنسان يضيف بتعلمه إلى رصيده المعرفي، فإذا توقف تعلمه فقد انتهت حياته الحقيقية ثم إذا تعلم وكسب العلم فإن عليه واجباً أن يعلِّمه من يحتاجه وأن يبينه للناس شفاهه أو كتابة بتأليف الكتب النافعة قال الغزالي[١]: «للعلم حال طلب واكتساب وحال تحصيل يغني عن السؤال وحال استبصار وهو التفكر في المحصل والتمتع به وحال تبصير فهو أشرف الأحوال فمن علم وعمل وعلم فهو الذي يدعى في ملكوت السمٰوات عظيماً» وعلى المرء المسلم العالم أن يحاول أن يكون كذلك.



(١) إحياء علوم الدين، للغزالي ١/ ٦١.

٤

لا يندم المستشير ولا يخيب المستخير

الاستشارة: هي طلب المشورة. والاستخارة: هي طلب الخيرة في الأمر.

الاستشارة لها أهمية كبيرة للمستشير فهو لا يعدم أن يكون المستشار موافقاً لما يفكر فيه أو مخالفاً له، فإن كان موافقاً فإنه يكون قوة لرأيه بحيث يقدم عليه وهو مطمئن وإن كان مخالفاً له فإنه قد ينبهه ذلك إلى أمور لم تخطر على بال المستشير فيأخذها بالحسبان.

ولا بد أن يكون المستشار عاقلاً حكيماً مجرباً أميناً يمده بمشورته، فليس كل أحد ينبغي استشارته لأن فاقد الشيء لا يعطيه. وقد جاء في الأثر: «ما ندم من استشار» وكان يقال: من أعطى المشورة لم يمنع الصواب.

وقد كان النبي ﷺ يستشير في أموره من يستطيع تقديم المشورة وهو القدوة المثلى للإنسان المسلم.

وقال الشاعر:

شاور سواك إذا نابتك نائبة ... ولو كنت من أهل المشورات
فالعين تبصر ما دنا منها وما نأى ... ولا تبصر نفسها إلا بمرآة

وقيل لرجل من بني عبس: ما أكثر صوابكم. فقال: نحن ألف رجل وفينا حازم واحد ونحن نطيعه فكأننا ألف حازم. وجاء في آداب ابن المقفع: ألا يقذفن في روعك أنك إن استشرت الرجال ظهر للناس فيك الحاجة إلى رأى غيرك، فيقطعك ذاك عن المشاورة فإنك لا تريد الرأي

للفخر به ولكن للانتفاع به، ولو أنك أردت الذكر كان أحسن الذكر عند الألباء أن يقال: لا يتفرد برأيه دون ذوي الرأي من إخوانه. فلا يترك المشورة من يريد تسديد أموره ويطمح إلى تحقيق أفضل النتائج.

والاستخارة تتويج لما ألمَّ بالإنسان من قضايا وأمور في حياته بحيث أخذت من وقته تفكيراً ودراسة ثم استشار فيها من يملك أسباب ووسائل المشورة ثم هو بعد ذلك يطلب من الله أن يختار له الأمر المناسب بعد أن يصلي ركعتي الاستخارة وقد كان النبي ﷺ يعلّم أصحابه دعاء الاستخارة كما يعلمهم السورة من القرآن كما جاء ذلك في حديث جابر «**إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم يقول:**

اللهم إني أستخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر (ويسميه) خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال في عاجل أمري وآجله فاقدره لي وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري وقال في عاجل أمري وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به ويسمي حاجته» رواه البخاري[١].

وقد تعلمت في حياتي أن آخذ نفسي بذلك ففيه التأني والتدبر وطلب المشورة ثم طلب الخيرة من الله وبذلك أعلم أني قد اتخذت كافة الأسباب وكثيراً ما أحمد العاقبة بفضل الله وله الحمد والمنة فأدعو إلى الاعتناء بذلك وتعاهد النفس للأخذ به وقد جاء في الأثر: «ما خاب من استخار»[٢].

(١) رواه البخاري في باب الدعاء عند الاستخارة برقم ١١٦٢.

(٢) رواه أنس بن مالك. قال الهيثمي: فيه عبد السلام بن عبد القدوس وكلاهما ضعيف جداً، مجمع الزوائد ٨/ ٩٩.

كيفية التعامل مع أصحاب السلطة

التعامل مع صاحب السلطة كبيراً أو صغيراً يختلف عن التعامل مع غيره وكلما علت منزلته تطلب ذلك حكمة وسياسة أكثر في التعامل معه. عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال لي أبي: يا بني إني أرى أمير المؤمنين (عمر بن الخطاب) رضي الله عنه يستخليك ويستشيرك ويقدمك على الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ وإني أوصيك بخلال أربع: لا تفشين له سراً، ولا تغتابن عنده أحداً، ولا تطو عنه نصيحة، ولا يجربن عليك كذباً. والتعامل مع السلطان له آداب وطرق منها:

١ ـ التعامل معه على حذر فلا يغتر المرء به إذا رضي عنه، ولا يتغير له إذا سخط عليه، ولا يتبرم مما حمله من عمل، وإذا طلب شيئاً فلا يلح في مسألته.

فإن الجرأة على صاحب السلطة ممن قربه إليه قد تنقلب بين عشية وضحاها فيجعله عبرة لغيره كما حصل لهارون الرشيد مع البرامكة عندما جاوزوا مقدارهم نكبهم نكبة بقيت على مدار التاريخ.

٢ ـ إذا اقتضى الأمر تعليم صاحب السلطة أو تأديبه فإنه ينبغي اتخاذ أسلوب مناسب للتعامل معه بحيث تعلمهم وكأنك تتعلم منهم وتؤدبهم وكأنك تتأدب بهم وتشكرهم ولا تكلفهم الشكر، فمثلاً لو كان صاحب السلطة سريع الغضب فتذكر صفاته الإيجابية الأخرى وأنك تعلمت منه حسن الخلق مما يتمتع به من أخلاق فاضلة كحسن استقبال

الناس والإنصات إلى حديثهم والصفح عن أخطائهم بما يملكه من قوة في كتم غيظه كما جاء في الحديث: «**ليس الشديد بالصرعة، وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**»(١). وأنك تحاول لنفسك أن تتخلق بتلك الأخلاق الفاضلة.

٣ ـ أن لا يطلع على ما لا يرغب صاحب السلطة اطلاعه عليه وألا يشغل نفسه بما لا شأن له به وألا يتحدث عما يحدث بينهما وما رآه في عمله أو منزله وفي شؤون حياته ويتبع الحكمة القائلة: إذا قربك السلطان فادخل أعمى وأخرج أخرس.

٤ ـ ألا يظهر الاهتمام بغير السلطان أو المسؤول ممن يحضر المجلس وإنما يكون حديثه وتوجهه إليه دون غيره لأنه هو أحق من غيره بالاعتناء فإنه لا يأمن غدره إن أبدى اهتماماً بغيره لأنه لا يرى لغيره حقاً.

٥ ـ ألا يسأل السلطان عن حاله سواء أكان ملكاً أو رئيساً أو وزيراً أو غيرهم فبدلاً من قول: كيف حال الرئيس، يقول: صبّح الله الرئيس بالخير والكرامة، فيكون الدعاء له بدلاً من سؤاله عن حاله وصحته.

جاء في عيون الأخبار(٢) قال الفضل بن الربيع: «مسألة الملوك عن أحوالهم من تحيات النوكي (الحمقى)، فإذا أردت أن تقول: كيف أصبح الأمير، فقل: صبح الله الأمير بالكرامة، فإن المسألة توجب الجواب فإن لم يجبك اشتد عليك وإن أجابك اشتد عليه».

٦ ـ أن يكون أسلوبه مع صاحب السلطة ومن هو أعلى منه مكانة بالرجاء قولاً أو كتابة فإذا طلب منه شيئاً قال أرجو ونحوها لأنها تستعمل

(١) رواه البخاري رقم ٦١١٤.

(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة ١/ ٢٢.

من الأدنى للأعلى على خلاف الأسلوب من الأعلى من صاحب سلطة أو مكانة ممن هو دونه فإنه يكون بأسلوب الأمل والرغبة مثل آمل أو أرغب عمل كذا.



٦

إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً

كرَّم الله الإنسان حيث فضّله على جميع المخلوقات ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠].

وخلق له عينين يبصر بهما آيات الله ومخلوقاته، وخلق له أذنين للسمع ليسمع بهما كلام الله تعالى وكلام نبيه ﷺ وما يهمه في هذه الحياة وخلق له لساناً واحداً بين فكيه لا ينطق إلا بإرادته وجعله محبوساً داخل فمه كي يستطيع حفظه واستعماله فيما ينفعه والبعد عما يضره، وكما خلق الله له عينين وأذنين فقد خلق له فماً ولساناً واحداً كي يستمع وينظر أكثر مما يتكلم، فكلام الإنسان إما له أو عليه قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨]. ومنهم من يؤدي كلام الإنسان إلى قتله كما قيل: (مصرع الرجل بين فكيه).

وقيل:

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده   فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

ولذلك فإن على المرء أن يحفظ لسانه عن الكلام إلا فيما ينفعه فقد قيل: ليس أحق بسجن من لسان «وقد ورد في بعض صحف ابراهيم عليه السلام: من حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه».

والعاقل عقله قبل لسانه يفكر ثم يتحدث أما الأحمق فإن لسانه قبل عقله يتكلم ثم يفكر بما تكلم ويندم كثيراً على ما قال بل قد يورده لسانه المهالك وقد يخسر به أهله وأصدقاءه كما يقول بعض الناس: «لسانه متبرئ منه» فعلى المرء أن يستمع كثيراً ولا يتكلم إلا قليلاً فإنه لا يُحسنُ القول من لا يُحسنُ الاستماع.

قال الشاعر:

وأقلل إذا استطعت قولاً فإنه ... إذا قلّ قول المرء قلّ خطاه

فإذا حدّث بحديث فإنه ينصت حتى ينتهي المتكلم دون مقاطعة قال حكيم لابنه: تعلم حسن الاستماع كما تعلم حسن الكلام فإن حسن الاستماع إمهالك للمتكلم حتى يفضي إليك بحديثه والإقبال بالوجه والنظر وترك المشاركة له في حديث أنت تعرفه ولذلك فوائد منها:

١ ـ يستطيع الإنسان أن يستوعب كلام محدثه ويفهم ما يرمي إليه.

٢ ـ أن المقاطعة في الكلام تؤدي إلى إرباك المتحدث وعدم إفصاحه عما يريد الوصول إليه. قال هيثم بن عدي: قالت الحكماء: من الأخلاق السيئة على كل حال مغالبة الرجل على كلامه والاعتراض فيه لقطع حديثه.

٣ ـ أن السامع لا يمكن أن يلم أو يدرك ما يهدف إليه المتكلم حيث لم تتضح الفكرة ولم تتبين الصورة والحكم على الشيء فرع عن تصوره كما يقال بل قد يفهم السامع المتحدث خطأ ما دام لم يبين مقصده من الكلام.

وقد حدث لي مثل ذلك مع بعض الناس حيث كان يقاطعني الحديث إلا إني أطلب من السامع أن ينتظر حتى أستكمل كلامي وتتضح الصورة وبذلك استطعت إفهامه وقدر أن يفهمني.

قال لقمان لابنه: إياك إذا سئل غيرك أن تكون أنت المجيب كأنك

أصبت غنيمة أو ظفرت بعطية فإنك إن فعلت ذلك أزريت بالمسؤول وعنفت السائل ودللت السفهاء على سفاهة حلمك وسوء أدبك.

إن البصر نعمة عظيمة من نعم الله فعلى الإنسان أن يستعمله فيما ينفعه ديناً ودنيا وألا يطلقه فيما لا يحل له أو ما يعود عليه بالضرر.

قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [النور: ٣٠] وغض البصر أصل العفة وسبيل السعادة وفيه قوة للعقل والتركيز وسرور القلب.

كما جاء في الحديث القدسي عن ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: «فيما يروى عن ربه» النظرة سهم مسموم من سهام إبليس من تركها من مخافتي أبدلته إيمانا يجد حلاوته في قلبه»(١).

وجاء في حديث بريده قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: «**يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإنما لك الأولى وليست لك الآخرة**»(٢).

وكان عيسى عليه السلام يقول: «النظرة تزرع في القلب الشهوة، وكفى بها خطيئة» وقال الحسن: من أطلق طرفه كثر أسفه.

قال ابن القيم في كتاب الداء والدواء: أما اللحظات فهي رائدة الشهوة ورسولها وحفظها أصل حفظ الفرج فمن أطلق بصره أورده مورد المهلكات.

---

(١) أخرجه الطبراني عن عبد الله بن مسعود. قال العجلوني في كشف الخفا ـ ٢/ ٤٣٧ ورقم الحديث ٢٧٦٤ ـ: ومن شواهده ما عند البيهقي وغيره. قال المنذري: ورواتهم لا أعلم فيهم مجروحاً عن ابن مسعود، ورواه الحاكم وصححه وأقره العراقي، وضعفه المنذري عن حذيفة بلفظ: «النظرة سهم مسموم من سهام إبليس من تركها مخافة الله أعطاه الله إيماناً يجد لذته في قلبه» قال الهيثمي في مجمع الزوائد فيه عبد الله بن إسحاق الواسطي وهو ضعيف ٨/ ٦٦.

(٢) رواه أبو داود في باب ما يؤمر به من غض البصر برقم ٢١٤٩ وحسنه الترمذي برقم ٢٧٧٧.

قال رجل لعبد الله بن المبارك: أوصني، قال: أترك فضول النظر توفق للخشوع واترك فضول الكلام توفق للحكمة.

قال الشاعر:

وكنت متى أرسلت طرفك رائداً   لقلبك يوماً أتعبتك المناظر

فقد يرى المرء امرأة حلوة تحلو في عينه ويتعلق بها ويشغل بها فكره وحياته وتشغله عما ينفعه فتنقلب حياته شقاء لا يطاق.

وقد يرى أشياء أو ممتلكات من قصور أو سيارات ولا يقدر أن يملك مثلها فتشغله ويجعله ذلك يزدري نعمة الله عليه.

ولغض البصر فوائد كثيرة منها:

١ ـ تخليص القلب من الحسرة فإن من أطلق نظره دامت حسرته فأضر شيء على القلب إرسال البصر فإنه يريه ما لا سبيل إلى وصوله ولا صبر له عنه.

٢ ـ أنه يورث قوة القلب وثباته وشجاعته فيجعل الله له سلطان البصيرة مع سلطان الحجة.

٣ ـ أنه يورث القلب سروراً وفرحة أعظم من التلذذ بالنظر وذلك لقهر عدوه وقمع شهوته وانتصاره على نفسه[1].



(١) غذاء الألباب لشرح منظومة الآداب، للشيخ محمد السفاريني ١/ ٨٢، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة.



من حسن ظنه طاب عيشه

إن حياة الإنسان قصيرة مهما كانت مدته، فعليه أن يقضيها بما يسعده في الدنيا والآخرة.

وإن السعادة في الدنيا إنما تكون بالإيمان بالله والعمل الصالح والبعد عن المعاصي كما قال بعض العلماء: إن لله تعالى جنة في الدنيا من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة.

وكما قال الشاعر:

لـيـسـت الـسـعـادة جـمـع مـال ولـكـن الـتـقـي هـو الـسـعـيـد

والسعادة مطلب غالٍ وعزيزٌ كل إنسان ينشده ويطلبه ويسعى إليه، وقد تعلمت من تجربتي أن من قواعد السعادة حسن الظن بالآخرين كما قيل: من حسن ظنه طاب عيشه؛ فعلى المسلم أن يحمل تصرفات أخيه على المحمل الحسن بل وعلى أحسن ما يمكن حمله عليه.

فإن لذلك تأثيراً على حياة المرء واستقراره وسلوكه في الحياة على نحو ما يأتي:

١ ـ يتصرف من حسن ظنه مع غيره بمودة وتعامل حسن ومتى تحسنت نفسية الإنسان قوي جهاز مناعته.

٢ ـ يعود ذلك على صحته بالعافية من الأمراض التي يسببها سوء الظن وما يترتب عليه من القلق.

٣ ـ يسلم من التصرفات السيئة والتي تترتب على سوء الظن بالآخرين وما ينتج عنه من آثار سلبية.

٤ ـ إن صفاء العيش وطيب الحياة يتحقق بحسن الظن وعدم الحقد المترتب على سوء الظن فكما قيل: الحاقد يأكل نفسه، وقال الشاعر:

لما غفوت ولم أحقد على أحد   أرحت نفسي من هم العداوات

٥ ـ أما من تبين لك مكره وسوءه فلا تحسن الظن به ولكن ذلك يكون بالحذر منه وعدم الاطمئنان إليه دون مجاوزة الحد بالإساءة إليه أو مضايقة نفسك بالهم والقلق فإذا أردت أن تعيش سعيداً هانئ البال فأحسن الظن بالناس فأنت إنما تشتري راحة نفسك وطمأنينتك وصحتك أولاً وقبل كل شيء ثم العيش مع مجتمعك ومحيطك بالمودة بل وفوق ذلك تسعى لتعميم المحبة والإخاء بالسلام الذي به تفشو المحبة وتنتشر بين المسلمين كما قال عليه الصلاة والسلام: «**ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**»[1]. فاللهم أدم المحبة والمودة والتعاون بين المسلمين.



(١) رواه أبو هريرة، وأخرجه مسلم برقم ٥٤.

الزهد في الخير

الزهد في اللغة: قال في المعجم الوسيط[١]: زهد فيه وعنه زهداً وزهادة: أعرض عنه وتركه لاحتقاره أو لتحرجه منه أو لقلته. والزهادة في الشيء: خلاف الرغبة فيه.

الزهد في ملذات الدنيا ومتعها الزائلة نعمة من الله وتوفيق وهداية ولا سيما المحرمات منها، فمن وفقه الله ورضي من ذلك بما يكفيه وفرغ نفسه للتزود من أعمال الخير المتعددة في العبادات والأخلاق وغيرها من أعمال البر فقد اصطفاه ربه لنيل المنزلة العالية يوم القيامة.

وقد رأيت الناس في هذا الزمان يتكالبون على الدنيا ومتعها الزائلة حلالاً كانت أم حراماً ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهم مع ذلك قد زهدوا في الطاعات وأعمال البر إلا ما رحم ربك، إنها معادلة مقلوبة فالأوْلى بالمسلم أن يحرص على ما ينفعه في دينه ودنياه وأن يزهد فيما يضره وما لا ينفعه في الأولى والعاقبة.

إننا في هذه الحياة لا نريد أن يكون أحد أفضل منا مع العلم واليقين أنها زائلة وأن حلالها حساب وحرامها عقاب، فما بالنا لا نكون كذلك في الاهتمام بالآخرة والزهد عما يصرفنا عنها، والله تعالى يقول: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ [التغابن: ٩].

---

(١) المعجم الوسيط مادة (زهد).

إن الأحرى بي وبك أن نحرص على اكتساب الحسنات ليلاً ونهاراً وبكافة السبل ولا نرضى لأنفسنا إلا بالفردوس الأعلى من الجنة مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

وألا نبيع باقياً بفان.

ومن ذلك ما تراه من زهد بعض الناس في أداء الصلاة جماعة في المسجد بحجة أنها غير واجبة وما يدري هذا ماذا ضيع على نفسه من الخير، حيث إن صلاة المرء في الجماعة أفضل من صلاته منفرداً بسبع وعشرين درجة فلو ضربنا ما يحصل عليه إذا صلى في المسجد ٥ × ٢٧ = ١٣٥ درجة وفي العام ١٣٥ × ٣٥٤ = ٤٧٧٩٠ درجة فإذا فرضنا أن مدة صلاته ستون سنة فيكون ما يحصله ٤٧٧٩٠ × ٦٠ = ٢,٨٦٧,٤٠٠ درجة فانظر كم الفرق بينه وبين من صلَّى في بيته أضف إلى ذلك أنه كلما زادت الجماعة زاد الأجر وأنه يكتب له بكل خطوة إلى المسجد حسنة ويمحي عنه سيئة فكم يكون فوت المرء على نفسه من الأجر العظيم والثواب الجزيل وهو لا يريد أن يكون أحدٌ أفضل منه في الدنيا على قصرها فكيف يرضى أن يكون أحد أفضل منه في الدار الباقية وهو يستطيع ذلك، ولكن غلب عليه الكسل والزهد في الخير.

وروى عن السلف: إن مواساة المسلم في ضياع الأجر أولى من تعزيته بالمصيبة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

إن من أساليب الشيطان أعاذنا الله منه في تزهيد الناس عن أعمال الخير إقناعه بأنه يكفيه أن يعمل الواجبات ويترك المحرمات، ولا يتزود من الطاعات، ومنها أنه يشغله بفعل المباحات حيث لا عقوبة عليها، فيفوت عليه التزود من القربات، ومنها اشغاله بعمل الأعمال المفضولة وترك ما هو أفضل منها مما يُكسبه مزيداً من الأجر والثواب ورفعة

الدرجات. قال الغزالي[١]: فرقة من أرباب الأموال اشتغلوا بها يحفظون الأموال ويمسكونها بحكم البخل، ثم يشتغلون بالعبادات البدنية التي لا يحتاج فيها إلى نفقة كصيام النهار وقيام الليل وختم القرآن، وهم مغرورون لأن البخل المهلك قد استولى على بواطنهم فهو يحتاج إلى قمعه بإخراج المال، فقد اشتغل بطلب فضائل هو مستغنٍ عنها، ولذلك قيل لبشر: إن فلاناً كثير الصوم والصلاة، فقال: المسكين ترك حاله ودخل في حال غيره، وإنما حال هذا إطعام الطعام للجياع والإنفاق على المساكين فهذا أفضل له من تجويعه نفسه ومن صلاته لنفسه مع جمعه للدنيا ومنعه للفقراء. انتهى. ذلك لأنه ترك العمل المتعدي نفعه وما فيه من زيادة الحسنات واقتصر على ما يعود نفعه عليه فقط.



(١) إحياء علوم الدين، للغزالي٣/ ٣٩٧.

أمانة الكلمة والكلمة أمانة

إن الكلام نعمة من نعم الله به يبين الإنسان رغباته وطلباته ويفصح عما في مكنونه من مشاعر وأحاسيس وأفكار.

وبالقرآن الكريم وهو كلام الله تعالى والسُّنَّة النبوية وهي حديث النبي ﷺ بين الله لعباده طريق الهدى وسبيل الحق الذي يوصل إلى السعادة في الدنيا والجنة في الآخرة.

وقد منح الله الإنسان نعمة الكلام فبه يقرأ القرآن ويذكر الله تعالى ويفعل الخير، وبمقابل ذلك فإن من الناس من يستعمل ذلك في الشر بدءاً من كلمة الكفر نعوذ بالله إلى الصد عن سبيل الله ثم الإساءة إلى عباد الله بمختلف أنواع السوء من كذب وغيبة ونميمة وحسد وإشعال الحروب بين الناس أفراد وجماعات ودولاً.

إن الكلمة أمانة سواء أكانت مسموعة أم مقروءة أم مرئية فعلى المرء أن يحفظ لسانه عما لا فائدة فيه وأن يكون كلامه في خير البشرية ونفعها وهو مسؤول عما يتفوه به قال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨].

وفي الحديث: «**وهل يكب الناس في النار إلا حصائد ألسنتهم**»[١].

وجاء في الحديث كذلك «**إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله**

(١) رواه الترمذي في سننه برقم ٢٦١٦، وقال: حسن صحيح.

لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالاً يهوي بها في جهنم»[1].

وقد علمتني الحياة في هذا الجانب: -

١ - أن أبذل وسعي في أن أتكلم بما أرجو ثوابه دنيا وآخرة، وأن أحاول حفظ لساني عن كل كلام لا فائدة فيه فضلاً عن أن يكون فيه مضرة لأحد.

٢ - أن بعض أصحاب الأقلام هداهم الله قد لا يهتم كثيراً فيما يكتبه وقد يترتب على ذلك إساءة لدينه أو مجتمعه وهو لا يدري، فهل يتوقع الكاتب أو المتحدث أن يجد ذلك في صحيفة حسناته فهو إن لم يجدها كذلك فسيجدها في صحيفة سيئاته يحاسب عليها، ولو أن كل متكلم أو كاتب حاسب نفسه هكذا فإنه سيترك كثير منهم الكلام أو الكتابة فيما لا يعلم أنه مصلحة يؤجر عليها.

٣ - أن من وهبه الله عقلاً راجحاً من أي البشر كان فإنه يزن الأمور قبل الإقدام عليها ويستعمل كلامه وكتابته فيما يجد نفعه ويبتعد عما يضره وكما قيل: إذا زاد العقل نقص الكلام، وإذا نقص العقل زاد الكلام.

فالعاقل يمنع نفسه عن كثرة الكلام بل عن كل كلام لا يتبين نفعه.

ويقال كذلك: عقول الرجال في أطراف أقلامها؛ أي: أن ما يكتبه يستدل به على عقله وإدراكه، فلينظر المرء أين يضع نفسه.

٤ - أن بعض الناس قد يكون منطمس البصيرة والعياذ بالله فلا يدرك سوء كلامه أو كتابته ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ [فاطر: ٨]. ولا ما سيؤدي إليه من آثار سيئة بل قد يرى ذلك مصلحة له ولغيره

---

(١) أخرجه البخاري في باب حفظ اللسان برقم ٦٤٧٨، نشر الشؤون الإسلامية.

مدعياً الإصلاح فينطبق عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾ [البقرة: ١١].

وهذه من صفات المنافقين والعياذ بالله فعلى المرء أن يخشى على نفسه من النفاق، فليس أحد بمأمن منه كيف وقد خافه عمر بن الخطاب رضي الله عنه على نفسه، فمن يطمئن بعد عمر وإذا خاف كل صاحب كلمة على نفسه من ذلك راجع نفسه وعمل ما فيه الخير ديناً ودنيا قال تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٩٣].



١٠

الإيمان ثمرة الرضا والرضا نتيجة الإيمان

الإيمان هو التصديق، والرضا هو القبول، فالمؤمن بالله قد صدق به ورضيه ربّاً معبوداً وقد صدق بالإسلام ديناً وطريقاً ومنهاج حياة، وصدق بنبيه محمد ﷺ وأنه رسول الله إلى البشرية ورضي بذلك وقبله عن اقتناع ويقين.

فإذا قال المسلم: رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً فقد أعلن إيمانه ويقينه بذلك ورضي به وقبله دون تردد وبذلك يستحق ما ورد في الحديث من الغفران ودخول الجنة.

وجاء في الحديث عن النبي ﷺ «**ذاق طعم الإيمان من رضي الله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً**»[(١)].

قال الشيخ ابن تيمية: فوجود المؤمن حلاوة الإيمان في قلبه وذوق طعمه أمر يعرفه من حصل له هذا الوجه وهذا الذوق، فالذي يحصل لأهل الإيمان عند تجريد التوحيد بجذب قلوبهم إلى الله وإقبالهم عليه دون ما سواه بحيث يكونون حنفاء لله مخلصين له الدين إلى أن قال: وهذا هو حقيقة الإسلام الذي بعثت به الرسل وأنزل به الكتب وهو قطب القرآن الذي تدور عليه رحاه والله أعلم.

ومقتضى الإيمان بذلك والقبول به أن يلتزم المسلم في حياته

---

(١) أخرجه مسلم برقم ٣٤.

وسلوكه بالإسلام قولاً وعملاً واعتقاداً، ويجتنب كل ما ينافي ذلك من أعمال وأخلاق وسلوكٍ، والله ﷻ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف: ٢، ٣].

وعلى المسلم أن يعلم ويتعلم من ذلك أن القول لا بد أن يطابق الاعتقاد والعمل إذ إن ذلك هو مقتضى ما تدل عليه عبارة الحديث.



المجاورة بمكة المكرمة والمدينة المنورة وبيت المقدس

خلق الله الأرض معاشاً وموئلاً للإنسان وسخّر الله له فيها مخلوقاته، وجعل مكة مركز الكرة الأرضية خير بلاد الله وفضلها على غيرها كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [آل عمران: ٩٦].

وجاء في الحديث عن عبد الله بن عدي بن الحمراء أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**والله إنك لخير أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت**»(١).

وبهذا يقول أكثر العلماء ويأتي بعدها في الأفضلية المدينة المنورة فهي مهاجر رسول الله ﷺ والمسلمين، وقد قال النبي ﷺ فيما رواه أبو هريرة: «**والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون**»(٢).

وتستحب المجاورة بهما لما ورد فيهما من الثواب والأجر وذلك لمن يبذل جهده وطاقته في أداء العبادات والطاعات ويتجنب المعاصي والآثام، وكره بعض السلف المجاورة بمكة لما فيها من مضاعفة السيئات أو تعظيمها.

وقد ورد في مضاعفة الصلوات فيها ما رواه البزار والطبراني من حديث أبي الدرداء وفيه «**الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة**

---

(١) أخرجه الترمذي ١٣/ ٢٨٠ عارضة الأحوذي، وابن ماجه ٢/ ١٠٣٧.

(٢) أخرجه مسلم برقم ١٣٨.

والصلاة في مسجدي بألف صلاة والصلاة في بيت المقدس بخمسمائة صلاة» قال ابن تيمية إنه الصواب وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«الصلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، والجمعة في مسجدي هذا أفضل من ألف جمعة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وشهر رمضان في مسجدي هذا أفضل من ألف شهر رمضان فيما سواه إلا المسجد الحرام»**[١].

وقد روي عن بعض العلماء أن المضاعفة للحسنات تشمل غير الصلاة من الأعمال الصالحة فقد جاء عن الحسن البصري أن صوم يوم في مكة بمائة ألف يوم وصدقة درهم بمائة ألف درهم وكذلك كل حسنة بمائة ألف. وقد جاء ذكر الصلاة من باب البيان وليس الحصر.

قال الغزالي[٢] بعد ذكره لحديث أبي هريرة رضي الله عنه: **«صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام»** متفق عليه[٣].

وكذلك كل عمل بالمدينة بألف، قال الشيخ تقي الدين ابن تيمية نقلاً عن الجمهور استحباب المجاورة بمكة قالوا: لأن في المجاورة بها من تحصيل العبادات وتضعيفها ما لا يكون في بلد آخر، وهذا من فضل الله وكرمه ولأن الصلاة فيها تتضاعف هي وغيرها من الأعمال وقطع به الشيخ موفق الدين بن قدامة في استدلاله لأفضلية صدقة التطوع في الأوقات والأماكن المعظمة[٤].

(١) حديث أبي الدرداء أخرجه الطبراني في الكبير، الجامع الصغير للسيوطي ٢/١١٩، وحديث جابر رواه البيهقي فأخرجه في فضل الصلاة في السنن الصغير ٢/٢١١ برقم ١٧٧٣.

(٢) إحياء علوم الدين، للغزالي ١/ ٢٥٠.

(٣) أخرجه البخاري برقم ١١٩٠، ومسلم برقم ٣٣٧٦.

(٤) الآداب الشرعية، لابن مفلح ٣/ ٤٣٦.

أما إذا كان المسلم يزيد إيمانه وأعماله الصالحة في مكان إقامته وسكنه في غيرها فمكانه الذي يقيم فيه أولى له: قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «المجاورة بمكان يكثر فيه إيمانه وتقواه أفضل حيث كان»[1].

وقال الغزالي[2]: أما المقام فالأولى بالمريد أن يلازم مكانه إذا لم يكن قصده من السفر استفادة العلم مهما سلم له حاله في وطنه فإن لم يسلم فيطلب من المواضع ما هو أقرب إلى الخمول وأسلم للدين وأفرغ للقلب وأيسر للعبادة فهو أفضل المواضع له.

وقد تعلمت بل تمنيت أن أجاور بأي منها وأن يوفقني الله لزيادة الإيمان والعمل الصالح بكافة وجوهه بعيداً عن الرياء والسمعة كي يزيد المسلم رصيده الباقي من الحسنات إنه نعم المولى ونعم المعين.



(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٧/٣٩.
(٢) إحياء علوم الدين، للغزالي ١/٢٥١.

١٢

حرص الإنسان على ما ينفعه وألا يهتم بالمعوقات

على الناس في هذه الحياة أن يتعاملوا بالأخلاق الحسنة ومكارم الأخلاق كي تسير أمورهم بيسر وتنتشر بينهم المودة والمحبة، إن البشر مختلفون في طبائعهم وأخلاقهم فتجد فئة منهم تشغل نفسها بما لا يعنيها وذلك بالتدخل في شؤون الناس وسبهم وذكر معايبهم وانتقادهم، ويهتم بعض الناس كثيراً بكلام غيرهم فيهم وقد يؤثر ذلك عليهم سلباً في مسيرة حياتهم وتكون أمنيتهم لو استطاعوا إيقاف ذلك ولكن هيهات.

ورد في الخبر أن موسى عليه السلام سأل الله تعالى أن يقطع عنه أَلسنة الناس فأوحى الله لموسى لم أجعل ذلك لنفسي فكيف أجعله لك؟[(١)].

فكثير من الناس يسب الله ويتسخط منه ولم يمنعه الله عن ذلك أو يصرفه وهو بلا ريب يمهله عسى أن يتوب أو يؤجل له الجزاء يوم الدين وقد ينتقم الله منه شر انتقام.

وقال عيسى عليه السلام: لا يحزنك قول الناس فيك، فإن كان كاذباً كانت حسنة لم تعملها وإن كان صادقاً كانت سيئة عجلت عقوبتها[(٢)].

وقال أبو الدرداء: أدركت الناس ورقاً لا شوك فيه فأصبحوا شوكاً لا ورق فيه، إن عرفتهم نقدوك وإن تركتهم لم يتركوك. قالوا: كيف نصنع؟ قال: تقرضهم عرضك ليوم فقرك[(٣)].

---

(١)و(٢) الآداب الشرعية، لابن مفلح ٩/١، مكتبة الرياض الحديثة ١٣٩١هـ.

(٣) إحياء علوم الدين، للغزالي ٣/ ١٧٤.

ويروى عن الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: أنه كان يقول: احرص على ما ينفعك ودع كلام الناس فإنه لا سبيل إلى السلامة من كلامهم، وقد تكلم شخص بإساءة إلى الشعبي فقال له الشعبي:

إن كنت صادقاً فغفر الله لي وإن كنت كاذباً فغفر الله لك.

إن ذلك قمة السماحة والعفو فهل نستطيعه؟

وقد قال الشاعر[١]:

من راقب الناس مات غماً   وفاز باللذة الجسور

وقال بشار بن برد:

من راقب الناس لم يظفر بحاجته   وفاز بالطيبات الفاتك اللهجُ

فمن يهتم بقول الناس فإنه يشغل نفسه بما لا طائل تحته ويعيق مسيرة تقدمه في الحياة.

وقد تعلمت من ذلك ومما مر بي من تجارب الحياة ألا أهتم كثيراً مما يقال عني فإن كان خيراً قلت: اللهم اجعلني خيراً مما يظنون واغفر لي ما لا يعلمون، وإن كان غير ذلك فإني لا ألقى له بالاً ولا أقبل من أحد أن يرويه لي لأن مجرد سماعي له فضلاً عن تفكيري فيه يشغلني عن اهتمامي والنظر فيما ينفعني ديناً ودنيا، فاللهم سددني وخذ بيدي لما فيه صلاح أمري.



(١) الشاعر: هو سلْم بن عمرو بن حماد الحاسر، توفي في حدود ١٨٠هـ.

درجات الصداقة والصحبة

الصداقة من الصدق وهو الأمر الصالح لا شيبة فيه من نقص أو كذب.

والصديق: الصاحب الصادق الود جمعه أصدقاء وهو مشتق من الصدق، يقال: صديقك من صدقك.

والصداقة: هي تطابق اثنين أو أكثر في كل الصفات أو معظمها بحيث لا يطمئن أحدهما إلا مع الآخر، وكلما زاد التطابق قويت الصداقة، ومصداق ذلك الحديث «**الأرواح جنود مجنده فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف**»[1].

وليس كل من يعرفه الإنسان صديقاً له بل إن المراتب ثلاث وهي:

١ ـ التعارف: وهو معرفة الناس بعضهم بعضاً كي يتعارفوا في أمور حياتهم ومعاشهم قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ...﴾ [الحجرات: ١٣].

٢ ـ وهي فوق مرتبة التعارف كأن يكون مع غيره في دراسة أو عمل أو نحوها وهذه يمكن أن يطلق عليها اصطلاحاً: الزمالة. بأن يكون زميل دراسة أو عمل ونحو ذلك وهؤلاء لا يعول عليهم في تعاملك معهم، فكثير منهم يكون سحابة صيف عما قليل تقشع، ولقد خبرت منهم أناساً يكونون كأفضل مما تريد وتتعجب من ذلك فما يلبث الأمر حتى

---

(١) رواه مسلم ورقمه ٢٦٣٨.

يتغيروا وكأنك لم تعرفهم من قبل، هذا إن لم يتغيروا ويكونوا أعداء، وفي الحقيقة لا عجب من ذلك فهؤلاء هم أصحاب المصالح ما ظنوا أن لهم فائدة معك، ومنهم أصدقاء الكرسي بالنسبة للمسؤول بحيث إذا ذهب الكرسي ذهبوا معه، وكأنك لم تعرفهم من قبل وهؤلاء لا يأسف المرء عليهم لأنهم النفعيون وبعدهم خير من قربهم.

٣ ـ المرتبة الثالثة وهي أعلى من التعارف والزمالة وهو الصديق وهذا الوصف لا ينطبق إلا على من صدقك وده وأخلصك مودته بحيث يكون الاثنان كروح في جسدين.

قال ابن المقفع: ابذل لصديقك دمك ومالك ولمعرفتك رفدك ومحضرك وللعامة بشرك وتحيتك ولعدوك عدلك وضن بدينك وعرضك عن كل أحد[١].

يقول الغزالي في[٢] الصداقة: تتفاوت درجاتها فإنها إذا قويت صارت أخوة فإن زادت صارت محبة فإن ازدادت صارت خلة والخليل أقرب من الحبيب، فالمحبة ما يتمكن من حبة القلب والخلة ما تتخلل سر القلب فكل خليل حبيب وليس كل حبيب خليل.

وقد آخى الرسول ﷺ بين أصحابه لتزيد ألفتهم ومحبتهم لبعض ويقوى تناصرهم، فإذن ليس قبل المعرفة رابطة وليس بعد الخلة درجة.

والدليل على أن الخلة أعلا تلك المراتب قوله ﷺ في حديث أبي سعيد الخدري: «**لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، إن صاحبكم خليل الله**»[٣]. وقوله تعالى في حق ابراهيم عليه السلام: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥].

---

(١) عيون الأخبار، لابن قتيبة ٣/ ١٥.

(٢) إحياء علوم الدين ٢/ ١٩٠، مطبعة الحلبي بمصر ١٣٥٨هـ.

(٣) رواه البخاري في كتاب فضائل النبي ﷺ برقم ٣٦٥٦، ومسلم واللفظ له برقم ٦١٧٦.

قال ثعلب: إن الخليل سمي خليلاً لأن محبته تتخلل القلب فلا تدع فيه خللاً إلا ملأته.

وينبغي للمرء أن يختار صديقه ممن تتوافر فيهم خمس خصال:

١ ـ أن يكون ذا دين وتُقى واستقامة كي يعينك على الطاعة قال تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ۝٦٧﴾ [الزخرف: ٦٧].

٢ ـ أن يكون متمتعاً بالأخلاق الحسنة كالصدق والأمانة والإخلاص وغيرها من مكارم الأخلاق، ولا خير في صحبة الفاسق لأن من لا يخاف الله لا يؤمن جانبه ولا يوثق بصداقته لأنه يتغير بتغير الأغراض روي عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه «عليك بإخوان الصدق تعش في أكنافهم فإنهم زينة في الرخاء وعدة في البلاء»[1].

ولأن الصديق يؤثر في صديقه خيراً وغيره كما جاء في الحديث: **«إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيباً، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك أو أن تجد منه ريحاً خبيثة»**[2].

فلا يصاحب الإنسان الكذاب لأنه يغره، وهو مثل السراب يقرب له البعيد ويبعد منه القريب، والصديق الصالح الصادق من أفضل النعم والراحة في هذه الحياة. قال الشاعر:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي
إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ولا تصحب الأردي فتردي مع الردي

٣ ـ أن يكون عاقلاً فلا خير في صحبة الأحمق (العجول ـ يتصرف

---

(١) إحياء علوم الدين، للغزالي ٢/ ١٦٩.

(٢) أخرجه البخاري في باب المسك ورقمه ٥٥٣٤، ومسلم في باب مجالسة الصالحين برقم ٦٦٩٢.

ثم يفكر ـ سرعة الغضب) فإنه يريد أن ينفعك فيضرك، والعاقل هو الذي يفهم الأمور على ما هي عليه إما بنفسه وإما إذا فهم منها.

٤ ـ أن يكون ذا علم تستفيد من علمه في مجالات الحياة، فلا تصحب الجاهل فإنك لا تستفيد من صحبته علماً ينير لك دربك في الدنيا ويوصلك إلى الجنة في الآخرة.

وقال بعض الأدباء: لا تصحب من الناس من لا يكتم سرك ويستر عيبك فيكون معك في النوائب ويؤثرك في الرغائب وينشر حسنتك ويطوي سيئتك فإن لم تجده فلا تصحب إلا نفسك.

٥ ـ أن يرى لك عليه من الحق مثل ما يرى لنفسه عليك ولا يرى لنفسه عليك فضلاً فإنه إن رأى لنفسه عليك فضلاً أتعبك ولم يقتنع بما تقدمه له من محبة وإكرام وتقدير؛ لأنه يرى أن ذلك حقه كما أنه يستكثر ما يصدر منه لك ويرى نفسه متفضلاً به عليك، وهذا لا يمكن أن تدوم صحبته.

قال علي رضي الله عنه: شر الأصدقاء من أحوجك إلى مداراة ومن تكلف لك وألجأك إلى اعتذار[1]. بل يكون الصديق مع صديقه كما يكون الشخص مع نفسه دون تحفظ ولا تكلف. قال جعفر الصادق: أثقل إخواني علي من يتكلف لي وأتحفظ منه وأخفهم على قلبي من أكون معه كما أكون وحدي. وقد قيل: من سقطت كلفته دامت ألفته ومن خفت مؤنته دامت مودته.

٦ ـ ألا يكون ممن يحبون الترؤس والغلبة؛ لأنه لا يكون منصفاً في صداقته فقد يحمله الكبر والخيلاء على الاستهانة بصديقه والنيل منه وغمطه حقه فتتحول الصداقة إلى العداوة والضغينة.

---

(١) إحياء علوم الدين، للغزالي ٢/ ١٨٦.

فإذا تحققت فيه هذا الصفات فتمسك به لأن الصديق تأنس به ويكون لك عوناً على الشدائد قال عمر بن الخطاب: لقاء الإخوان جلاء الأحزان.

ومن كلام أحد الحكماء: صديق مساعد عضد وساعد

قال الشاعر:

وقارن إذا قارنت حراً فإنما يزين ويزري بالفتى قرناؤه
إذا المرء لم يختر صديقاً لنفسه فناد به في الناس هذا جزاؤه

وقد تعلمت من الحياة أن الصديق قليل بل هو نادر لعلك تظفر بواحد منهم فتكون حياتك طيبة تنعم بها بالسعادة في الدارين فإذا ظفرت بذلك فتعامل معه باعتدال ولا تسرف بالمحبة له وكشف أسرارك كما أنك لا ينبغي أن تسرف في عداوة أحد فلربما تتغير الأمور ويصبح صديقاً لك بل كن كما قيل: أحبب حبيبك هوناً فعسى أن يكون بغيضك يوماً ما وأبغض بغيضك هوناً فعسى أن يكون حبيبك يوماً ما. وكن على حذر من كشف أمورك وأسرارك فلربما تغير الصديق وأصبحت أسرارك سلاحاً عليك وهذا عند بعضهم ممن لا يكن الوفاء سجية له. وسر في تعاملك معه وفقاً للمثل العربي: احذر عدوك مرة واحذر صديقك ألف مرة؛ لأنه يعرف عنك ما لا يعرفه غيره واتخذ مما ورد عن الصحابي العالم الجليل عبد الله بن مسعود ﷺ أسوة حيث قال: لا تعجلن بمدح أحد ولا بذمه فإنه رب من يسرك اليوم يسوءك غداً.

قال النجاشي الشاعر:

إني امرؤ قلما أثنى على أحد حتى أرى بعض ما يأتي وما يذر
لا تحمدن امرأً حتى تجربه ولا تذمن من لم يبله الخبر

واحذر من المجادلة والمماراة مع الصديق قال ابن مسكويه: إن مماراة الصديق تقتلع المودة من أصلها لأنها سبب الاختلاف،

والاختلاف سبب التباين الذي هربنا منه إلى ضده وقبحنا أثره واخترنا عليه الألفة. وكم رأيت من أصدقاء حصل بينهم الجدال والمراء فانتصر كل منهم لنفسه وتغيرت أحوالهم من المودة إلى البغضاء ومن الألفة إلى الفرقة والنفرة[١]. وعليك أن تعلم أنه ليس أحد كاملاً، وإن كل امرئ فيه من المحاسن وفيه من العيوب، ولست أنت كاملاً حتى تطلب الكمال فعليك التغاضي عن بعض العيوب والتسامح عن كثير من الأخطاء وإلا فإنه لن تدوم صداقة مع أحد مطلقاً، وتمثل قول الشاعر:

من ذا الذي ترضى سجاياه كلها   كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه

وقال الشاعر:

ولست بمستبق أخا لا تلمه   على شعث أي الرجال المهذب

والله الهادي إلى سواء السبيل



(١) تهذيب الأخلاق، لابن مسكويه ص١٦٧، مكتبة صبيح القاهرة ١٣٧٨هـ.

١٤

هل أفضلية كل أمة على أخرى بجنسها وعنصرها أم بأخلاقها وأعمالها؟

خلق الله البشر من أب واحد هو آدم وأم واحدة هي حواء ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

وهم متساوون في الخلق وفي القدر والإنسانية، وأرسل الله الرسل بالدين الحق لدعوة الناس إلى عبادته وتوحيده من لدن آدم إلى محمد عليهم الصلاة والسلام، فمن الناس من آمن وأسلم فأولئك هم خير البشر لاتباعهم طريق النجاة في الدنيا والآخرة، ومنهم من صد وكفر وأولئك هم شر البرية.

وقد ألقى الشيطان في قلوب بعض الأمم أنهم أفضل عنصراً وعرقاً من غيرهم.

فاليهود يرون أنهم شعب الله المختار، وأنهم يمتازون على البشر بعنصرهم وأن الشعوب الأخرى إنما خلقت لخدمتهم فجاء في التوراة المحرفة في سفر التثنية وفي الإصحاح العاشر س١٥ ص٢٩٦: ولكن الرب إنما التصق بآبائك ليحبهم فاختار من بعدهم نسلهم الذي هو أنتم فوق جميع الشعوب كما في هذا اليوم. وجاء في سفر الخروج الإصحاح ١٩ س٥ ص١١٨: وأنتم تكونون لي خاصة من بين الشعوب.

وقد جاء في الإصحاح العشرين من سفر الخروج ص١٢٠: لا

تشهد على قريبك شهادة زور، لا تشتهي بيت قريبك، لا تشتهي امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا شيئاً من مال قريبك؛ أي: أن ما عدا بني إسرائيل يختلف عنهم ولا يعامله كمعاملة اليهودي، وصدق الله إذ يقول: ﴿قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥].

إن الله تعالى لم يجعل فضلاً لبشر على غيره بجنسه وعنصره كما يدعي اليهود وينسبونه إلى التوراة كذباً وزوراً، بل كلهم متساوون ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]. فالكرامة للبشر تقاس بمدى تقواهم لله وتوحيدهم وعبادتهم له حق عبادته وهذا هو ما جاء به الإسلام وأكدت عليه مبادئه السامية كما قال رسول الله ﷺ: «**لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي إلا بالتقوى، كلكم لآدم وآدم من تراب**»[(١)].

وقد يوجد من بعض الشعوب إدعاء أفضلية على غيرها، كما كان العرب في الجاهلية وغيرها من الأمم، ولكنهم لا يستندون في ذلك إلى مبادئ وأسس دينية كما زعم اليهود.

ومع ما يدعيه اليهود من فضل عنصرهم على جميع الشعوب بما فيهم الشعوب الغربية فإنا نرى الغرب يتعاون معهم ويدعمهم بكل شيء ضد أصحاب الحقوق من المسلمين وغيرهم كما في فلسطين، وكان الأوْلى الوقوف ضد عنصريتهم من جميع شعوب العالم حتى يعلموا أن اعتقادهم خاطئ وأنهم كغيرهم من الشعوب دون تمييز أو تفضيل بل التمييز للأخلاق والأعمال النافعة التي تعود على المرء والمجتمع والعالم بالخير والسعادة والرخاء.



(١) رواه أحمد ٥/٤١١.



القراءة الفاعلة لا المتلقية

حياة جسم الإنسان بالغذاء والماء، وحياة قلبه بالدين والإيمان، وحياة فكره وعقله بالعلم والثقافة، وعلى المرء أن يستفيد من وقته بتخصيص ساعة أو أكثر يومياً يطلع من خلالها على ما صدر وأنتج من كتب ومؤلفات في شتى المجالات شرعية ولغوية وتاريخية وفي الجغرافيا والأدب والإدارة والاجتماع وغيرها من العلوم، كي يزيد ثقافته وينمي فكره، فالفكر يتغذى وينمو بما يستفيده الإنسان من قراءاته وخبراته المستقاة من تجاربه.

إن على المرء أن يقرأ كثيراً ما أمكنه ذلك، وأن تكون قراءاته بعين وفكر الفاحص الذي يقبل ما تؤيده الأدلة والحقائق وينفي ما عداها مما تكذبه الأدلة والحقائق، ويتريث فيما لا يتبين له وجه الحق فيه من ذلك حتى يبحث ويصل بالدراسة إلى عين الحقيقة، وبذلك يكون الإنسان فاعلاً ذا شخصية مؤثرة غير متأثرٍ بكل ما يقرأه.

إن بعض القراء لا يستعملون عقولهم فيما يقرؤونه بل يأخذونه أمراً مسلماً غير قابل للشك والتمحيص، وهؤلاء يعدون عالة على الثقافة لا يضيفون شيئاً مفيداً إلى الفكر والثقافة والوعي.

إن الإسلام قد سن مبدأ قوياً في التعامل، وأن على المسلم أن يتثبت في كل شؤونه، ومنها قراءاته فيقبل ما يصدقه الدليل والواقع وينفي ما عداه.

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦].

وقد علمتني تجربتي في الحياة ما أقدمه لك أخي للاستفادة منه:

١ ـ أن تكون القراءة حسب مستوى الإنسان العمري والعلمي فلكل ما يناسبه ويستطيع الإبداع فيه.

٢ ـ القراءة بتجرد دون حكم مسبق في أي موضوع حتى يمكن للمرء أن يستوعب الموضوع وبعد ذلك يحكم بما يتبين له، فالحكم على الشيء فرع عن تصوره كما يقول العلماء.

٣ ـ أن يقرأ المتمكن في علمه وثقافته لكل مؤلف يظن من تأليفه الفائدة وألا يختار مؤلفاً معيناً يقرأ له دون غيره.

٤ ـ أن تكون القراءة بعين الناقد لا المتلقي المسلِّم بما يقرأه، وذلك يفيده أكثر حيث يستوعب الموضوع أولاً ثم يبين ملاحظاته فإن كانت ذات قيمة ناقشها مع من يثق بعلمه وفكره. وبعد اتفاق معه فيما نقده يمكن التنبيه على ذلك كي تعم الفائدة ويكون القارئ مشاركاً في البناء الثقافي للمجتمع.

٥ ـ أن يسجل القارئ ملاحظاته وما استفاده في الصفحات البيضاء الأولى من الكتاب أو في سجل منظم كي يسهل الرجوع إليها عند الحاجة في التأليف والكتابة وغيرها.



١٦

هل النصر والغلبة بكثرة العدد والعدة؟

منذ فجر التاريخ والأمم يصارع بعضها بعضاً فتكون الغلبة لأمة على أخرى حسب قوتها عدداً وعدة.

وأرسل الله الرسل لأممهم كي يبشروهم بالدين الحق وينذروهم مغبة معصيتهم، وقد خالف كثير منها فأعز الله رسله ونصرهم على الكافرين مع قوة الكافرين وتفوقهم عدداً وعدة، قال تعالى ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر: ٥١]، وقال تعالى ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

ونرى الأمم والدول في العصر الحاضر تملك القوة والعدة ويعتدون على غيرهم ويستبيحون ديارهم ودماءهم وأموالهم ظلماً وعدواناً ثم يكون من الأمة أو الدولة المعتدي عليها فئة لا تقبل الظلم والقهر فتتصدى للمعتدي مقاومة بشتى المجالات الممكنة دون أن يكون هناك مماثلة أو مقارنة بين قوة المعتدي والمعتدى عليه فينتصر المغلوب على أمره على الظالم، وما ذاك إلا أن الظلم مرتعه وخيم. وكما قيل: تبقى دولة الكفر إذا كانت عادلة، ولا تقوم دولة الإسلام إذا كانت ظالمة، فكيف إذا كانت دولة الكفر ظالمة؟

إن السنن الكونية تدل على أن جولة الباطل ساعة، ودولة الحق إلى قيام الساعة، وخير مثال على ذلك ما حدث في فيتنام وغيرها، وكما يحدث من الظلم والعدوان على كثير من دول الإسلام، ومع أن المعتدى

عليها لا تتوافر لها إمكانات تتصدى بها للمعتدي إلا أن الشعب يقاوم بما يستطيع وترى ذلك عياناً في فلسطين حيث إن قوة المعتدي الغاصب من اليهود تدفعه إلى الغطرسة وقتل الصغير والكبير وحرق الأخضر واليابس، ومع ذلك تجد المقاومة الصامدة بإمكانات بسيطة وترى بشائر الانتصارات فيما يتحقق لهم، وهذا مثال جعله الله كي لا يصل اليأس إلى قلوبنا، فإنه وإن كان العدو بما هو عليه فإن النصر إنما هو من عند الله العزيز الحكيم ولكن على المسلمين الأخذ بأسباب النصر الممكنة. وقد تعلمت مما قرأت ورأيت في ذلك:

١ ـ أن الحق يعلو ولا يعلى عليه، وأن صاحب الحق يجب عليه أن يكون متمسكاً به مدافعاً عنه.

٢ ـ أن الظلم والعدوان يحكم على نفسه بالفناء وأن يومه آت لا محالة؛ لأن الكون مقام على العدل.

٣ ـ أن النصر منذ أرسل الله الرسل لهم على مخالفيهم، ليس بكثرة عدد ولا عدة وإنما هو بالصبر والإيمان وإعداد العدة الممكنة قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦١]، وليس شرطاً أن تكون مساوية بعدة العدو ولا مقاربة لها، قال تعالى: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٢٦]، ولكن على المسلمين الأخذ بالأسباب الممكنة وأهمها الإيمان بالله وأن يكون الدفاع مبنياً على العقيدة والدفاع عن المسلمين ومقدساتهم.

٤ ـ أنه على مدار التاريخ يهيئ الله من يهزم القوة الجبارة ممن يقلون عنهم في الإمكانات كلها كي يكون دافعاً للمظلومين في التمسك بحقوقهم وعدم الانصياع لإرادة الظالم الجبار، وذلك كما يقال: النور في آخر النفق.

٥ ـ أن المسلمين قوة كبيرة لا يستهان بها في كل المجالات،

ولكن المشكلة إنما هو في التفرق وحساب المصالح كل على حدة، ولا بد من التعاون والتكاتف لأن ذلك مصلحة للجميع في كل أمورهم وعز لهم مع غيرهم قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣]. وإن النصر قادم لا محالة كما أخبر عنه الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام ولكن ندعو الله أن يحققه عاجلاً ونراه بأعيننا ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ﴾ [الروم: ٤، ٥].



١٧

أعطوا الطريق حقه

الطريق حق عام لكل الناس من حيث السير فيه ونظافته وعدم الاعتداء عليه بالتجاوز أو الأذى.

وقد أولى الإسلام عنايته في المرافق والخدمات العامة ومنها الطرق، ومما جاء في ذلك حديث «**إياكم والجلوس في الطرقات** قالوا: يا رسول الله ما لنا بد من مجالسنا قال: **إذا أبيتم إلا الجلوس فأعطوا الطريق حقه**، قالوا: وما حق الطريق؟ قال: **غض البصر وكف الأذى ورد السلام**»[1]، يندرج تحت كل جملة من الحديث معانٍ كثيرة، فالنبي ﷺ قد أوتي جوامع الكلم. ومن ذلك ما يأتي:

١ ـ فجملة «**غض البصر**»: يفهم منها ألا يتطاول الإنسان ببصره إلى ما لا يعنيه من التدخل بخصوصيات الناس وانتقادهم، أو غير ذلك مما يترتب على إطلاق البصر في الناس وأمور حياتهم.

٢ ـ «**كف الأذى**» وهذه عبارة عامة تشمل كل ما يترتب عليه أذى أو إساءة للآخرين، ويندرج في ذلك ما يرمى في الطرقات من المخلفات بأنواعها وما يترتب عليها من تلوث وآثار سلبية على صحة المجتمع، ويدخل فيه حصول الأذى على الناس باستخدام السيارات والسير في الشوارع مما يخالف أنظمة المرور التي وضعت للمصلحة من قطع للإشارات المرورية وترويع الآمنين من المشاة وأصحاب السيارات

(١) أخرجه مسلم برقم ٢١٢١.

الأخرى وقد ورد: «**روع الله من روع مسلماً**». بل قد يؤدي إلى حوادث سيئة يذهب ضحيتها أرواح ويخلف معاقين، ومع الأسف يظن بعض الناس أن التقيد بأنظمة وتعليمات المرور إنما هو خشيته من رجال المرور، فإذا قام بالمخالفة ولم يتم كشفه وضبطه متلبساً فإنه قد سلم ونجا من المجازاة، وما علم أنه قد كتبت عليه هذه المخالفة في سجل سيئاته وسيجازى عليه غداً، قال تعالى ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف: ٤٩]. ولو تم مجازاته في الدنيا لكان خيراً له.

٣ ـ «**رد السلام**» ولذلك معنى وهو إشاعة الأمن والسلام، وبذلك تعم المحبة والمودة والأمن والسلام بين أفراد المجتمع مما يدفع إلى البناء والعطاء.

وقد تعلمت أن لتعاليم الإسلام من الكتاب والسُّنَّة المنزلة الأهم في التزام المسلمين بأداء أعمالهم كلها، فحياة المسلم كلها يجزى على ما يعمله فيها خيراً أو غيره قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢].

ولكن يبقى توعية الناس بأهمية التقيد بها فيما يعود بالنفع على الناس دنيا وأخرى وأنه مثاب أو معاقب على كل ما يصدر منه من أقوال وأفعال في كل شؤونه.



إدارة الوقت وأهميته

الوقت والزمان هو الحياة، وهو عمر الإنسان وأنفس ما يملكه، إذ فيه حياته وما ينفعه في دنياه وآخرته وقد أقسم الله به في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾ [العصر: ١، ٢].

وقال: ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾ [الفجر: ١، ٢] وقال: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢﴾ [الليل: ١، ٢]، وقد ورد في الحديث: أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربع**، وذكر منها: عن عمره فيما أفناه»[1].

وأركان الإسلام كالصلاة والزكاة والصيام والحج كلها محددة بأوقات وأزمنة لا يجوز عملها قبلها ولا بعدها، إن تطبيق إدارة الوقت في جوانب إدارة الدولة الإسلامية كان سمة وعلامة بارزة منذ عصر الخلفاء الراشدين وحتى بدء الضعف في حياة الدولة والأمة الإسلامية وهذا يدل دلالة أكيدة على عناية الإسلام في الوقت وتنظيمه والاستفادة منه على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع والأمة.

ولقد اهتمت الحضارات الحديثة بالوقت إدارة وتنظيماً وضبطاً من حيث بدء الأعمال ونهايتها في الحكومات والشركات والمؤسسات وأصبح لذلك قيمة مادية يقاس بها مدى إنتاجية الموظف والعامل ومدى نجاح الأعمال المختلفة اقتصادية وسياسية واجتماعية وغيرها.

---

(١) رواه الترمذي رقم ٣٤١٧.

إن معهد الإدارة يهتم بكل ما يساعد على التطور والتنظيم في مجالات الإدارة في القطاع الحكومي والأهلي ويقيم كثيراً من الحلقات التطبيقية في مجال الإدارة لمسؤولي الدولة والشركات، ومن ضمنها إدارة الوقت وكنت من بين المشاركين فيها وكان كلام المحاضر يدور عما قيل في إدارة الوقت من المؤلفين المختصين الغربيين ولم أر أحداً منهم قد تطرق إلى ما يوجد عن الوقت وأهميته وإدارته في الحضارة الإسلامية، وقد طلبت الحديث عن ذلك بعد الإشادة في جهود المعهد في تطوير الإدارة وأنه ينبغي لأساتذة المعهد أن يعتنوا بالبحث والدراسة في كل الجوانب الإدارية والتي كانت وما زالت من اهتمامات الإسلام في الحياة بعامة وفي الإدارة بخاصة، وأنه لا مانع من الاستفادة مما لدى غيرنا من الأمم بعد تطبيق ما لدينا، وأنه لا يناسب أن يكون دور المعهد دور المتلقي عما تصدره الحضارة الغربية فقط وكأننا أمة فقيرة في هذا الجانب وغيره، وتلك مسؤولية المعهد وأمانة أساتذته التي سيسألون عنها، فعلى أبناء الأمة أن يقدموا ما لديهم من ثراء في الجوانب الإدارية في محاضراتهم ويتمثلونه في أعمالهم وأن يبينوا للأمم الأخرى غناء الحضارة الإسلامية في كل جوانب الحياة ومنها الأمور الإدارية، وأن الوقت شرط أساس في كل عبادات الإسلام وأركانه المهمة.

وقد استفدت من ذلك أنه ينبغي لنا أفراداً وجماعات أن نعرف قيمة الوقت وتنظيم أعمالنا فيه كي تتحقق الاستفادة المثلى في كافة شؤون الحياة الدنيا والآخرة بما يقدمه المسلم من أعمال صالحة نافعة للفرد والمجتمع والأمة، وأن ننظم مواعيدنا ونلتزم بها بكل دقة قال تعالى في ثنائه على نبيه إسماعيل عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ [مريم: ٥٤].





برنامج العمل اليومي

جعل الله الليل والنهار خِلفَة لمن أراد أن يذكّر أو أراد شكورا، وجعلها زماناً يعيش الإنسان فيه ويؤدي واجباته ويأخذ حقوقه، فعلى المسلم أن يستفيد من دقة التنظيم في هذا الكون وقتاً وعملاً، وذلك بأن يستغل كل برهة فيه بما ينفعه دنيا وأخرى وأقترح أن يكون البرنامج اليومي كالآتي وفقاً لما استفدته من قراءاتي وشيئاً من تجربتي وما تعلمته من الحياة.

١ ـ أن يستيقظ قبل أذان الفجر بنصف ساعة على الأقل ويبدأ بالذكر الوارد في ذلك ثم يصلي ركعتين يناجي فيها ربه ويقرأ فيها ما لا يقل عن عشر آيات كي يكتب له قيام الليل ثم يصلي الوتر إن لم يكن قد أدى الوتر قبل، وبعد ذلك يظل يذكر الله ويدعو بما شاء حتى أذان الفجر.

٢ ـ يذهب إلى المسجد ويؤدي السُّنَّة الراتبة ثم يقرأ ما تيسر من القرآن الكريم إلى إقامة الصلاة.

٣ ـ يقرأ الذكر الوارد بعد صلاة الفجر.

٤ ـ يجلس في المسجد إن أمكن إلى ما بعد طلوع الشمس وحلول وقت صلاة الضحى ويؤديها ركعتين أو أربعاً أو أكثر لما ورد في فضل ذلك من الأحاديث.

٥ ـ يرجع إلى منزله فإن كان الوقت شتاء يتناول طعام الإفطار ثم

يذهب إلى عمله وإن كان صيفاً وله رغبة في النوم فإنه ينام إلى وقت ذهابه إلى العمل.

٦ ـ يذهب إلى عمله مبكراً في أول وقته فهو أمانة يسأل عنها أمام الله، وبعد انتهاء وقت العمل يعود إلى منزله ويتناول الغداء ويستريح بعده للنوم إن كان ثمة وقت ثم يقوم لصلاة العصر وبعدها يكون في مكتبته كي يقرأ وينمي ثقافته ويزيد معرفته في مجال تخصصه وغيره من المجالات حتى ينال من كل فن بطرف.

٧ ـ يقرأ الأذكار المسائية ثم يؤدي صلاة المغرب والأذكار بعدها ثم يؤدي السُّنَّة الراتبة ركعتين، وبعد المغرب يخصص للزيارات العائلية والعلاقات الاجتماعية ويكون محتسباً الأجر في ذلك كي يضيف الحسنات إلى رصيده وينعم بالسعادة ومحبة الآخرين.

٨ ـ يؤدي صلاة العشاء والورد بعدها ثم يصلي السُّنَّة الراتبة ركعتين.

٩ ـ يخصص الوقت من ساعة إلى ساعتين للعائلة وتناول طعام العشاء معهم.

١٠ ـ ينام مبكراً ما استطاع في حدود الساعة العاشرة إلى الحادية عشرة فالنوم مبكراً يساعد على الاستيقاظ مبكراً وبنشاط وصحة وحيوية.

١١ ـ يحاول الذهاب إلى المسجد قبل أو مع الأذان كي يؤدي النوافل ويقرأ القرآن بحيث يختم كل شهر على الأقل.

١٢ ـ هذا البرنامج مثالي ولكنه واقعي ممكن التطبيق لمن وفقه الله ولا بأس بتعديله زيادة أو نقصاً حسب الظروف والإمكانات.

والتقيد بهذا البرنامج يدفع الإنسان إلى التنظيم والدقة في كل شؤونه والتزود من العمل الصالح.

دور كل من الرجل والمرأة في الحياة
وهل هو تضاد أم تكامل؟

خلق الله آدم من تراب وهو أبو البشر ثم خلق حواء منه قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١]، وقد خلق الله حواء من آدم وهو قادر أن يخلقها كما خلق آدم. ولكن ذلك يفهم منه أن الرجل والمرأة كأنهما نفس واحدة يكمل بعضها بعضاً.

وقد خلق الله الرجل والمرأة بصفات جسمية ونفسية وسلوكية يختلف بعضها في كل منهما، وذلك يناسب الدور المطلوب القيام به من كل منهما.

فالرجل يستطيع القيام بالأعمال التي تتطلب قوة جسمية أو تتطلب تحملاً وصبراً مما يقع خارج الأسرة.

والمرأة تستطيع القيام بالأعمال التي تناسب تكوينها النفسي والعاطفي والجسمي كتربية النشء وهي في الحقيقة عملية صعبة لا يستطيعها الرجال، وهذا العمل وتلك التربية هي صنع الأجيال وبناء المستقبل، وهي كذلك يمكنها القيام ببعض الأعمال كالطب والتعليم ونحوها.

فعلى كل منهما أن يقوم بدوره الذي يناسب تكوينه، وبذلك تقوم الحياة الإنسانية وتنتظم الأمور، وألا يحاول البعض منهم التعدي على

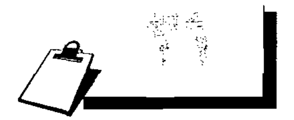
دور غيره ويتمنى ما فضل به عليه قال تعالى ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء: ٣٢]، فإذا كان الرجل قد فضل بأشياء تناسب طبيعته وتكوينه فقد فضلت المرأة بأشياء تناسب طبيعتها وتكوينها، فالمرأة فضلت بتخفيف الأعباء عليها من الجهاد وصلاة الجماعة والسفر وطلب الرزق وغيرها وجعل الأجر لها في ذلك كاملاً غير منقوص من فضل الله وكرمه عليها، وهي أفضل من الرجل بكونها أكثر منه حباً وتسامحاً وإيثاراً، وقد تجد بعض الرجال يرغبون بل ويتمنون أن يكونوا مثل النساء في يسر التكاليف التي شرعت للمرأة وتخفيف المسؤوليات التي ينوءون بحملها.

والرجل والمرأة يكمل كل منهما دور الآخر بحيث تسير الحياة نحو الأفضل بقيام كل منهما بدوره، وقد سارت البشرية على هذا المنوال ولم يحدث صراع بين الرجل والمرأة. إنك ترى في بعض وسائل الإعلام من يحاول إظهار الصراع بين الرجل والمرأة في رسالة كل منهما ودوره في الحياة، وأن المرأة تعاني من تسلط الرجل وإقصائه وغير ذلك من الكلام الذي لا يصدقه الواقع، حيث إن المرأة في مجتمعنا الإسلامي بشكل عام لها المحبة والكرامة والتقدير فهي الأم والأخت والزوجة والبنت كما هي تعاليم الدين الإسلامي، ولا يقلل من ذلك حصول حالات محدودة تخالف هذا الأصل والتي هي موجودة في كل الأمم في مختلف الأزمنة والأمكنة.

والمرأة في مجتمعنا المحلي تتمتع بكل التقدير والمحبة والإكرام وهي تماثل الرجل من حيث توفر التعليم والعمل في المجالات التي تناسبها ومساواتها له في الحقوق المالية، فعلى الذين يصورون الأمر خلافاً لذلك وأن الرجل والمرأة في حال تصادم وصراع ومعركة بحيث

إن كلاً منهما يصارع الآخر أن يتقوا الله وأن يمعنوا النظر كي يتبين لهم أن المهمة بين الرجل والمرأة إنما هي تكامل وعدل وتنويع مسؤوليات وتوزيع أدوار كي تسير الحياة بانتظام وأمان كما أرادها الله العليم الخبير، وأن يعلموا أنهم مسؤولون أمام الله عما يقولون أو يكتبون، وأن يكون عملهم في ردم الهوة إن وجدت بين الرجل والمرأة فهما أساس الأسرة وعماد المجتمع ولبنة في بناء الأمة، وألا يكونوا بوقاً يردد ما ينفثه أعداء الأمة من سموم يريدون منه أن يحدث الخلل في الأسرة والمجتمع المسلم كي يصلوا إلى ما لا يمكنهم الوصول إليه عند تماسك الأسرة وتفاهم المجتمع والمشاركة في بناء الأمة كما أرادها الله.





النصيحة أم الفضيحة؟

الإسلام دين المحبة والرحمة، والمسلم يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وغاية المسلم الوصول إلى مرضاة الله والجنة، وهو من فرط حرصه يرغب ألا يدخل الجنة وحده بل يود أن يهدي الله جميع البشر إلى طاعته وإلى طريق الجنة، ومن هذا المنطلق فإنه يقدم النصح لأخيه المسلم وغيره وقد ورد قوله ﷺ: «**الدين النصيحة**، قلنا لمن؟ قال: **لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[1] وقوله: «**فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم**»[2].

ولكن كيف يقدم المسلم نصيحته؟ وما هو الأسلوب الأمثل الذي يحقق النتائج المرجوة؟

لتقديم النصيحة آداب وطرق كي تؤدي الهدف المنشود منها.

١ ـ أن تكون النصيحة نابعة من محبة ومودة ورغبة في هداية المقدم له النصح وهذا يقتضي اللطف واللين في تقديمها بعيداً عن الفظاظة والغلظة فالله تعالى يقول: ﴿**وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ**﴾ [آل عمران: ١٥٩].

٢ ـ أن يكون من يقدم النصيحة على علم بما ينصح به وألا يكون

---

(١) أخرجه مسلم في باب النصيحة برقم ١٩٦، ورواه أبو داود في باب نشر العلم ورقمه ٣٦٦١.

(٢) رواه مسلم برقم ٦٢٢٣، وأخرجه أبو داود برقم ٣٦٦١.

في مسألة مختلف فيها بين الفقهاء ولا سيما في البلاد غير التي يقطنها.

٣ ـ ومن الأجدى كثيراً أن تكون مقدمة بأسلوب وطريقة غير مباشرة، كما رُوي أن الحسن والحسين رضي الله عنهما رأيا رجلاً يتوضأ ولا يحسن الوضوء، فبدلاً من تعليمه مباشرة طلبا منه وقد أبديا له أنهما اختلفا فيما بينهما أيهما أحسن وضوءاً وأن يحكم أيهما أفضل فبدأ أحدهما ثم الآخر ففطن لما يريدان منه وتعلم منهما الوضوء الحسن[١].

والنبي ﷺ كان كثيراً ما يعالج مثل ذلك بقوله: «**ما بال أقوام يقولون كذا وكذا**»[٢]، دون أن يذكرهم بالاسم، وهو قدوتنا ﷺ فعلينا أن نتعلم من أسلوبه وسيرة حياته في كل شؤوننا.

٤ ـ أن يكون النصح بين الناصح والمنصوح دون أن يطلع أحد، فذلك أجدى في قبولها، أما إذا كانت علناً فهي في الحقيقة فضيحة، وقد تأخذه العزة بردها بل والكلام على من قدمها، وكما قال الشافعي رحمه الله: من وعظ أخاه سراً فقد نصحه ومن وعظه علانية فقد فضحه. وقال ذلك شعراً:

تعمدني بنصحك في انفرادي ... وجنبني النصيحة في الجماعة
فإن النصح بين الناس نوع ... من التوبيخ لا أرضى استماعه
وإن خالفتني وعصيت قولي ... فلا تجزع إذا لم تعط طاعة

وألا تتحول النصيحة إلى جدال ومحاولة الانتصار للنفس فإنها لن تثمر بل قد تكون النتيجة مغايرة قال شوقي:

آفة النصح أن يكون جدالاً ... وأذى النصح أن يكون جهاراً

---

(١) ذكر المنجد أن الشيخ الألباني قد أخبر مشافهة بأنه ليس له سند يعرف للحكم عليه. ولكن فيها مغزى وفيها تعليم جليل. ولا يستبعد ذلك ممن تربوا في بيت النبوة. حيث عالجوا الأمر بأدب وحكمة دون إحراج للرجل.

(٢) سنن أبي داود ورقمه ٤٧٨٨ في باب التجاوز في الأمر.

٥ ـ أن تكون النصيحة حسب حال المنصوح ومكانته من حيث الأسلوب والطريقة واختيار الزمان والمكان كي تؤدي نتيجتها المرجوة.

وقد لاحظت في حياتي كثيراً من الأساليب الناجحة والتي تمت بأحسن وأفضل طريقة فآتت ثمارها، ولاحظت غيرها مما ينقصه الحكمة والموعظة الحسنة فكان الرد قوياً أضاع الفائدة على الطرفين.



السفر ميزان القوم

السفر هو ما يسفر عن وجه صاحبه، بحيث يكون على حقيقته دون تصنع أو تجمل، والسفر سياحة في الأرض له فوائد كثيرة ومنافع جليلة، والبشر كافة يقومون بذلك ولكل دوافعه وأسبابه.

وقد تعلمت أن المسلم ينبغي له ألا يكون سفره وسياحته كغيره، فهو يشارك الآخرين من حيث الاستمتاع والاستفادة بمنافعه ويزيد عنهم بأن يكون السفر له والسياحة أكثر فائدة، ومن تلك الفوائد:

١ ـ النظر والاعتبار بمخلوقات الله والتفكر في حسن صنعها وتناسقها وأنها آية على عظمة قدرة الله وحسن صنعه.

٢ ـ أن يحاول قراءة القرآن واستذكار العلم وقراءة الأدعية المأثورة والتي هي من جوامع الكلم التي يغني بعضها عن كثير من غيرها كي يكون حائزاً على الأجر في كل زمان ومكان.

٣ ـ أن يقوم بزيارة الأماكن العلمية والآثار والمعالم السياحية قدر ما يسمح له وقته فهذا هو الذي يبقى، أما ما عداه فوقتي يذهب بزوال وقته، وزيارة تلك المواقع علم وثقافة يعرف بها حضارات الأمم التي سادت ثم بادت وما أضافته للحضارة الإنسانية في جوانبها المختلفة.

٤ ـ أن يختار الرفقة الطيبة التي تعينه على الخير وتبعده عن مواطن الزلل وذلك ممن جربهم واختبر صدقهم وصبرهم وأخلاقهم، فالسفر كما يقال: ميزان القوم، وبه يتبين حقيقة المرء وشخصيته ويظهر ما هو عليه

دون تحمل ومداراة. وخير الصحبة أربعة كما ورد في أبي داود والترمذي والحاكم من حديث ابن عباس: «**خير الأصحاب أربعة**» وقال الحاكم هو صحيح على شرط الشيخين لأن كلاً منهم قد يجد من يوافقه من رفقته دون أن يكون وحيداً في رغباته وآرائه، وبذلك تتم السعادة والفائدة من السفر، وإياك ومصاحبة من لا تعرف أخلاقه وسلوكه لأنه قد يوقعك في أمر لا تحسد عليه، وقد يختلف معك في كثير من الأمور فينغص عليك حياتك.

٥ ـ أن يخطط لرحلته بوقت كافٍ قبلها من حيث التوقيت ومسارها والأماكن المراد زيارتها وحجوزات وسيلة النقل والسكن وغيرها، كي يكون مستمتعاً بها دون أن يحدث له مفاجآت تعيق رحلته وتنغص عليه هناءه وراحته.

وقد سافرت مراراً داخل المملكة وخارجها، واستمتعت كثيراً وتعلمت أكثر عندما يكون التخطيط الجيد والتنظيم المناسب وبرفقة تم اختيارهم عن سابق معرفة ممن يعين على الخير والسلوك السليم وتكون رغبته مساوية لرغبتي من حيث الاستفادة من الرحلة بكافة جوانبها، وقد مر بي شيء من تلك الرحلات تعبت فيه، حيث لم يكن مخططاً له ومنظماً كما يجب، فلعلك أخي أن تستفيد من تجارب الآخرين وتبدأ من حيث انتهوا كي لا تقع فيما وقع فيه غيرك، كيف لا؟ والمسلم ينبغي أن يكون منظماً ويخطط لكل أفعاله فالإسلام دين التنظيم والنظام والتخطيط، كما هو مبين في القرآن الكريم وسيرة النبي المصطفى ﷺ.



التعامل مع الناس (فن التعامل)

خلق الله الخلق مختلفي الأجسام والألوان والأخلاق والمشاعر والأحاسيس، ولذلك فإن التعامل معهم بمختلف مشاربهم ليس سهلاً فضلاً عن كسب مودتهم وتقديرهم، وقد تعلمت من الحياة أن فيها معايير وأسساً يتم التعامل على ضوئها لكسب ثقة الناس ومودتهم أو تقديرهم ومهابتهم:

١ ـ الاستفادة من أسلوب وطريقة الأنبياء عليهم السلام في التعامل مع الخلق حيث وهبهم الله حسن الخلق قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤]، وقال: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، فكل ما كان الإنسان كذلك يسر الله عليه التعامل مع خلقه.

٢ ـ أن يكون هدف المرء كسب رضا الله أولاً ثم رضا المخلوق، فمن أرضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن أرضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس.

فبعض الناس يسعى لإرضاء الناس بأي طريقة سواء أكانت مشروعة أم غير مشروعة، المهم لديه هو رضاهم، وهذا خطأ بل عليه أن يرضيهم ولكن دون الخروج عن الطريق المشروع، كقيام بعض الناس بالكذب كي يرضي غيره والكذب حبله قصير كما يقال فستظهر الحقيقة يوماً ما ويعود عليه الأمر أسوأ مما كان ويخسر أكثر مما ربح، وليستفد من قول العرب: إذا كنت كذوباً فكن ذكوراً.

٣ ـ ألا يكون تعامله معهم بقدر استفادته منهم أو خوفه من مضرتهم (جلب منفعة أو دفع مضرة)، بل هو التعامل المبني على الأخوة الإسلامية أو ما تقتضيه الحياة الإنسانية مع غير المسلمين.

وقد علمتني التجربة أن فيه بعضاً من الناس تحسب أنهم قد جبلوا على أحسن الأخلاق وأوتوا فن التعامل، وإذا الأيام تكشف عنهم سوء طويتهم، حيث كانوا يتعاملون معك اعتقاداً منهم أنك قد تجلب لهم نفعاً أو تدفع عنهم ضراً، فلما تغيرت المواقع إذا بهم يظهرون على حقيقتهم، وهذا خطأ لأن هذه العينة من الناس بعد أن تظهر حقيقتهم قد تتغير الأمور ولا يمكنهم إصلاح ما أفسدوه ويتأكد لهم أنهم أخطأوا التقدير.

وكلما كان التعامل بندية متجرداً عن المصالح الدنيوية كان مكسباً للشخص التقدير والاحترام.

وليتمثل المرء في تعامله قول القائل: استغن عما شئت تكن نظيره واحتج إلى من شئت تكن أسيره وأحسن إلى من شئت تكن أميره.

فالاستغناء عما في أيدي الناس وعدم التطلع له يكسب المرء التقدير كما ورد: «ازهد عما في أيدي الناس يحبك الناس».

وليحاول المرء ألا يحتاج إلى أحد لأن الحاجة ذل وأسر.

وعليه أن يحاول الإحسان إلى الناس فإنه بذلك يملك قلوبهم كما قال الشاعر:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم   فطالما استعبد الإنسان إحسان

٤ ـ المعاملة بالمثل من حيث الإحسان والإكرام ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ ۝٦٠﴾ [الرحمٰن: ٦٠]، أو الإساءة ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]، وهي معاملة واقعية تتم بين الأفراد، بل وبين الدول، وبها يكتسب الفرد أو البلد الاحترام والهيبة. ولكني أدعو إلى أبعد من ذلك، وهو المعاملة بالإحسان والعفو والصفح مهما كانت

معاملة الآخر، وهذه المعاملة لا يستطيعها إلا أولو العزم من البشر: قال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥] وهذه مرتبة يكرم الله بها بعضاً من عباده، نرجو أن يمن الله علينا بأن نكون منهم إنه على ذلك قدير.





خطبة الجمعة وأهمية الاستفادة منها في حياة المسلمين

إن لخطبة الجمعة أهمية عظيمة، حيث تتكرر أسبوعياً فينبغي الاستفادة منها في توجيه الناس وإرشادهم إلى ما ينفعهم في أمور دينهم ودنياهم.

وحضور صلاة الجمعة فرض عين على كل مسلم رغبة في الاجتماع وعدم الفرقة وحتى يستمع المرء وينصت للخطبة ويعيها وينفذ ما جاء فيها من أحكام وتعاليم الإسلام، وهو منبر عالمي شرع الإسلام إقامته لحكم وأسباب كثيرة، وقد كان رسول الله ﷺ هو خطيب الأمة ثم الخلفاء الراشدون ومن بعدهم حيث كانوا من العلماء يوجهون الأمة ويسددونها.

ولا يوجد عند الأمم الأخرى منبر مماثل لمنبر يوم الجمعة، وقد جعله الإسلام مرتبطاً بالصلاة لأهميته حيث لا يمكن الاستغناء عنه أو إلغاؤه على مر العصور والأزمان في حال قوة المسلمين وعزتهم أو حال ضعفهم ووهنهم كي يكون هذا المنبر مصدر تعليم وبيان وتربية للمسلم في كافة شؤون حياته.

ونظراً لخطورة هذا المنبر فإنه يجب الاستفادة منه ديناً ودنيا وذلك وفقاً للآتي:

١ ـ أن يكون التعيين فيه للأكفاء علماً وسلوكاً وأخلاقاً، بحيث يعرف ما يقول وكيف ومتى ثم يكون حديثه مؤثراً ومؤدياً للمؤمل منه.

٢ ـ أن يختار الخطيب لكل جمعة موضوعاً مفيداً يعتني بإعداده، ولا مانع من استفادته من غيره ممن ألف في ذلك، وبذلك يكون المسلم مطلعاً في خمسين خطبة تقريباً على ما يهمه في أمور حياته.

٣ ـ ألا يطيل الخطيب في خطبته بحيث يمل السامعون وينسى كلامه بعضه بعضاً، والمختار ألا يزيد في الخطبة الأولى عن خمس عشرة دقيقة والثانية عن عشر دقائق، فبعض الخطباء هداهم الله تنقصه الحكمة من حيث اختيار الموضوع وعمل التوازن المطلوب بحيث يؤدي ما لديه من أساليب ومعانٍ في الوقت المناسب دون إطالة، فقد يطيل على الجماعة مما يجعلهم ينفرون من الصلاة معه ويتجهون إلى جوامع أخرى.

٤ ـ أن يكون من ضمن المواضيع للخطبة ما يهم الناس في أمور حياتهم الدنيوية وهو جزء من حياتهم كلها، والإسلام دين ودنيا ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢]، فليس في الإسلام شيء للدنيا وشيء للدين بل كل حياة المسلم لله يثاب على خيرها ويعاقب على شرها.

فمثلاً: يكون الحديث أحياناً عن النظافة والتنظيم في حياة المسلم وعن المرور والالتزام بآدابه في الشوارع والطرقات حفاظاً على حياة الناس، وأن من خالف شيئاً من ذلك فإنه يعد آثماً يسجل عليه ذلك في صحيفة سيئاته وسيحاسب عليها يوم القيامة إن نجا من العقوبة في الدنيا، ذلك أنه إنما وضع لمصلحة الناس وذلك مما جاء به الشرع: من حفظ الضروريات والحاجيات والتحسينات التي تقوم بها حياتهم ومعاشهم، وأن يكون الخطيب حكيماً في اختيار الوقت والأسلوب المناسبين لكل موضوع كي يؤدي ذلك إلى التأثير البالغ ويحقق هدفه، ومن حكمته تعالى أن جعل لقاء المسلمين أسبوعياً يوم الجمعة وفرض الصلاة والخطبة فيه

كي يعلم الناس بأمور دينهم ودنياهم، إذ لو لم تكن الخطبة فرض عين لتدخل أعداء الإسلام في إقامتها ولتم إلغاؤها في بعض البلاد التي لا يقام فيها الإسلام كما شرعه الله.

وقد لاحظت بكل أسف تأخر بعض الناس في الحضور إلى الجمعة بحيث يصل بعضهم أثناء الخطبة فلا يتمكن من استماعها كاملة ويصل بعضهم عند حضور الصلاة فقط ولا يدري هذا كم ضيع على نفسه من الأجر العظيم الذي وردت فيه الأحاديث الكثيرة ومنها: «**من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر**»[١]. فعلى الخطباء ترغيب الناس في البكور إلى الجمعة والتخفيف من السهر ليلة الجمعة لأنه هو الذي يؤدي إلى التأخر.

وأرى أن علينا جميعاً أن نهتم بهذه الشعيرة العظيمة وأن نتسابق إليها باكراً كي يتمكن المرء من أداء النافلة وقراءة القرآن الكريم والذكر والدعاء بحيث يضيف إلى رصيده من الحسنات ما يجده عند الله تعالى في وقت هو أحوج ما يكون إلى حسنة واحدة.

وما من أحد إلا سيندم عند موته كما ورد، المحسن حيث لم يزدد إحساناً والمفرط والعاصي وغيره على ما ضيع عمره فيه مما لا فائدة ترجى منه، بل قد يكون عليه حسرة وندامة ويكون جزاؤه العقاب والعذاب ولا حول ولا قوة إلا بالله.



(١) رواه أبو هريرة. وأخرجه البخاري برقم ٨٨١، ومسلم برقم ١٩٦٤.

مراحل الحياة

إن للحياة كما ورد في الإسلام ثلاث مراحل يسير فيها الخلق من طور إلى طور وهي:

الأولى: الحياة الدنيا: وهي دنيا لأنها الأقرب، وقيل: من الدناءة لدناءتها وحقارتها بالنسبة للآخرة، وقد جعلها الله دار امتحان واختبار للخلق من إنس وجان فأرسل إليهم الرسل يدعونهم إلى عبادته وحده لا شريك له فمن آمن بالله واتبعهم سهل له الطريق إلى الجنة ومن عصى ولم يمتثل لعبادة الله خسر حياته وأنزل نفسه منازل الخسران.

والحياة الدنيا قصيرة كلها فضلاً عن عمر المرء فيها مهما بلغ إذ إن الوقت يسير به كسرعة الضوء أو أكثر، بحيث لا ينتبه الإنسان إلا وقد انتهى عمره، فليت شعري من يستغله في طاعة الله والبعد عن معاصيه.

الثانية: حياة البرزخ: والبرزخ هو الحاجز والفاصل بين شيئين فهي الفصل بين الدنيا والآخرة، وهي حياة مختلفة عن الحياة الدنيا، ففيها حياة الروح ينعم فيها المؤمن ويعذب فيها الكافر حتى تقوم القيامة.

والحياة في البرزخ لا تحسب كالدنيا، بل هي مختلفة لا يشعر الميت فيها بالوقت وطوله، وانظر إلى النائم كم يستغرق من الوقت فإذا قام من نومه كأنه لم ينم إلا قليلاً وخير مثال على ذلك أصحاب الكهف حيث أخذهم النوم ثلاثمائة وتسع سنوات وعندما قاموا قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم. وقال الله عن قصر المدة: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً

مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾ [يونس: ٤٥]، وقوله تعالى: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ...﴾ [البقرة: ٢٥٩].

إن النوم في الدنيا هو الموتة الصغرى، حيث تفارق الروح الجسد بعض المفارقة ثم يصحو النائم، ومن يستطيع رد الروح فهو قادر على إحياء الموتى من قبورهم ومن يحيي الأرض بعد جدبها بإنزال المطر فيها وإنبات الشجر والأعشاب قادر بلا ريب على إحياء الموتى.

الثالثة: الحياة الآخرة: هي آخر أنواع الحياة وهي الحياة الأبدية التي تتم بعد النفخ الثاني في الصور، وبه يقوم الناس لرب العالمين ويحاسبون على أعمالهم فمن عمل صالحاً فلنفسه وجزاؤه الجنة، ومن عمل سيئاً فعلى نفسه جنى وجزاؤه العادل النار نعوذ بالله منها.

وقد تعلمت من تفكري بذلك:

١ ـ أن الحياة الدنيا مجال المتاجرة مع الله، وأنه يجب على المسلم أن يستغلها في طاعة الله واكتساب الأعمال الصالحة.

٢ ـ أنه لا يكفي المسلم القيام بالواجبات وترك المحرمات، وإن كان ذلك الأساس، بل ينبغي له أن يتزود من الأعمال الصالحة ونوافل الطاعات ونفع الآخرين ما أمكن إن الإنسان في الدنيا يطمح إلى أن يكون أفضل من غيره، أفلا يكون لديه الطموح الأهم في حياة لا تنقضي.

٣ ـ ألا يشغل الإنسان نفسه في التفكير في حياة البرزخ وهل هي طويلة ومتى تقوم القيامة، فقيامة الإنسان نهاية أجله كما يقولون، وكما ورد فإن تلك الحياة ليست طويلة على المؤمن وهو يتنعم فيها بما أراده الله. ومما يدل على قصرها على الميت قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾ [يونس: ٤٥].

٤ ـ ألا ينخدع المسلم بما عليه غير المسلمين من تنعم بالملذات، فإنما ذلك قناع زائف، ويذهب تعب الطاعة ويبقى ثوابها وتذهب لذة المعصية ويبقى عقابها.



حقيقة القول (لكل قول حقيقة)

إنك تسمع الناس وهم يتحدثون، ومن ذلك أقوال تحمل معاني مهمة، فهل كل من يقول قولاً يعي حقيقة قوله ويدركه ويلتزم بما قال؟

جاء في الحديث الذي رواه الحارث بن مالك الأنصاري: أن النبي ﷺ: «لقي رجلاً يقال له: حارثه في بعض سكك المدينة فقال: **كيف أصبحت يا حارثه؟** قال: أصبحت مؤمناً حقاً، قال: **انظر ما تقول فإن لكل قول حقيقة فما حقيقة إيمانك؟** قال: عزفت نفسي عن الدنيا فاسهرت ليلي وأظمأت نهاري وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها وكأني أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها، قال: **يا حارثة عرفت فالزم**»[1].

وقد تعلمت من ذلك أنه يجب ألا يتكلم الإنسان بقول إلا وهو يعني ما يقول، وهذا يتطلب منه التفكير بما سيقوله واعتقاده ومن ثم تنفيذ ما يترتب عليه والتزام ما فيه، وبالمقابل فإن على الإنسان ألا يقول قولاً لا يعرف حقيقته ولا يعتقده، قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف: ٢، ٣].

ولو ألزم كل منا نفسه بذلك لوقي نفسه كثيراً من الشرور ولصار حكيماً يقول ما ينفع قوله وينير طريقه ودرب الآخرين، فاللهم اجعلنا ممن يقول الحق ويعمل به ويهدي إليه يا من إليه يرجع الأمر كله.

---

(١) مجمع الزوائد، للهيثمي ١/٦٢، وفيه ابن لهيعة.

الحوار وحياة الأمم

كرَّم الله تعالى خلقه من الإنس والجن بالعقل، وهو ما يميزهم عن غيرهم من المخلوقات والعقل من أعظم النعم، إذ به يعرف الخير من الشر والنافع من الضار، كما أنه مناط التكليف في الشريعة الإسلامية.

وبما أن الخلق يختلفون في مداركهم ومآربهم، وقد شرع الله التحاكم إلى العقل لفهم كل منهم الآخر في حال الخلاف حيث إن كثيراً من الخلافات على مدار التاريخ قد أشعلت الفتن والحروب.

والله ﷻ قد شرع إقامة الحوار للوصول إلى الحقيقة وذلك بدءاً من أمر الله إبليس بالسجود لآدم ورفضه ذلك ثم محاورته لله سبحانه بأنه أفضل من آدم لأن الله خلقه من نار وخلق آدم من تراب وطلبه من ربه أن ينظره إلى يوم القيامة.

ثم إن الأنبياء يقومون بالحوار مع أممهم في دعوتهم إلى توحيد الله وعبادته، وقد قال تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال: ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، فليس حواراً مجرداً شديداً بل هو بالحكمة وما هو أحسن للوصول إلى الحقيقة التي تدعو إلى الإيمان بالله وإتباع شرعه.

والإسلام قام على الحوار والأخذ والعطاء، يتبين ذلك لمن قرأ القرآن الكريم ودرس الحديث النبوي واطلع على سيرة النبي محمد ﷺ،

ولذلك عاشت أمم وشعوب كثيرة تحت لوائه تتمتع بحرية العبادة ولها حياتها الخاصة دون تدخل أو تصادم.

ومن أمثلة الحوار التي تمت في الإسلام ما حدث بين المأمون ومرتد عن الإسلام إلى النصرانية، حيث قال له المأمون: خبرنا عن الشيء الذي أوحشك من ديننا...إلخ[(١)].

فهذا المأمون لم يأخذه بردته مباشرة أو بعد استتابته، بل حاوره حتى انتهى إلى إقناعه ورجوعه إلى الصواب.

والحوار منهج رباني إسلامي بين المسلمين فيما بينهم، وفيما بينهم وبين غيرهم من الأمم للتفاهم والتعايش. وليس الحوار غاية مقصودة لذاتها وإنما هو وسيلة إلى تحقيق التفاهم والتعايش والوصول إلي الهدف المنشود كي يتحقق الأمن والسلام.

ولكن المتابع للأحداث في العالم وخاصة ما يقع للمسلمين فيها وادعاء المعتدي أن الإسلام يقوم على الشدة والعنف وليس من منهجه الحوار يعلم بأن ذلك غير صحيح، وإنما هو من باب التسييس لتشويه الإسلام والوقوف أمام شعوبه كي لا ينالوا حقوقهم ويتفرغوا لنهضتهم وبناء مجتمعاتهم.



(١) عيون الأخبار، لابن قتيبة ٢/ ١٥٤، دار الكتاب العربي، لبنان.

من الطب الوقائي في الإسلام (الحجر الصحي)

خلق الله الإنسان وغيره من الأحياء وهو ينعم بالصحة والعافية، وقد تعتري كل منهم بعض الأمراض سواء أكانت وبائية أم غيرها.

فإذا كانت وبائية بحيث تكون سريعة الانتشار فقد شرع الإسلام الحجر الصحي، حيث أمر النبي ﷺ إذا كان الطاعون في بلد فعلى الإنسان ألا يدخله، وإذا كانت الإصابة وهو في البلد نفسه فلا يخرج منها، جاء في حديث أسامة بن زيد أن النبي ﷺ قال: «**إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها**»[١]، وقد كان في وفد ثقيف رجل مجذوم، فأرسل إليه الرسول ﷺ: «**إنا قد بايعناك فارجع**»[٢] وفي الحديث الآخر: «**فر من المجذوم فرارك من الأسد**»[٣] وقال: «**لا يورد ممرض على مصح**»[٤] وهذا هو الحجر الصحي المعمول به حديثاً، إذ إن في تطبيقه الحد من انتشار الأمراض الخطيرة بشكل كبير.

وفي العصر الحاضر سهل الانتقال والاتصال بين الشعوب مما يكون سبباً في سرعة انتشار الأمراض الفتاكة، وخير مثال على ذلك ما

---

(١) أخرجه البخاري برقم ٥٧٢٨.

(٢) رواه مسلم برقم ٢٢٣١، نشر دار الإفتاء.

(٣) رواه البيهقي في السنن الصغرى ٣/ ٦٥.

(٤) صحيح مسلم برقم ٢٢٢١.

حدث من إصابات في أنحاء متفرقة من العالم بفيروس أنفلونزا الخنازير مما آثار الرعب والقلق لدى الحكومات والشعوب واستنفرت كل الطاقات للحد من انتشاره من تلقيح وعزل وعلاج وغيره.

إن الوقاية خير من العلاج فعلى المعنيين بالجوانب الصحية والبيئية أن يهتموا بذلك من حيث النظافة للهواء والمأكل والمشرب. وينطبق على الطير والحيوان ما ينطبق على الإنسان من حيث الوقاية والحجر، فالبيئة واحدة والضرر كما يقع على الطير والحيوان يقع على الإنسان كذلك إما بالعدوى وإما بنقص غذائه وغلاء أسعاره.

ثم على كل مسلم أن يعتمذ على الله ويتوكل عليه بعد أخذه بالأسباب وألا يصيبه الهلع والخوف مما يقال وينشر لأنه قد يكون لمن يقوم به مآرب وأغراض يريد تحقيقها بل يعلم أن للكون ربّاً ومالكاً يصرفه بحكمته كيف يشاء.





اليهود والعهـود

يدعي اليهود أنهم أبناء إسرائيل النبي يعقوب ﷺ وأنهم امتداد للأسباط الإثنى عشر، وذلك صحيح من زمن يعقوب إلى زمن موسى ﷺ أما في العصور المتأخرة فإنه ليس كل من يدين باليهودية من الأسباط، حيث دخلت أقوام في الديانة اليهودية وانتسبوا إلى إسرائيل وهم من شعوب وأعراق مختلفة. وقد عاش اليهود بعد انتقالهم إلى مصر في الذل والعذاب المهين من فرعون وقومه حتى قيض الله لهم نبيه موسى ﷺ وأخرجهم الله به مما يقاسونه ويعانونه من اضطهاد واستعباد إلى الديار المقدسة في فلسطين وأغرق فرعون وقومه، وبدلاً من أن يشكر بنو إسرائيل ربهم على ما مَنَّ به عليهم من نعم عظيمة وآلاء عظيمة جاء ذكرها في القرآن الكريم، فإنهم تعنتوا ولم يستجيبوا لما أمرهم به موسى مما أوحاه الله إليه من دخول الأرض المقدسة، بل وعصوا بعبادة العجل وغير ذلك مما أمرهم الله به على لسان نبيه موسى ﷺ، وقصة بني إسرائيل جاءت واضحة في القرآن الكريم، ولما جاء الإسلام عاملهم النبي محمد ﷺ أحسن معاملة وعقد معهم العهود إلا أنهم عاملوا الحسنى بالسوء، ونقضوا العهود وحاربوه مع أعدائه فعاملهم بما يستحقونه، ولم يلق اليهود معاملة أحسن مما عوملوا به في دولة الإسلام وفي كل أقطاره حتى أنه وصل بعض منهم إلى مناصب عالية في الدولة، ولم يتحقق لهم ذلك مع غير المسلمين في أي زمان ومكان على مدار التاريخ.

إن اليهود عاشوا مشردين في أنحاء الأرض، وقد أدى اضطهادهم وشعورهم بأنهم أقلية إلى تكتلهم وتعاونهم مع بعضهم في أماكن إقامتهم، وقد التقت رغبة الدول الاستعمارية مع رغبة اليهود بإقامة وطن لهم في فلسطين بدعوى أنها كانت أرضهم ولتكون قاعدة استعمارية في قلب العالم الإسلامي يحققوا بها مخططاتهم ومآربهم فتنادوا للعودة بعد وعد بلفور وعندها قدموا لفلسطين وطردوا أهلها وقتلوا منهم وشردوا الكثير واغتصبوا مساكنهم وأراضيهم وأموالهم، وقامت دولتهم على الظلم والعدوان والاغتصاب، ولا يرعون إلّاً ولا ذمة ولا يلتزمون بعهد ولا ميثاق، وهذا طبع اليهود وما جبلوا عليه من الغدر والخيانة مع أنبيائهم ومع غيرهم من الأمم، وهم يتمسكنون حتى يتمكنوا، ولا مانع عندهم من الذلة والاستكانة والخنوع إذا لم يكن لهم شأن وقوة، فإذا كانت القوة والغلبة لهم انقلبوا على الناس بأسوأ ما يمكن وقلبوا لهم ظهر المجن قتلاً ونهباً وطرداً، وهم يعتقدون ذلك ديانة وأنها تعاليم التوراة.

وقد تعلمت مما اطلعت عليه وسمعته وعقلته واستفدته تجربة وخبرة أن التعامل مع اليهود المعتدين والصهاينة المغتصبين ينطلق من الأسس الآتية:

١ ـ أن يكون القرآن الكريم والسُّنَّة والسيرة النبوية هي الأساس والمرجع في التعامل معهم لأن الله تعالى في القرآن الكريم وعلى لسان نبيه ﷺ قد كشفهم وفضحهم بما تنطوي عليه صدورهم وما جبلوا عليه من الكذب والخيانة ونقض العهود وإخلاف الوعود وسوء الأخلاق وخبث السريرة قال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [البقرة: ٧٥].

٢ ـ أنهم لن يلتزموا بأي عهد أو عقد أو اتفاق، وكيف يليق

بالمسلم العاقل أن يطمع في ذلك ولقد عاملهم محمد رسول الله ﷺ بما لم يمكن أن يعاملهم به أحد في الماضي والحاضر، بل ولا في المستقبل من كرم الأخلاق وحسن السيرة وإبرام العهود ومع ذلك غدروا وخانوا ونقضوا العهد قال تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٠٠]، فمن يطمع أن يتفق معهم وينال حقه ويلتزموا بما عاهدوا عليه فهو لا يعتبر بما جرى منهم على مدار التاريخ ومن لا يعتبر بغيره يكن هو عبرة لغيره، وكما قيل من جرب المجرّب فعقله مخرب، وهو كمن يلتمس في الماء جذوة نار، كيف ونحن نرى ذلك عياناً منهم الآن فكل حكومة تبدأ المفاوضات من جديد، ولا تلتزم بما التزمت به الحكومة السابقة.

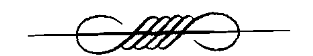
٣ ـ أنه وإن كان المسلمون في ضعف وتفرق، فإن الدنيا دول ولا تدوم على حال قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، وسيخرج الله من أبناء الأمة من يسترد الحقوق ويرفع الظلم والعدوان، وهذا هو ما ورد من المبشرات في القرآن الكريم والسُّنَّة المطهرة.

٤ ـ قد يكون من المنطق والحكمة أن يتم عقد هدنة معهم وليس سلاماً دائماً لأنه لن يتحقق بل يلزم المسلمين دون أن يلتزم به اليهود وذلك إلى أن يأذن الله بمجيء اليوم الموعود لإخراجهم مما اغتصبوه من أرض ومساكن وحقوق، أما من يظن بأنه يمكن توقيع اتفاقية سلام دائمة يترتب عليها رد الحقوق ودفع الظلم فمن يظنه فهو واهم ويعيش في أمانٍ خادعة.

٥ ـ أن المسلمين قوة كبيرة اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً، ويملكون مقدرات وخيرات وثروة معدنية كثيرة، وتتمتع بلادهم بموقع استراتيجي؛ لأنها تقع في قلب العالم، وهم بتعاونهم ونبذ الفرقة التي يبثها أعداؤهم

بينهم، كي يستفيدوا من ذلك الضعف والتفرق بالاستيلاء على مقدرات الأمة وخيراتها، فالاجتماع قوة والفرقة ضعف، وعلى المسلمين حكاماً وشعوباً الحذر من أعداء الأمة ممن لا يريدون الخير لها قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنفال: ٧٣].

وأن يطمئن بعض المسلمين إلى بعض ويثق به ويفي بما يلتزم به كل منهم كي تتقدم الأمة بكافة نواحي الحياة، وتتعامل مع غيرها من الأمم بكل عزة وكرامة وندية لها، أخذاً وعطاء.





كيف ينظم الطالب وقته؟ وكيف يخطط لمستقبله؟ وكيف يبني شخصيته؟

منذ يبلغ الطالب السن القانونية لدخول المدرسة ويبدأ الدراسة فإنه دخل معترك الحياة وهو لا يدرك أهمية ذلك، فعلى ولي أمره مساعدته في البداية على ذلك من حيث تنظيم الوقت منذ بدء اليوم وحتى نهايته، كي يستفيد منه الفائدة المرجوة، فعندما يستيقظ صباحاً يتناول طعام الإفطار ثم يذهب إلى المدرسة وبعد خروجه منها ينام بحدود نصف ساعة كي يستعيد نشاطه لأن الزيادة عن ذلك تؤثر على نومه بالليل، ثم يستيقظ ويلتحق بإحدى حلقات تحفيظ القرآن الكريم عصراً؛ لأن حفظه للقرآن الكريم متيسر في صغره وفي حفظه زيادة لمداركه فقد أثبتت الدراسات أن حفظة القرآن الكريم هم أفضل من غيرهم في مختلف التخصصات، كما أن ذلك يؤثر في سلوكه فيدفعه إلى فضائل الأخلاق.

وبعد المغرب يستذكر الطالب دروسه بإنجاز الواجبات ومراجعة ما تم شرحه بالمواد الأخرى ومطالعة ما يتوقع شرحه ليساعد ذلك على تثبيته في ذاكرته عند الشرح.

ثم يتناول العشاء وينام في وقت مبكر بحد أقصى الساعة العاشرة كي يتمكن من الاستيقاظ مبكراً ومتمتعاً بالنشاط والحيوية بعيداً عن الكسل الناتج عن السهر مع مراعاة أدائه الصلوات في وقتها جماعة في المسجد؛ لأن في ذلك فوائد كثيرة دينية ودنيوية وهكذا حتى يبلغ الطالب

المرحلة التي يتمكن فيها من تنظيم وقته بنفسه وفقاً لما ذكر مع التغيير حسب مقتضيات المرحلة الدراسية.

وعلى ولي الأمر أباً وأماً أن يأخذ بيد الولد ابناً أو بنتاً كي يخطط لمستقبله من حيث المجال التعليمي الذي يرغبه ويستطيع الإبداع فيه، ومن ثم العمل الذي يطمح إليه في مستقبله فإذا استطاع الوالدان غرس محبة العلم والمساعدة في التخصص المناسب، وغرس الهدف في شخصية الطالب فإنهم بذلك قد وضعوا الولد على الطريق الصحيح من حيث اهتمامه بدراسته بدافع داخلي وحرصه على مستقبله بما تم غرسه في نفسيته من طموح للمعالي في الأمور، ثم بعد ذلك يستريح الأهل من المتابعة والتوجيه لأنه أدرك مصلحة نفسه وتفانى في تحقيق هدفه.

ومع الأسف فإن كثيراً من الأولاد يعيشون حياتهم بلا هدف ولا طموح وهذا يجعل حياتهم بلا طعم ومليئة باللهو واللعب، ويعاني الأهل كثيراً من عدم مبالاة هؤلاء الأولاد من حيث عدم رغبتهم في التعليم ومعرفة كل ما يفيدهم في حياتهم وبالتالي عدم تحديد هدفهم في الحياة ويكونون عالة على المجتمع وجزء من المشكلة اقتصادياً واجتماعياً.

وأعرف بعضاً من الطلاب كانوا عند الدراسة في المراحل الثانوية والجامعية يعرفون هدفهم مما سهل عليهم مواصلة التعليم والصبر والتضحية في سبيل الحصول على أعلى المستويات العلمية، ثم بعد بدء العمل وظيفياً كان لهم طموح وهدف واضح بحيث ترى بعضاً منهم يرسم على منصب عالٍ معين فتكون النتيجة بعد أعوام أن يصل إلى هدفه بتحقيق طموحه وموافقة ذلك لقدر الله تعالى، وقد تعرف أنت أحداً ممن هذه حالهم، فعلى الطالب أن يجد ويجتهد وأن يحدد هدفه في الحياة فقد تأتي الرياح بما يشتهي السفن بحول الله

أما بناء الشخصية فإن الإنسان بجميع مراحل عمره يمكنه أن يبني

شخصيته بالتمسك بالأخلاق والصفات الحسنة، وأن يبتعد عن الصفات والأخلاق السيئة، ولكن بناء الشخصية في بداية العمر وقبل تشكله يصبح أمراً سهلاً وميسوراً كما قال الشاعر:

إن الغصون إذا عدلتها اعتدلت ولا تلين إذا كانت من الخشب

وذلك في نظري بإتباع ما يأتي:

١ ـ امتثال ما ورد في القرآن الكريم من الحث على الصفات والأخلاق الحسنة كالصدق والأمانة والإخلاص والعدل.

٢ ـ اتخاذ القدوة الحسنة، وخير قدوة في ذلك هو النبي ﷺ بما ورد في سُنَّته من الحث على مكارم الأخلاق والبعد عن سفاسفها وبما سار عليه في سيرته الطيبة في تعامله وفي شؤونه كلها.

٣ ـ قد يرى الطالب والطالبة أن يتخذ له نموذجاً واقعياً ممن يعايشه ممن هو ناجح في حياته الخاصة والعامة ويكون طموحه بأن يكون مثله أو أحسن منه.

٤ ـ أن تكون علاقة الطالب أو الطالبة جيدة بكل من حوله في الأسرة، وفي المدرسة وغيرها لكن تكون العلاقة أكثر مع من تكون فيه صفات إيجابية حسنة ليكون ذلك عوناً له على الخير.

٥ ـ أن تكون العلاقة أوثق مع من هو أفضل منه أو يماثله في الصفات والأخلاق كي يستفيد منه ولا سيما ممن لديهم المقدرة العلمية والإبداع ويحملون بين جنباتهم طموحاً عالياً ورؤية واضحة للمستقبل.

٦ ـ أن يكون الطالب أو الطالبة على اطلاع جيد على المعارف والعلوم وألا يقتصر على تخصصه العلمي فقط بل يكون مثقفاً بأخذه من كل فن بطرف، فإن ذلك يفتح الآفاق ويكسب الاحترام في المجتمع.

٧ ـ أن يكون لكل أمر من شؤونه ما يكفيه من اهتمامه وعنايته، بحيث يكون زمن اللهو واللعب مثل ألعاب الكمبيوتر أو مشاهدة رياضة

أو غيرها، جزءاً يسيراً من حياته ولا يستحوذ على كل جهده ورغباته، بل تكون همته عالية وهدفه سامٍ كي يساعد في بناء مجتمعه ونهضة أمته، فالوقت مهما كان يضيق بمشاغل الإنسان والحياة قصيرة والأهداف كثيرة، فعلى الطالب وغيره أن يختار الأهداف السامية والتركيز عليها والتي تنفع المرء وتفيد الأمة.



الشورى والديمقراطية

الشورى مبدأ من مبادئ الإسلام في الحكم قال تعالى ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وهذا توجيه لنبيه ﷺ بموجب أنه يتولى الحكم في الدولة الإسلامية وهو لمن بعده ممن يتولى شؤون الدولة والحكم.

قال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الشورى: ٣٨].

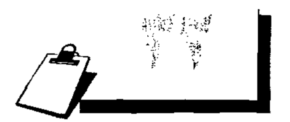
والشورى تشريع رباني تقوم عليه الدولة الإسلامية في كل شؤونها وهي ملزمة بذلك شرعاً.

أما الديمقراطية فهي كلمة مركبة من كلمتين يونانيتين وهما: ديموس؛ أي: الشعب وكراتوس؛ أي: الحكم ومعناها: حكم الشعب ومن حق من يختاره الشعب فيها أن يقوم بالتشريع في كل ما يهم الحكم والشعب بما يراه مناسباً، فهي تختلف عن الشورى بأن مصدر الحكم في الشورى هو الكتاب والسُّنَّة، أما في الديمقراطية فمصدرها الشعب أو من ينوب عنه ممن اختاره.

لكن نقول: إن الشورى مبدأ عام وقاعدة أساسية في الحكم، والتطبيق يختلف من عصر لآخر ومن مكان لغيره ولا أرى مانعاً في اتخاذ الديمقراطية أو غيرها أسلوباً تنفيذياً لمبدأ الشورى شريطة أن يكون مصدر الحكم هو الكتاب والسُّنَّة وليس الشعب أو من يمثله، لكن يمكن

أن يكون للشعب أو ممن يمثله دور فيما يتعلق بالتشريعات المبنية على المصالح المرسلة مما لا يعارض كتاباً ولا سُنَّة وهو مما يقتضيه التطور في حياة البشرية.





استعمالات وتفسيرات خاطئة لكلمات ومصطلحات هامة

تبين لي من مطالعاتي وما مر بي في الحياة استعمال كثير من التفسيرات الخاطئة لكلمات ومصطلحات هامة، ونظراً لأهمية التنبيه لذلك فقد حاولت بيانها وإيضاح التفسيرات الصحيحة لها؛ لأن ذلك يؤثر في نظري في فهم الناس لها وبالتالي في أسلوب حياتهم وطريق تعاملهم ومن ذلك:

١ ـ كلمة (عدم) تطلق كلمة العدم في اللغة العربية على فقدان الشيء وذهابه، والعدم ضد الوجود، والمعدوم غير الموجود.

وقد لاحظت استعمال كلمة (عدم) في بعض التقارير والدراسات التي يتم مناقشتها في غير مكانها كقول: عدم التنسيق بين الإدارات المعنية، والحقيقة أن التنسيق ليس مفقوداً مطلقاً وإنما هو ضعيف، والصحيح أن يقال: ضعف التنسيق بين الإدارات المعنية.

وكذلك: عدم التعاون بين الجهات المختصة، والصحيح أن يقال: تدني التعاون بين الجهات المختصة، وهكذا واللغة العربية لغة دقيقة يستعمل فيها اللفظ في مكانه حتى يؤدي المقصود منه والألفاظ التي تقابل ذلك.

أ ـ الكثرة والزيادة.

ب ـ القلة والضعف ونحوها.

أردت أن أبين ذلك مراعاة للدقة في اللفظ والأساليب وفي المعاني التي تترتب على ذلك.

٢ ـ مصطلح الكرم: حيث يكثر إطلاقه عند الناس على ما يتجاوز الكرم إلى حد الإسراف، فيقال: فلان كريم وهو يتجاوز الكرم إلى الإسراف والصحيح في ذلك أن الكرم: وهو وضع الشيء في موضعه وذلك وفقاً لحال المنفق وطبيعة الإنفاق وأن يبذل ما عنده لمحتاج أو غير محتاج قال ابن القيم[١]: بعد أن ذكر حد السخاء وأنه بذل ما يحتاج إليه عند الحاجة وأن يوصل إلى مستحقه بقدر الطاقة وإذا كان السخاء محموداً فمن وقف على حده سمي كريماً وكان للحمد مستوجباً ومن قصر عنه كان بخيلاً وللذم مستوجباً. ويفهم منه أن السخاء والكرم مترادفان وأرفع من الكرم الإيثار وهو أن يبذل ما عنده لغيره وهو محتاج إليه وقد أثنى الله تعالى على الأنصار بقوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]، فالكرم منزلة وسط بين طرفين:

الإسراف: وهو إنفاق المال في غير وجهه الصحيح أو من شخص لا يملك المال أو يستدينه.

البخل: وهو إمساك المال عن غرض أهم من حفظ المال، وذلك الغرض إما شرعي كالزكاة والصدقة والنفقة وغيرها، وإما بحكم المروءة فإن من حفظ المروءة إنفاق المال فيما يكسب الجميل ولكن المرء يحبسه، فيطلق عليه البخيل وليس كل من أطلق عليه الناس كريماً أو بخيلاً يكون كذلك بل ما ينطبق عليه المعيار اللغوي والشرعي الذي أشرنا إليه، وأسوأ من البخل الشح: وهو البخل مع الحرص حتى أنه يكره بذل المال من غيره لأحد فمن زيادة بخله، بخله بمال غيره والعياذ بالله قال الغزالي[٢]: والشحيح هو الذي يبخل بمال غيره فهذا يبخل

---

(١) الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب، لشمس الدين محمد بن قيم الجوزية ص٧٦، توزيع دار الإفتاء بالسعودية.

(٢) إحياء علوم الدين، للغزالي ٣/ ١٩٠.

بنعمة الله تعالى على عباده الذين ليس بينه وبينهم عداوة ولا رابطة وهذا من خبث النفس ورذالة الطبع.

٣ ـ الشجاعة: وهي الإقدام فيما يتطلب الإقدام دون خوف أو تهور.

وبعض الناس يطلق الشجاعة على التهور والإقدام فيما لا يتطلب الإقدام.

والشجاعة: وسط بين طرفين:

أ ـ التهور وهو الإقدام على الأمر بطيش وحمق.

ب ـ الجبن: وهو الإحجام وتهيب الإقدام على ما لا ينبغي أن يخاف منه. وكلا الطرفين مذموم وإنما الممدوح المرغوب الشجاعة.

٤ ـ الحرية: هي الحالة التي يستطيع فيها الأفراد أن يختاروا ويقرروا ويفعلوا بوحي من إرادتهم ودونما أية ضغوط من أي نوع عليهم، ويختلف مفهوم الحرية بأنواعها بين الحضارات.

وبعض الناس يطلق الحرية على الفوضى والتفلت من أية قيود وهذا غير مقبول لكن الصحيح أن الحرية مصطلح يتوسط بين طرفين:

أ ـ الكبت والتسلط على الآخرين وإذلالهم وإغاظتهم بعدم السماح لهم بالمخالفة، ومنه الديكتاتورية: وهي سلطة حكومية يمسك فيها الحاكم بالسلطة بشكل مطلق لا تحده قيود أو حدود.

ب ـ الفوضى: وهي التصرف دون ضابط ولا قيد، قال في المجمع الوسيط: قوم فوضى ليس لهم رئيس، وقال الأفوه الأودي:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ... ولا سراه إذا جهالهم سادوا

ويقال: مالهم ومتاعهم فوضى بينهم إذا كان كل واحد منهم يتصرف فيه دون إنكار من أحد منهم.. والحرية مطلب، وحق محترم

لكن بضوابط وقيود بحيث لا يدخل في حرية الآخرين ولا يتجاوز حقوقهم، فإن دخل فيها فقد دخل في مرحلة الفوضى والتعدي بحيث لو أن كل شخص يتصرف على هذا الأساس لأصبح الأمر ضائعاً بل قد ينتج عنه من المشاكل ما لا ينتهي.

٥ ـ الحياء[١]: هو الخلق الذي يمنع الإنسان مما لا يليق، كالرد على من سبه مثلاً أو رده عن محارم الله، وكثير من الناس يخلط بين الحياء والخجل فيستعمل أحدهما مكان الآخر وهذا ليس صحيحاً، والحياء خير كله كما جاء في الحديث: «**الحياء خير كله**»[٢] من حديث عمران بن حصين ومنه الحديث:

«**الحياء شعبة من الإيمان**»[٣] و«**الحياء لا يأتي إلا بخير**»[٤] والنبي ﷺ كما ورد: أشد حياء من العذراء في خدرها، وأن الحياء إنما يرد عن ما لا ينبغي من الأقوال أو الأفعال، وجاء عن علي رضي الله عنه قال: من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه، وقد عرفه بعضهم: بأنه خلق يبعث على ترك القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق. وقال ابن مفلح: وحقيقة الحياء: خلق يبعث على فعل الحسن وترك القبيح[٥].

والحياء وسط بين الخجل والوقاحة:

أ ـ الخجل: هو ما يمنع المرء مما ينبغي فعله كشكر من أحسن إليه مثلاً، يقال في اللغة: خجل فلان بأمره عيّ به فلا يدري ماذا يصنع، وخجل الشيء: فسد لأنه يفوت على صاحبه التصرف

---

(١) المعجم الفلسفي مادة (الحياء).

(٢) أخرجه مسلم برقم ١٥٧، نشر وزارة الشؤون الإسلامية.

(٣) سنن النسائي برقم ٥٠٢١.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه برقم ٦١١٧.

(٥) الآداب الشرعية، لابن مفلح ٢/٢٣٩.

الحسن في الوقت المناسب، والخجل مذموم كله وقد ذهب الحكماء قديماً إلى أن الخجل ضعف.

ب ـ الوقاحة: وهي عكس الحياء وهو تصرف المرء بما لا يليق، يقال: وقح الرجل قلَّ حياؤه واجترأ على اقتراف الكبائر ولم يعبأ بها.

٦ ـ التواضع: هو التذلل والتخشع، وهو أن تخضع للحق وتنقاد له ولو سمعته من صبي أو جاهل، قال ابن المبارك: رأس التواضع أن تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا حتى تعلمه أنه ليس بدنياك عليه فضل، وأن ترفع نفسك عمن هو فوقك في الدنيا حتى تعلمه أنه ليس له بدنياه عليك فضل.

وقيل قمة التواضع: أن ترى الناس كلهم أفضل منك في الدنيا أخلاقاً وتعاملاً والمسلمين منهم أفضل عند الله منك.

ويخلط بعض الناس بين التواضع الذي بيّناه وبين المهانة والاستكانة، فالتواضع محمود كله وقد ورد فيه «**من تواضع لله رفعه**»[1]، والتواضع منزلة وسط بين الكبر والمهانة والاستكانة فهو وسط بين طرفين.

أ ـ المهانة والاستكانة: هي الخضوع والذلة والضعف فيطلق بعض الناس على من يتخلق بالمهانة والاستكانة أنه متواضع، وليس ذلك صحيحاً، إذ إن المهانة والاستكانة ليست من التواضع، بل هي مذمومة كلها فلا يليق بالمسلم أن يتخلق بها لما فيها من المسكنة والذلة والضعف.

ب ـ الكبر: هو العظمة والتجبر والامتناع عن قبول الحق وذلك بأن يعظم المرء نفسه ويستحقر غيره فتأبى نفسه عن الانقياد لهم وتدعوه

---

(١) رواه أبو سعيد الخدري، تخريج العراقي على إحياء علوم الدين ٣/٣٣١، وقال: إسناده حسن.

إلى الترفع عليهم فيزدريهم ويستصغرهم ويأنف من مساواتهم.

وهو خلق مذموم، ورد في القرآن الكريم والسُّنَّة المطهرة ذمه والتشنيع على من يتصف به، وقد جاء عن محمد بن الحسن بن علي قوله: «ما دخل قلب امرئ شيئاً من الكبر قط إلا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قل أو كثر».

ويلتبس على البعض تسمية غيرهم من الناس بالمتكبرين وإطلاق لفظ الكبر عليهم لمجرد أنه لا يرتاح إليه أو أنه لا يباسطه بالكلام أو نحو ذلك، مع أن لفظ الكبر وما جاء في تعريفه لا ينطبق عليه، وقد قال ﷺ: «**الكبر بطر الحق وغمط الناس**»[1]، إذاً المعول عليه هو أن ما يندرج تحت مسمى التعريف يكون من الكبر وما عداه فلا.

آمل الانتباه لذلك لأن له أثراً في النظرة إلى الشخص وفي التعامل معه بل والحكم عليه.

ج ـ العزَّة يقال: عزَّ فلان عزاً قوي وبرئ من الذل ويقال: عزَّ فلان على فلان: كرم عليه والعزَّة: القوة والغلبة والحمية والأنفة والترفع عن الدنايا قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

قال السهروردي في عوارف المعارف[2] في حاشية إحياء علوم الدين للغزالي: العزة تشبه الكبر من حيث الصورة وتختلف من حيث الحقيقة، والكبر مذموم والعزة محمودة، فالعزة معرفة الإنسان حقيقة نفسه وإكرامها، وألا يضعها لأغراض عاجله دنيوية، والكبر جهل الإنسان بنفسه وإنزالها فوق منزلتها، قال بعضهم للحسن: ما أعظمك في نفسك؟ قال: لست بعظيم ولكني عزيز.

---

(١) رواه عبد الله بن مسعود، صحيح مسلم برقم ٩١.

(٢) حاشية إحياء علوم الدين، للغزالي ٣/١٧.

والمهابة ليست من الكبر: ولكنها منزلة يمنحها الله لمن يشاء من عباده، قال ابن القيم في كتابه الروح: إن المهابة أثر من آثار امتلاء القلب بعظمة الله ومحبته وإجلاله فيلبسه رداء الهيبة[١].

٧ ـ الزهد: وهو انصراف الرغبة عن الشيء مع القدرة عليه إلى ما هو خير منه وذلك بترك المباحات والبعد عن المحرمات رغبة في الدار الآخرة.

وقد جاء الحث على الزهد في القرآن الكريم ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ﴾ [القصص: ٨٠]، فنسب الزهد إلى العلماء ووصف أهله بالعلم وهو غاية الثناء.

وجاء في السُّنَّة قوله ﷺ: «**ازهد في الدنيا يحبك الله**»[٢]، فجعل الزهد سبباً للمحبة، فمن أحبه الله تعالى فهو في أعلى الدرجات والزهد درجات:

منها: أن يكون قصده النجاة من النار، وأعلى منه الرغبة في ثواب الله تعالى ونعيمه، وأعلاها أن يزهد رغبة لله وحباً له وفي لقائه ورؤيته.

ويقابل الزهد الطمع: وهو شهوة الشيء والحرص عليه ويزيد عليه الجشع والحرص على الشيء أشد الحرص.

ويتوسط الزهد والطمع منزلة بينهما وهي القصد، يقال: اقتصد في أمره توسط فلم يُفرط ولم يُفرِّط، ويقال: اقتصد في النفقة: لم يسرف ولم يُقتر والقصد في السبيل الرشد، وقد جاء بذلك القرآن الكريم قال

---

(١) الروح لابن القيم ص٢٧٠، مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ. وغذاء الألباب، للسفاريني ٢/ ٢٢٢.

(٢) قال النووي في الأربعين النووية: حسن، ص٣١.

تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: ٣١]، وقد يطلق بعض الناس لفظ الزهد والزاهد على من ينصرف عن الشيء، ولكن لعدم قدرته عليه وليس رغبة عنه إلى ما هو خير وهذا خطأ، وقد يطلقون الطمع على من اقتصد في أمره وتوسط، وهذا غير صحيح كذلك، بل ينبغي أن يكون الإطلاق على وفق ما جاء في تعريف ومعنى كل منهما.

٨ ـ الحلم: يقال: حَلُمَ حلماً: تأنى وسكن عند غضب أو مكروه مع قدرة وقوة وصفح وعقل(١).

وقال في الإحياء(٢): الحلم هو دلالة كمال العقل واستيلائه وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل قال تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٧]، وقال النبي ﷺ في أشج عبد القيس: «**إن فيك يا أشج خصلتين يحبهما الله ورسوله** قال: ما هما بأبي أنت وأمي يا رسول الله؟ قال: **الحلم والأناة**»(٣). قال الحسن: حلماء إن جهل عليهم لم يجهلوا.

والحلم من مكارم الأخلاق ولا يستطيعه إلا من أوتي حظاً عظيماً؛ لأن فيه الراحة والطمأنينة في الدنيا وفيه الأجر والمثوبة في الآخرة، والحلم منزلة متوسطة بين الغضب والبلادة والبرودة، والحلم ممدوح وهما مذمومتان.

أ ـ الغضب: في اللغة يقال: غضب عليه غضباً سخط عليه وأراد الانتقام منه والغَضَبُ استجابة لانفعال تتميز بالميل إلى الاعتداء، والغَضِبُ من الرجال: السريع الغضب.

وفي الاصطلاح: الغضب: هو غليان دم القلب بطلب الانتقام بحيث لا يملك الإنسان التحكم في مشاعره وأخلاقه وتصرفاته.

---

(١) المعجم الوسيط، مادة (حَلُمَ).

(٢) إحياء علوم الدين، للغزالي ٣/ ١٧٢.

(٣) أخرجه مسلم برقم ٢٦ عن أبي سعيد الخدري.

وقد ورد النهي عن الغضب كثيراً فمن ذلك حديث أبي هريرة ﵁ أن رجلاً قال: يا رسول الله مرني بعمل وأقلل قال: «**لا تغضب**، ثم أعاد عليه فقال: **لا تغضب**»[١].

وقال سليمان بن داود ﵇[٢]: يا بني إياك وكثرة الغضب فإن كثرة الغضب تستخف فؤاد الرجل الحليم، جاء في حديث أبي سعيد الخدري ﵁ قال: صلَّى رسول الله ﷺ العصر ثم قام خطيباً وكان مما قال في خطبته تلك: «**ألا إن خير الرجال من كان بطيء الغضب سريع الفيء فإن كان سريع الغضب سريع الفيء أو بطيء الغضب بطيء الفيء فإنها بها...**» الحديث[٣].

ولا يقولن قائل أنا طبيعتي الغضب ولا أستطيع أن أكون حليماً فإن النبي ﷺ قال: «**الحلم بالتحلم**»[٤].

نعم قد لا يكون كمن جبل على الحلم ولكن بالصبر ومحاولة لجم الغضب يستطيع أن يتعود الحلم شيئاً فشيئاً ولا سيما إذا تعاهد نفسه بذلك ولم يطلق لجامها.

ب ـ البرودة أو البلادة: يقال: بَرَد بروداً فهو بارد وبرد فلان فتر يقال: جدّ في الأمر ثم برد، وبَرُدَ برودة: صار بارداً وهي تصرف الإنسان على غير مقتضى الحلم من التأني والتغافل وعدم المبالاة.

والبلادة: يقال: بلُدَ بلادة: قلَّ نشاطه واستكان وقبل الضيم وهي بطء التصرف والتجاوب مما يفوت المقصود.

---

(١) رواه البخاري برقم ٦١١٦ في باب الحذر من الغضب.

(٢) إحياء علوم الدين، للغزالي ٣/ ١٦١.

(٣) رواه أبو سعيد الخدري، الأمالي المطلقة، لابن حجر العسقلاني ص١٦٩.

(٤) رواه أبو هريرة. قال الألباني: حديث حسن، صحيح الجامع برقم ٢٣٢٨، ورواه الدارقطني في الإفراد.

وقد يطلق بعض الناس على المرء الذي يتصف بالبرودة أو البلادة أنه حليم وهذا ليس صحيحاً بل الحليم هو ما ذكرناه في التعريف وما خالفه زيادة أو نقصاً فليس حلماً، وهكذا كل خلق محمود وسط بين طرفين، وإذا جاوز الوسط إلى أحد الطرفين تحول من خلق حميد إلى خلق سيئ غير مرغوب فيه.

٩ ـ التأني: يقال: أنِيَ وتأنى فلاناً أمهله وترفق به ويقال: تأن في أمرك، وأستأنى الشيء انتظر أوانه.

والتأني اصطلاحاً: التصرف في الأمور برفق ومهل دون عجل.

والتأني في الأمور خلق حسن، كما قيل: في التأني السلامة وفي العجلة الندامة، وكذلك قيل: من تأنى نال ما تمنى.

والتأني وسط بين طرفين هما العجلة والتواني:

أ ـ العجلة: السرعة وفي المثل: رب عجلة تهب ريثا، وعَجلَ أسرع يقال: عَجلَ الأمر سبقه، وذلك بأن يتصرف في أموره بسرعة تفسد عليه إتمامها ونجاحها بحيث يخسر أكثر ما يستفيد.

والعجلة خلق سيئ وهي من الشيطان وهي من صفات الأحمق وتوقع صاحبها في الندم.

ب ـ التواني: يقال: وني في الأمر فتر وضعف وكل وأعيا، وتوانى في العمل لم يبادر إلى ضبطه ولم يهتم به وقصر وفتر في حاجاته، والتواني التأخر في تصرفات الإنسان بحيث تفوت عليه المطلوب، وفي حديث عائشة تصف أباها رضي الله عنهما: «سبق إذ ونيتم»؛ أي: قصرتم وفترتم.

والتأني سجية طيبة لتوسطه بين نقيضين هما العجلة والتواني، وهما خلقان مذمومان، ويخطئ البعض في إطلاق التأني على التواني، بحيث يجعل التأني شاملاً للأمرين لا فرق بينهما، وفي الحقيقة الفرق واضح

لغة واصطلاحاً، فينبغي التقيد به وهو مقتضى الدقة في اللغة العربية وموافقة الاسم للمسمى.

١٠ ـ الشرف: يقال: شرف المكان شرفاً ارتفع، وشرف الرجل علت منزلته فهو شريف، والشرف العلو والمجد.

والشرف نيل المجد بحسن الأخلاق والأعمال.

وهي منزلة سامية يطمح إليها كل من ينشد معالي الأمور، ويقابل ذلك الضعه والفخر، والشرف منزلة متوسطة بينهما، وهي ممدوحة أما الطرفان الآخران فهما مذمومان.

أ ـ الفخر: يقال: فخر الرجل فخراً تباهى بماله وما لقومه من محاسن وتكبر، وفخر الرجل فخراً غلبه الفخر وتفاخر تعاظم وتكبر بغطرسة وتطاول، وتفاخر القوم فخر بعضهم على بعض.

وهي صفة مذمومة؛ لأنها تورث العداوة والبغضاء بين الناس جاء في الحديث: «**ولا يفخر بعضكم على بعض**»، وفي الحديث: «**اثنتان في الناس هما بهم كفر وذكر: الفخر بالأحساب....**».

ب ـ الضعه: يقال: وضع الشيء من يده ألقاه وحطه. ويقال: وضع فلان من فلان حط من قدره ودرجته ويقال: وضعه الشح ودناءة النسب.

والضعه خلاف الرفعة في القدر، وهي الانحطاط واللؤم والخسة والدناءة يقال: في حسبه ضعه، والضعة تلتصق بالمرء المباشر لسوء الأخلاق والأعمال الدنيئة.

ويلتبس الأمر عند البعض بين الفخر والشرف، ولذلك فينبغي عند التطبيق على الناس أن يُستعمل الاسم الدقيق لكل منهما في مكانه الصحيح وألا يُخْطَأ في ذلك، فبينهما فرق فتنبه لذلك.

١١ ـ المداراة: هي تخلق الإنسان بالأشياء المستحسنة مع من يعاشره ما لم يشبها معصية الله.

والمداراة محمودة، ذكر ابن عبد البر قول رسول الله ﷺ: **«مداراة الناس صدقة»**[١].

وبعض الناس يلتبس عليه الفرق بين المداراة وهي مطلوبة ومحمودة كما جاءت بها أحاديث لما فيها من فوائد دون مضرة وبين المداهنة.

والمداهنة: هي إظهار خلاف ما يضمر، وهي استعمال المرء الخصال التي تستحسن منه في العشرة وهو على خلافها في الباطن وقد يرتكب معصية في سبيل المداهنة.

والمداهنة مذمومة؛ لأنها تترتب على مخالفة شرعية إما كذب أو ترك أمر شرعي أو فعل أمر منهي عنه، ولذلك تجد منهم من يستعمل إحداهما محل الأخرى وهذا خطأ ينبغي مراعاته عند الحديث أو الكتابة.

وأعلى من المداراة المودة، والمودة: هي المحبة وذلك بأن يحب الناس ويحبوه جاء في حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«التودد نصف الإيمان»**[٢]، وقوله عليه السلام: **«رأس العقل بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس»**[٣]، وقوله عليه السلام: **«إذا أحب الله العبد نادى جبريل إن الله يحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض»**[٤].

---

(١) رواه الطبراني، وأبو نعيم، وابن السني، وابن حبان عن جابر، وصححه ابن حبان، كشف الخفا، للعجلوني٢/ ١٦٢ ورقمه ٢٢٧٧، نشر مؤسسة الرسالة، لبنان.

(٢) رواه علي بن أبي طالب، وأخرجه السخاوي في المقاصد الحسنة ٣٣ وإسناده ضعيف.

(٣) قال ابن مفلح في الآداب الشرعية: ذكره ابن عبد البر ٣/ ٤٧٩، وأخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٣/ ٢٣٦ وقال: غريب من حديث جعفر، ورواه البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة، كشف الخفا ١/ ٥٠٧ ورقمه ١٣٥٢.

(٤) صحيح البخاري برقم ٦٠٤٠، وأورده في باب المقت من الله، نشر وزارة الشؤون الإسلامية.

وجاء في حديث آخر: «**ألا أنبئكم بشر من ذلكم؟**» قالوا: بلى يا رسول الله: قال: «**من يبغض الناس ويبغضونه**»[١].

فلننتبه لذلك عند استعماله كي يكون دالاً على حقيقة ومعناه.

١٢ ـ الظن: يقال: ظن الشيء ظناً، وهو إدراك الذهن الشيء مع ترجيحه.

ويلتبس الظن مع الشك عند بعض الناس، بحيث يستعملون أحدهما مكان الآخر وهذا خطأ؛ لأن الشك يختلف عن الظن، ويختلف عنهما الاعتقاد.

فالشك: هو التردد بين حكمين لا يرجح العقل أحدهما على الآخر، وبهذا يظهر الفرق بينهما فالظن إدراك بترجيح حصوله، والشك تردد بينها دون ترجيح.

أما الاعتقاد: فهو الجزم بحصول الشيء، ومنه العقيدة وهي الحكم الذي لا يُقبل الشك فيه لمن اعتقده، وهو أعلى درجات الحكم بحصول شيء أو عدمه ثم يأتي بعده الظن وهو مرتبة متوسطة بين الاعتقاد والشك، ثم آخرها الشك وهو التردد بين أمرين دون ترجيح، فلعلك أخي أدركت ذلك وتلاحظه في قولك وكتابتك والله يتولاك وإيانا بتوفيقه.

١٣ ـ الغبطة: وهي أن يتمنى المرء مثل ما للمغبوط من النعمة من غير أن يتمنى زوالها عنه، ومنه الحديث: «**أقوم مقاماً يغبطني فيه الأولون والآخرون**»[٢].

ولا شيء فيها، حيث إنها لا تحمل معنى الحسد.

ويخطئ بعض الناس بإطلاق الحسد على معنى الغبطة، حيث إن فيهما تمني مثل ما للمغبوط من النعمة، إلا أن الحسد يكون مع تمني

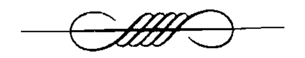
(١) رواه ابن عباس، قال: الألباني: ضعيف جداً، برقم ١٦٧٢.

(٢) رواه عبد الله بن مسعود في إسناده عثمان بن عمير وهو ضعيف مجمع الزوائد للهيثمي ١٠/ ٣٦٤.

زوالها، أما الغبطة فتكون بتمني مثلها مع بقاء النعمة على المغبوط وعدم تمني زوالها عنه. فالحسد: هو تمني أن تتحول النعمة من المنعم عليه إلى الحاسد أو أن تزول النعمة عن المحسود حتى ولو لم ينلها الحاسد، وهذا حرام وصاحبه مذموم، وقد أمر الله تعالى بالتعوذ من شر الحاسد إذا حسد وقانا الله تعالى من الحسد أن يصدر منا أو علينا.

والإيثار: هو تفضيل المرء غيره على نفسه قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

فبدلاً من تمني الشيء لنفسه على سبيل الحسد أو على سبيل الغبطة فإنه يؤثره على نفسه ويتمنى له المزيد، إن هذا هو قمة الكرم النفسي والسمو الأخلاقي.



الإسلام دين المحبة والسلام

السلام: اسم من أسماء الله تعالى، وهو التحية عند المسلمين، وهو السلامة والبراءة من العيوب والأمان والصلح، ودار السلام من أسماء الجنة.

جاء الإسلام للبشرية بالسلام والمحبة عوضاً عن العداوة والقتال والبغضاء الذي كان سائداً بين القبائل والشعوب والأمم.

فقد كانت المدينة المنورة موطن الأوس والخزرج وهما من الأزد، ومع ذلك كانوا يقتتلون، واستمرت المعارك بينهم مدة طويلة حتى جاء الإسلام ووحد بينهم، وبين المسلمين عموماً من القبائل والشعوب، حتى انصهرت في وحدة متكاملة متماسكة يحب المرء لأخيه ما يحبه لنفسه، بل وحل السلام بين أمة الإسلام وغيرها من الأمم ممن لم يحاربوا الإسلام أو يصدوا عن دعوته.

إنك لتسمع كثيراً من الناس يطلقون على الإسلام: أنه دين السلام وهذا ولا ريب صحيح بمعناه الذي ورد في القرآن الكريم، وهو دستور الإسلام، قال تعالى: ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٩٠].

وقوله: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١].

وقوله: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ [محمد: ٤٧]

وقوله: ﴿فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ﴾ [النساء: ٩١].

وهي تدل على أن الأعداء إذا طلبوا السلم وكفوا أيديهم عن قتال المسلمين وإيذائهم فإنهم يجابون لذلك، أما إذا لم يطلبوا السلم بل قاتلوا فإن على المسلمين الدفاع عن أنفسهم وأنهم لا يجوز أن تهون عليهم أنفسهم ويدعوا إلى السلم والحال أن الله جعلهم الأعلين وهو ناصرهم على من حاربهم واعتدى وبغى عليهم.

أما إطلاق لفظ دين السلام على الإسلام بمعنى: الاستسلام والذل والخضوع وهو ما ينشره الاستعمار وأعوانه بين المسلمين فهذا غير صحيح، بل الإسلام دين العزة والكرامة قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

والإسلام لا يقبل الظلم أن يقع على غير المسلمين من شعوب الأرض فكيف يقبله لأبنائه، إن ذلك ينافي مبادئ الإسلام وما جاء به من الحرية والعدالة والمساواة، بل إن الإسلام: سلم ومحبة واحترام لمن سالمه، وعزة وقوة على من حاربه وعاداه قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ [البقرة: ١٩٠].

وهو الدين الذي جاء لإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ورفع الظلم عن المظلومين والاضطهاد عن المستضعفين، وقد تنقَّل أحد القسيسين من إحدى الدول المستعبدة في أفريقيا بين النصرانية والشيوعية بحثاً عن الدين الذي يحفظ له حريته وكرامته وينأى به عن الذل والعبودية للبشر حتى وجد ضالته في الإسلام فأعتنقه بعد اقتناع تام بأنه الدين المنقذ لهم وللبشرية من الظلم والاستعباد وأنه يشرع رد المعتدي والدفاع عن الكرامة والحرية بالنفس والمال فإن انتصر فقد نال ما أراد وإن قتل فإنه ينال الشهادة في الآخرة وهي منزلة عالية في الجنة رزقنا الله إياها بمنه وكرمه.



طلب الكسب والرزق

خلق الله المخلوقات كلها وتكفل برزقها قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ﴾ [الروم: ٤٠]، وشرع السعي في البحث عن الرزق فقال تعالى: ﴿فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

والرزق له طرق متعددة فقد يكون عن طريق الوظيفة في الجهات الحكومية أو غيرها من الأعمال، وقد يكون عن طريق التجارة بيعاً أو شراء وبمختلف أنواع المواد المتاجر فيها، وقد يكون عن طريق الزراعة أو الصناعة أو غيرها.

وقد رأيت كثيراً من الشباب يحرص أشد الحرص على العمل في الوظيفة الحكومية ظناً منه أنها هي مصدر الرزق الوحيد، وأنها أسهل من غيرها وأكثر أماناً وإذا لم يستطع الحصول عليها فإنه ينتظر ولا يعمل شيئاً على أمل أن تتحقق له الوظيفة، وما علم ذلك أن أبواب الرزق واسعة وقد يكون عدم حصوله على الوظيفة بسبب أن الله تعالى قد قدر رزقه في غيرها، وقد يكون ذلك العمل أفضل بكثير من عمل الوظيفة ذات الدخل المحدود، بل قد رأيت أناساً سعوا للوظيفة ولم تتحقق لهم، عندها اتجهوا إلى البيع والشراء في الخضار والفواكه وغيرها وبعد فترة ليست طويلة أصبح دخلهم أضعاف دخل الموظف، وهذا ساعدهم على تأسيس حياتهم وبناء مستقبلهم فمنهم من تملك سكناً، بل إن منهم من أصبح يوظف لديه غيره وأثبت وجوده في مجتمعه وصار عامل نهضة ومصدر دخل لغيره قال

تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾ [البقرة: ٢١٦]، وقال ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ١٩].

وقد روى ابن أبي الدنيا بإسناده عن نعيم بن عبد الرحمٰن، مرفوعاً: «**تسعة أعشار الرزق في التجارة**»[١]، فهل يحصر طالب الرزق سعيه في الحرص على الوظيفة، إن ذلك غير مناسب.

وقد تعلمت وأيقنت أن الرزق مضمون، وقد جاءت بذلك الأحاديث ومنها: أنه حين يؤمر الملك بنفخ الروح في الجنين يؤمر بكتابة أربع كلمات: عمله وأجله ورزقه وشقي أم سعيد[٢]. وهذا يؤكد لنا أن الرزق مضمون، وأنه كما جاء في الحديث: «**لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها**»[٣]، وهذا لا يعني: التواكل والخمول ولكن السعي إلى طلب الرزق مع الطمأنينة وبذل الجهد كي يصل إلى ما قدر رزقه فيه، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول: اللهم ارزقني فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة»[٤].

فإذا وجد الإنسان رزقه في مجال فليمسكه ولا يتجاوزه لغيره، وإن لم يجده في سعي معين فليسع حتى يجد رزقه ثم ليتمسك به ولا يتعداه، فإني أقول ومن تجربة ومشاهدة لواقع الناس: أن من تعب في شبابه استراح في حياته، ومن استراح في شبابه تعب كل حياته، وبالله التوفيق.



---

(١) قال السيوطي: أخرجه سعيد بن منصور في سننه وهو: حديث حسن، الجامع الصغير ١/٥٠٦ ورقمه ٣٢٩٦.

(٢) رواه ابن ماجه في باب القدر برقم ٧٦.

(٣) رواه ابن مسعود، ذكره في فقه السيرة ص٩١. وقال الألباني: صحيح جاء من طرق يقوي بعضها بعضاً.

(٤) كتاب آداب كسب المعاش، محمد جمال الدين القاسمي ١/١١١، دار الكتب العلمية ١٤١٥هـ.

الإسلام دين ودنيا وعقيدة وشريعة ومنهاج حياة:

منذ بدء الخليقة وإرسال الرسل وهم يدعون إلى الإسلام، وهو دين الله وهو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك.

ودين الله واحد هو الإسلام وهو الذي بعث به الرسل جميعهم، فعقيدتهم واحدة وشرائعهم مختلفة بحسب ما يناسبهم، وكان الرسل يبعثون بالإيمان وما يحتاجه البشر من مبادئ وأسس تعينهم في أمور حياتهم، وكلما تقدمت البشرية في فهمها وتعاملها شرع الله وسن لها من الأحكام ما يلائم ذلك.

وجاءت شريعة موسى عليه السلام لقومه أشمل من غيرها بحيث تناولت أحكاماً في الشرائع من العبادات والمعاملات والسلوك.

ولما اكتمل نمو البشرية فكراً وسلوكاً وتعاملاً في شؤون الحياة وأصبحت مهيأة للرسالة الخالدة التي بعث بها محمد ﷺ جاءت رسالته شاملة وعامة تحمل وصف البقاء والخلود بما سَنَّه الله فيها من مبادئ وقواعد وأسس تصلح لتطبيقها على كل المجتمعات وفي كل الأزمنة والأمكنة.

فشريعة الإسلام تشمل الجوانب الإنسانية كلها: اجتماعية واقتصادية وسياسية وغيرها وهي للفرد والمجتمع والأمة، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

فهي تشمل حياة المسلم كلها في عباداته ومعاملاته وجميع شؤون حياته. وجعلها الله شريعة مبنية على اليسر والسماحة والبعد عن الحرج.

إنك ترى الناس في فهم الإسلام على طرفين:

١ ـ يرى الإسلام ديناً يلتزم المسلم فيه بأخذ الحيطة والحذر في أوامره ونواهيه بحيث يكون أخذه للإسلام بقوة والنبي ﷺ يقول: «**إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا..**» الحديث[1]، وينظر لغيره من المسلمين بأنهم قد ضيعوا دينهم وأنهم يجب أن يلتزموا كل أحكامه واجبات وسنناً، وأن يبتعدوا عن المباح خشية الوقوع في المحظور، وهذا خطأ لأنه يشدد على الناس وينفرهم من دينهم، فليس كل الناس يمكن أن يعمل جميع السنن ويبتعد عن المباحات، نعم يمكنه أن يأخذ نفسه بذلك إن أراد ولكن لا يطالب الناس بالتقيد به، ولا يحكم على دينهم بناء على هذا الأساس.

٢ ـ وطرف أخر يرى الدين إنما هو عبادات فقط من صلاة وصوم، وإن حياة الإنسان في تعامله وبيعه وشرائه وسلوكه وأخلاقه من شأن الإنسان نفسه، ولا علاقة للدين بذلك، وأن من يطلب التزامه بذلك فإنما يلزمه بالعادات والتقاليد السائدة التي ليست من الدين وهذا خطأ وخطأ كبير، ذلك أن من يقول هذا إنما هو يجعل الإسلام كغيره من الأديان التي تفصل بين الدين والدنيا، وأن المطلوب منه العقيدة والعبادات فقط أما المعاملات والسلوك والأخلاق وغيرها فليست من الدين، وإنما هي أمور شخصية له مطلق التصرف فيها، وهذا قد يكون من تأثره بالديانات الأخرى، فما لله فهو لله، وما لقيصر فهو لقيصر، أو أنه يرغب أن يتبع رغباته وشهواته دون حسيب أو رقيب، وما علم أن تعامله ذلك ليس مع

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة برقم ٣٩.

البشر وإنما هو مع رب البشر، الذي يعلم السر وأخفى وسوف يحاسبه عن كل أفعاله وأقواله.

ومما تعلمت وخبرت في الحياة أن الإسلام دين وسط بين الإفراط والتفريط، وبين الغلو والتضييع، وأنه عقيدة وشريعة ومنهاج حياة، يشمل جميع أمور الحياة من سياسة واجتماع واقتصاد وغيرها بما يكفل سعادة الإنسان وتلبية حاجاته وتنفيذ رغباته بما أباحه الله قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٤].

فليراجع كل من الطرفين نفسه ويتبع منهاج الإسلام الوسط الذي يضمن له سعادة الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣].



أمان الاستغفار

الإنسان بشر مخلوق يصدر منه الخطأ والصواب والخير والشر، وقد أنعم الله علينا بنعم كثيرة لا تعد ولا تحصى فيجب علينا الحمد والشكر، ومن تلك النعم أنه جعل لنا الاستغفار الذي يمحو الذنوب التي تصدر من عباده بعصيان أوامره أو ارتكاب مخالفات نهى عنها، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال: ٣٣].

والنبي ﷺ كان يكثر من الاستغفار وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقد جاء في حديث أبي هريرة: «**والله إني لأستغفر الله تعالى وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**»(١)، وجاء في حديث الأغر المزني رضي الله عنه: «**إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة**»(٢) قال أبو موسى الأشعري: كان لنا أمانان ذهب أحدهما وبقي الآخر، ويروي في ذلك قول النبي ﷺ: «**أنزل الله عليّ أمانين لأمتي، فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار إلى يوم القيامة**»(٣)، ويفهم ذلك من قوله

(١) رواه البخاري ورقمه ٦٣٠٧.

(٢) رواه مسلم برقم ٢٧٠٢.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده ٣٩٣/٤، المكتب الإسلامي، لبنان، ورواه الترمذي برقم ٣٠٨٢، وقال: هذا حديث غريب.

تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال: ٣٣].

وجاء في الحديث الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما: «**من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً ومن كل هم فرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب**»[(١)]، والاستغفار طلب المغفرة والصفح من الله ومحو السيئات، قال الفضيل بن عياض: قول العبد: استغفر الله: أقلني ويكون الاستغفار بالقول والفعل، ولا يكفي طلب المغفرة بالقول والمرء مقيم على معصيته ومخالفته، قال ابن القيم: الاستغفار الذي يمنع العذاب هو الاستغفار بالإقلاع عن كل ذنب، وأما من أصر على الذنب وطلب من الله المغفرة فاستغفاره لا يمنع العذاب؛ لأن المغفرة هي محو الذنب وإزالة أثره ووقاية شره، وليس هي الستر فقط فإن الله تعالى يستر على من يغفر له ومن لا يغفر له، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه[(٢)]: العجب ممن يهلك ومعه النجاة. قيل: وما هي؟ قال: الاستغفار.

وقال بعض العلماء: العبد بين ذنب ونعمة لا يصلحهما إلا الحمد والاستغفار.

وقد تعلمت من ذلك:

١ ـ أن الاستغفار نعمة ومنحة من الله للمسلم يستعملها ليمحو بها سيئاته برحمة الله.

٢ ـ أن المسلم باستغفاره يكسب أموراً ومعاني غير تكفير السيئات، ومنها: أن الله يجعل له من هم فرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب، وكل منا يحب ذلك، فعلينا بالاستغفار.

---

(١) رواه أبو داود برقم ١٥١٨، والحاكم، وقال: صحيح الإسناد، وقال العجلوني في كشف الخفا: رواه ابن ماجه والبيهقي عن ابن عباس ٢/ ٣٦٥ ورقمه ٢٦٠٦.

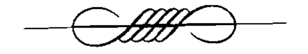
(٢) إحياء علوم الدين، للغزالي ١/ ٣٢٢.

٣ ـ أن سيد الاستغفار كما ورد في الحديث الذي رواه شداد بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: «**سيد الاستغفار: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء لك بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت أعوذ بك من شر ما صنعت. إذا قالها حين يمسي فمات دخل الجنة وإذا قالها حين يصبح فمات من يومه مثله**»(١)، فعلينا التمسك بذلك والمواظبة صباحاً ومساءاً.

٤ ـ أنه لا بد أن يكون القول مطابقاً للفعل، ولا يكفي طلب المغفرة بالقول فقط والإنسان مصر على مخالفته والله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢﴾ [الصف: ٢].

٥ ـ أن المسلم بإكثاره من الاستغفار يكون قلبه متعلقاً بالله وذاكراً له، مما يحمله على فعل الطاعات واجتناب السيئات، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

٦ ـ أن في الاستغفار ثوابين وجزائين، أحدهما في الدنيا وهو الأمن من عذاب الله، وأما الآخر فإنه في الآخرة بالمغفرة وتكفير السيئات برحمة الله وعفوه.



(١) أخرجه البخاري برقم ٦٣٢٣، في باب ما يقول إذا أصبح.



بلد الحرمين والعالم

إن بلاد الحرمين هي مهد الإسلام، ومنها بعث محمد ﷺ، وفيها أنزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، وفيها بيت الله الحرام والكعبة المشرفة والمشاعر المقدسة للحج من منى وعرفة ومزدلفة وفيها مسجد نبيه الكريم.

إن ذلك كله يحمل مواطني هذه البلاد والمقيمين فيها مسؤولية كبرى وأمانة عظمى تجاه بلاد المسلمين بشكل خاص والعالم أجمع.

إنه ينبغي أن يكون الناس هنا قدوة في تمسكهم بدينهم الحق دون إفراط ولا تفريط، كي يتمثلوا الإسلام الحق ويكونوا نموذجاً حياً لتطبيقه فهم أحفاد الصحابة.

ولا يجوز بحال من الأحوال أن يكون الناس هنا غير متحلين بآداب الإسلام ولا ملتزمين بتعليماته، نعم ليس الناس هنا ملائكة ولا معصومين عن الزلل، ولكن المقومات والأسباب متوفرة لهم للتمسك بالإسلام والتقيد بآدابه ليكونوا قدوة يحتذى بها ومثالاً صادقاً يجسد الإسلام واقعاً.

إن المسلمين ينظرون إلى شعب المملكة نظرة حب واحترام لما يقومون به من رعاية للمقدسات وخدمة لها، كما أن غير المسلمين يشعرون بأهمية هذه البلاد لما تتمتع به من مكانة في قلوب المسلمين وغيرهم، وذلك يكسبها قوة ومكانة لا تتوفر لغيرها، وذلك مصداقاً لقوله

تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزخرف: ٤٤].

فهذه السمعة الطيبة والمحبة والتقدير نعمة كبرى يجب المحافظة عليها وعدم التفريط فيها وكان الإنسان من هذه البلاد يتلقى بالبشر والإكرام عند سفره لبلاد المسلمين أياً كانت شرقاً أو غرباً لما يرون فيه من أخلاق طيبة وسلوك حسن.

إنه لا يجوز لأبناء هذه البلاد الطاهرة وخاصة الشباب هداهم الله أن يسيئوا إلى سمعة بلادهم بعمل بعض المظاهر السلبية، سواء أكانت هنا أم بسفرهم إلى بعض الدول والتحلل من أخلاق الإسلام وآدابه، فالله موجود ومطلع على الإنسان في كل مكان وعلى أي عمل يعمله.

إن تغير النظرة لمواطني هذه البلاد الطاهرة عند بعض الدول وتحولها من إيجابية إلى سلبية إنما هو بسبب الأفعال غير المسؤولة من البعض التي يجب أن نتعاون جميعاً في إزالتها وزيادة حسن تلك الصورة بالآتي:

١ ـ أن يستقبل القادمون إلى بلادنا بالبشاشة والمودة والترحيب، سواء منهم من قدم للحج أم العمرة والزيارة، أم من يقدمون للتعامل معنا تجارة أو صناعة أو زراعة وأن نقدر لهم ذلك المجيء ونعاملهم بإحسان.

٢ ـ أن يعد من يذهب للدراسة أو التجارة بحيث يعتبر نفسه ممثلاً لبلده، وأن يتعامل بأحسن الأخلاق ويبتعد عن سفاسفها، وليكن له في سلفنا القدوة الحسنة ممن ذهبوا للتجارة فكانوا بحسن تعاملهم النموذج الأمثل، فأسلم بسببهم أكثر مما أسلم بسبب الغزوات والجهاد.

٣ ـ أن يقلل من السماح في السفر إلى بعض البلاد ولا سيما من الشباب، ذلك أنهم يتعرضون لأخطار ومواقف غير لائقة، وهم قد يعودون منها بأمراض فتاكة تصيب المجتمع في صحته. إن بعضاً منهم يسيئون إلى أنفسهم وإلى بلادهم بما يقومون به من تصرفات مشينة أدت

إلى تدني سمعة الناس هنا بحيث نخسر ما كسبه آباؤنا وما أنعم الله علينا به من سمعة كريمة ومحبة عظيمة ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٤ ـ أن يختار من يمثل هذه البلاد الطاهرة من ذوي الأخلاق الحسنة والسيرة الحميدة؛ لأنهم لا يمثلون أنفسهم فحسب وإنما يمثلون بلادنا وليست كأي بلد، بل هي بلاد الحرمين والمقدسات الإسلامية التي يستكثر منها ما لا يستكثر من غيرها، وتلام على ما لا يلام عليه الآخرون بحكم موقعها ومكانتها وواجبها ورسالتها المنوطة بها.





الاختلاف في أمور الإسلام ومسائله

شرع الله للبشرية دين الإسلام عقيدة وشريعة، فجاءت الأصول العقدية محل اتفاق بين العلماء، ثم إن الشريعة منها ما هو محدد واضح لا يعدل عنه كما في علم الفرائض والمواريث، ومنها ما هو مجال خلاف كما في فروع الشريعة من معاملات وغيرها، وهذا يعد ميزة للشريعة من حيث المرونة والتنوع، وهو يحقق شموليتها لجميع أمور الحياة ويؤكد عموميتها لجميع البشر، فهي قد جاءت بقواعد وأسس ومبادئ عامة يمكن تطبيقها على ما يجد من حوادث وقضايا ولم تجئ بأمور تفصيلية؛ لأنه لا يمكن حصر المسائل والمشاكل لاختلافها في كل عصر ومكان.

فلو كانت فروع الشريعة لا تحتمل التأويل والاختلاف لكان في ذلك تضييق على الناس في أمور حياتهم ومعاشهم. جيء بشخص قد ارتد عن الإسلام أيام المأمون فسأله المأمون: عن سبب ردته، قال المرتد: أوحشني كثرة ما رأيت من الاختلاف فيكم، قال المأمون: لنا اختلافان:

أحدهما: كالاختلاف في الأذان وتكبير الجنائز والتشهد وصلاة الأعياد ووجوه القراءات واختلاف وجوه الفتيا وما أشبه ذلك، وليس هذا باختلاف إنما هو تخيير وسعة، لا يتعايرون ولا يتعايبون أنت ترى ذلك عياناً.

والثاني: اختلافنا في تأويل الآية من كتابنا وتأويل الحديث عن نبينا مع اجتماعنا على أصل التنزيل واتفاقنا على عين الخبر، فإن كان الذي أوحشك هذا حتى أنكرت من أجله هذا الكتاب فقد ينبغي أن يكون اللفظ بجميع التوراة والإنجيل متفقاً على تأويله، كما يكون متفقاً على تنزيله ولا يكون بين جميع النصارى واليهود اختلاف في شيء من التأويلات، وينبغي لك ألا ترجع إلا إلى لغة لا اختلاف في تأويل ألفاظها، ولو شاء الله أن ينزل كتبه ويجعل كلام أنبيائه ورسله لا يحتاج إلى تفسير لفعل، ولكنا لم نر شيئاً من الدين والدنيا دفع إلينا على الكفاية ولو كان الأمر كذلك لسقطت البلوى والمحنة وذهبت المسابقة والمنافسة ولم يكن تفاضل، وليس على هذا بنى الله الدنيا.

قال المرتد: أشهد أن الله واحد لا ند له ولا ولد وأن المسيح عبده، وأن محمداً صادق، وأنك أمير المؤمنين حقاً[١]. ولك أن تتعجب أخي كيف كان إقناع المأمون لهذا المرتد بهذا الأسلوب العلمي البديع حتى رجع عن ردته إلى الإسلام، ولكنه كان عالماً مع كونه خليفة وهذا طبع الخلفاء من لدن أبي بكر ﷺ إلى أن ضعفت الأمة الإسلامية فكان الخليفة هو العالم والخطيب والحاكم.

إني بما استفدته من دراسة ومعرفة وخبرة في مجال الفقه وأمور الحياة أؤكد للقارئ الكريم ما يأتي:

١ ـ أن الإسلام شريعة صالحة لكل زمان ومكان، وأنها جاءت عامة وشاملة لأمور الحياة البشرية التي قد مرت بأطوار مختلفة من النمو والتطور، وبلغت مرحلة النضج في كل شؤونها فكان الإسلام هو الدستور والقانون الذي يلبي حاجاتها ويحقق مطالبها.

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ ٣/ ٧٣.

٢ ـ أن في الإسلام أموراً ومبادئ ثابتة ومحددة لا يقبل الاختلاف فيها كأمور العقيدة والميراث والأخلاق والسلوك.

٣ ـ أن الإسلام قد جاء بقواعد وأسس يبني عليها أحكامه وجعل فيها من المرونة والشمول ما يجعلها صالحة للتطبيق في كل عصر ومصر.

٤ ـ أن الإسلام دين السماحة واليسر قد جعل تطبيق أحكام الفروع قابلاً للخلاف وهو اختلاف تنوع أو اختلاف تفسير وتأويل ونحو ذلك، وهو مما يستلزمه كون الإسلام دين الله الخالد الباقي إلى قيام الساعة، قال الخليفة عمر بن عبد العزيز: ما يسرني أن أصحاب رسول الله ﷺ اتفقوا؛ لأن خلافهم توسيع على الأمة بالأخذ بأحد الأقوال حسبما يؤدي إليه اجتهاد ذوي العلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أما أنواع الاختلاف فهي في الأصل قسمان: اختلاف تنوع واختلاف تضاد، واختلاف التنوع على وجوه: منه ما يكون كل واحد من القولين أو الفعلين حقاً مشروعاً كما في القراءات التي اختلف فيها الصحابة حتى زجرهم رسول الله ﷺ عن الاختلاف وقال: «**كلاكما محسن**»[١]، ومثله اختلاف الأنواع في صفة الأذان ـ والإقامة ـ والاستفتاح... إلى غير ذلك مما شرع جميعه وهذا القسم الذي سميناه اختلاف التنوع كل واحد من المختلفين مصيب فيه بلا تردد...»، ثم تكلم عن الاختلاف الثاني بقوله: «وأما اختلاف التضاد: فهو القولان المتنافيان»[٢].



(١) رواه عبد الله بن مسعود، وأخرجه البخاري برقم ٢٤١٠.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، لابن تيمية ص٣٧.



هل العقل يهدي صاحبه إلى الإيمان الحق؟

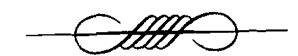
إن العقل نعمة كبيرة من أعظم نعم الله، وهو مناط التكليف للبشر، وهو فرق ما بينهم وبين غيرهم، وقد قسَّمه الله بين الناس، فمنهم العاقل الذي يزن الأمور بموازينها ومنهم المجنون الذي لا يعقل ومنهم من يحمل نصف عقل، ومنهم من أوتي عقلاً كبيراً راشداً صقلته التجارب وخبرات الحياة حتى أصبح حكيماً، تصدر عنه الحكمة التي يستفيد منها الناس، ومع هذا فكل البشر راضون بما منحوا من نعمة العقل، بل ويرى المرء نفسه أنه من أعقل الناس، كما قيل: كل بعقله راضٍ إلا بماله فلا.

إنك لترى في الأمم كلها عقلاء بل وحكماء، يعمل كل منهم في مجال معين يبلغ فيه أعلى درجات الكمال البشري، وترى كثيراً من الدول تبلغ القمة في التطور الإداري والاقتصادي والاجتماعي والسياسي وغيرها، وذلك بما وهب الله قادتها من عقول سخرت لخدمة أوطانها، ثم إنك لتعجب أشد العجب من أولئك العقلاء الذين بنوا شؤونهم الدنيوية على أحسن حال وقد أغفلوا النظر واستعمال العقل في تأمين حياتهم الباقية قال تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس: ١٠١].

إن العقل المجرد لا يهدي صاحبه إلى الإيمان، ولذلك بعث الله الرسل إلى البشرية لتدلهم وترشدهم إلى طريق الحق والهداية، ومع أن الرسل قد بعثوا إلى كل البشرية في أزمانهم وأماكنهم التي أراد الله إلا أن

منهم من يهتدي إلى توحيد الله وعبادته ومنهم من لا يهتدي على الرغم من تمتعه بنعمة العقل والإدراك، إن الهداية نعمة من الله يهبها لمن يشاء من عباده ممن أراد لهم السعادة في الدارين قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

نعم إن العقل قد يساعد في الدلالة إلى الإيمان لمن أراد الله له الهداية، فالإسلام يحترم العقل وجميع تعاليمه لا تخالف العقل الصريح، وما دامت الهداية منحة ومنة من الله فعلى المرء أن يشكر الله عليها، كيف لا وقد منحه الله بها شهادة النعيم والخلود الأبدي، وذلك لا يعد له شيء، نسأل الله الثبات على ذلك إلى يوم لقائه إنه سميع مجيب.



المال وأهميته في حياة المسلم

المال عصب الحياة، به تقوم الأمم وتشاد الحضارات وتنفذ الخدمات، ولا يمكن أن تتصور الحياة دون مال إذ هو ضرورة لتبادل المنافع والأشياء بين البشر.

وقد أولى الإسلام عنايته للمال، وأشاد ببذله في أعمال الخير والجهاد فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ...﴾ [التوبة: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠] فسمى المال خيراً.

وقال رسول الله ﷺ: «**نعم المال الصالح للرجل الصالح**»(١).

والمال إما أن يكون خيراً وإما أن يكون شراً، وذلك بحسب جمعه ووجوه إنفاقه، فإن تم جمعه بطرق حلال وأنفق في وجوه الخير والمباحات ولم يشغل عن الطاعة فهو خير، وإن تم جمعه بطرق محرمة أو أنفق في المعاصي والملذات وشغل صاحبه عن الله فهو شر.

روي عن عيسى عليه السلام أنه قال: في المال ثلاث آفات: أن يأخذه من غير حله، أو يضعه في غير حقه، أو يشغله إصلاحه عن الله تعالى(٢).

---

(١) رواه أحمد ١٩٧/٤، والطبراني من حديث عمرو بن العاص بسند صحيح قال الحافظ العراقي: إسناده جيد، تخريج أحاديث الإحياء، للغزالي ١٢٧/٤.
(٢) إحياء علوم الدين، للغزالي ٢٣١/٣.

فعلى المسلم أن يهتم بأن يكون ماله خيراً له بعد أن يكتسبه بطرق مشروعة وذلك بإتباع الآتي:

١ ـ أن ينفقه على نفسه في عبادة كالحج، أو في الاستعانة على عبادة وهو ما يقويه من مسكن وملبس ومأكل ومنكح دون إسراف، وذلك كي يتفرغ قلبه لطاعة الله ولا ينشغل بطلب تلك الحاجات.

٢ ـ ما يبذله للناس: وهو إما أن يكون صدقة لله أو يكون من باب المروءة، وذلك بصرف المال إلى الأصدقاء وغيرهم ممن ليس بحاجة إلى الصدقة كتقديم الضيافة والهدية والقرض واصطناع المعروف، إذ به يكسب المرء الإخوان والأصدقاء وقلوب الناس والأجر من الله إذا احتسب ذلك.

وإما أن يكون بذل المال وقاية لعرضه من هجو الشعراء وذم السفهاء، وبه ينال الأجر إن احتسب ذلك حيث يقي نفسه ويمنع غيره من الغيبة والذم مما يحصل به الوزر على قائله.

٣ ـ ألا يشغله ماله عن الله والدار الآخرة بل يكون ماله سبيلاً إلى الخير وعلو المنزلة في الجنة، وأن يقتدي في ذلك بصحابة رسول الله ﷺ؛ كأبي بكر وعثمان بن عفان وطلحة وغيرهم في بذلهم المال في عز الدنيا وكرامة الآخرة، وأن يكون ماله في يده كي يكون مالكاً له يصرفه في وجوه الشرف والرفعة والأجر، وألا يكون في قلبه بحيث يكون ماله هو المالك له فلا يستطيع بذله وإنفاقه على ما فيه العزة والثواب وقانا الله من ذلك.

٤ ـ على المسلمين أن يكتسبوا المال بالطرق المشروعة، وأن ينفقوا منه سواء أكان عند الفرد أم المجتمع أم الدولة على مصالح الأمة؛ كالتعليم والصحة والخدمات التي يحتاجها الناس، وفي سبيل نشر الإسلام فالمؤمن القوي خير وأحب لله من المؤمن الضعيف، وذلك في كل شيء، ولا مكان في هذا العالم إلا للأقوياء والقوة بالحق وحده.

٤١

الاقتصاد في الاستهلاك وغيره

يشتكي كثير من الناس من أن دخله لا يكفيه في معيشته وشؤون حياته، وترى كثيراً منهم دخله جيد ولكن مع ذلك يعيش على القروض والديون، ولو دقق المرء فيما يستهلكه لوجد أن الضروريات من المأكل والملبس والسكن لا تكلف كثيراً، وإنما الذي يكلف ويذهب بالدخل الكماليات المختلفة التي يمكن الاستغناء عنها أو عن بعضها وإنك تلاحظ ازدياد الفقراء عاماً إثر عام، وحسب خبرتي وما اطلعت عليه فإن غالب الفقراء إنما كان فقرهم عن سوء التدبير وليس من قلة الدخل، ولذا فإني أقدم لراغب الاستفادة ما يأتي:

١ ـ أن يقتصد في نفقته وأن يحسن التدبير في معيشته، بحيث يرتب أولوياته حسب الأهمية، على ألا يتجاوز المحدد إنفاقه لكل شهر، وأن يمتثل في حياته ما ورد في ذلك من توجيه نبوي في الحث على الاقتصاد وحسن التدبير ومنها قوله ﷺ: «**ما عال من اقتصد**»[١].

وفي الحديث: «**من اقتصد أغناه الله ومن بذر أفقره الله**»[٢].

---

(١) رواه أحمد ٤٤٧/١ عن ابن مسعود، وذكره العجلوني عن أحمد كشف الخفا ٢٤٧/٢ ورقمه ٢٢٢٠.

(٢) رواه البزار من حديث طلحة بن عبيد الله، المغني عن حمل الأسفار، للحافظ عبد الرحيم العراقي حاشية على الإحياء ٢٣٦/٣، وقال السيوطي في الجامع الصغير: حديث ضعيف ٥٧٨/٢ ورقمه ٨٥٠١.

وفي الخبر: «**التدبير نصف المعيشة**»[1].

قال ابن عبد البر: قال عمر بن الخطاب: «لا يقل مع الإصلاح شيء ولا يبقى مع الفساد شيء»[2].

وقال الشاعر:

قليل المال تصلحه فيبقى ولا يبقى الكثير مع الفساد

٢ ـ حسن التخطيط والترتيب، وذلك بأن يحاول قدر الإمكان أن لا يتجاوز مصروفه نصف دخله، فإنه يقال: من صرف أكثر من نصف دخله فهو سفيه، فإن لم يستطع فلا يتجاوز الثلثين بحيث يوفر الثلث، وعليه أن يلتزم القاعدة التي تقول: لا تشتر كلما تحتاجه واشتر ما لا يمكن الاستغناء عنه.

٣ ـ أن يحدد دخله الشهري ويوزعه، بحيث يكون بعضه للنفقة، وبعضه لما لا بد منه من فواتير كهرباء ومياه وهاتف ونحوها، وبعضه يدخره للمستقبل؛ لأنه لا يدري ماذا يحدث له من حاجة أو مرض، وينفق جزءاً من دخله مهما كان قليلاً على أعمال الخير المتنوعة، وهذا ادخار منه للأجر عند الله كما أن فيه البركة في المال والحياة كلها.

٤ ـ أن يكون من أولوياته تأمين السكن، ولا يمكن أن يملك سكناً وهو غير مقتصد، وقد سأل أحد الناس آخر عن شخص وقال: أله سكن؟ قال: لا قال: إذاً هو فقير، وسأله عن آخر فقال: أله سكن؟ فقال: نعم قال: إذاً هو غني، فالمسكن هو الأساس والقاعدة في بناء المستقبل وبه يكون الاستقرار والطمأنينة في الحياة.

٥ ـ ألا يتطلع إلى غيره ممن هو أغنى منه ويقارن نفسه به، بل

---

(١) رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس وفيه خلاد بن عيسى جهّله العقيلي ووثقه ابن معين، الحافظ العراقي في المغني في تخريج أحاديث الإحياء ٣/ ٢٣٥.

(٢) الآداب الشرعية، لابن مفلح ٣/ ٣٣٠.

ينظر إلى من هو دونه وأن الله فضّله عليه، كي يشكر نعمة الله ولا يزدريها، كما ورد أن المرء المسلم ينظر إلى من هو فوقه في الطاعة كي ينافس فيها، وينظر إلى من دونه في الدنيا، كي لا يزدري النعمة التي أَنعم الله بها عليه ويستقلها، بل يحمد الله أن فضله على كثير من الناس، فذلك أجدى له ديناً ودنيا وراحة بال وطمأنينة وسعادة في الحياة، والله المشكور على أفضاله ونعمه التي لا تعد ولا تحصى، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨].



٤٢

وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون

كثير من الناس يعمل أعمالاً يظن أنها تفيده وتعود على مجتمعه وأمته بالخير، وتكون تلك الأعمال أحياناً وبالاً عليه وعلى مجتمعه وأمته حاضراً أو مستقبلاً، وقد يكون مجتهداً حسن النية غير مدرك عواقب ما يقوم به، ولكنه كذلك قد يكون قاصداً تحقيق هدف معين خاص أو عام ويزين ذلك في نفسه ويراه حسناً وأنه أفضل من غيره فهماً وإدراكاً ولكن الأمر في حقيقته وأثره لا يعدو أن يكون مضرة وفساداً للفرد والمجتمع والأمة قال تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ﴾ [فاطر: ٨].

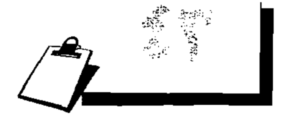
إن ذلك الإنسان قد قلبت عنده المعايير والموازيين فأصبح يرى السيئ حسناً والحسن سيئاً، ويرى الخير شراً والشر خيراً، والعياذ بالله، وتراه يركب الذلول والصعب كلاماً وكتابة في تحسين ما يراه، وأن ذلك إنما هو لصالح المجتمع، وأنه لا يريد إلا الإصلاح والصلاح، وإذا ما قيل له: أعد النظر فيما قلت أو كتبت أخذته العزة بالإثم ولم يقبل أن يتراجع ولو بالتفكير وإعادة النظر، بل يصر على أنه مصلح وفي عداد المصلحين، فهل ذلك طمس لبصيرته بحيث أصبح يرى الباطل حقاً والحق باطلاً والعياذ بالله، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [البقرة ١١، ١٢].

وما علم أن الأمر لن ينتهي عند الكلام أو الكتابة سواء تحقق

مطلبه أم لا، وإنما له آثار وتبعات قد تعود عليه في الدنيا عاجلاً، وقد تدخر له يوم القيامة ولن ينفعه إصراره وحرصه على هدفه مما يعود على الأمة بالضرر والسوء، بل قد يعاقب بطمس بصيرته إذا تمادى في غيه قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۚ﴾ [الصف: ٥]، وقال تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ﴾ [البقرة: ١٠]، فهو بذلك قد جنى على نفسه، فأصبح الميزان لديه مقلوباً بحيث يرى الباطل حقاً والحق باطلاً، ويرى أن ذلك هو الصحيح وأنه هو الحق، فكم عوقب المسكين وهو لا يشعر بفداحة خطئه حتى يكشف له عن ساق ويبصر الأمر على حقيقته يوم القيامة، وعندها لا ينفعه ندمه إذ كل شيء أُحصي عليه وسيجازى به.

وقد تعلمت من تجربتي أن أفكر فيما أريد الإقدام عليه قولاً أو عملاً أو كتابة، وهل هو مصلحة حقيقية أم غير ذلك مما تزينه النفس، وهل يسرني أن أجد ذلك في صحيفتي يوم القيامة أم يسوؤني ذلك، فالأمر جد خطير، وعلى الجميع التفكير ثم التفكير قبل الإقدام على شيء من ذلك، فإن تأكد له خيره بعد التشاور مع من هم أهل للاستشارة فليقدم عليه وإلا فليدعه، ولا يتبع هوى نفسه والشيطان، ولا يضير الإنسان إذا تبيّن له خطأ ما ارتكبه أن يرجع عنه، كما رُوي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله: «الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل، فإن الآخرين لن ينفعوا المسيء ولن يتحملوا عنه عذاب سيئاته، قال تعالى: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيْءٍۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾﴾ [العنكبوت: ١١، ١٢]».





كتمان السر وإفشاؤه

السر هو ما يكتمه الإنسان في صدره.

تنقسم المعلومات والأقوال والأفعال إلى قسمين:

أولاً عامة: وهي متاحة للجميع يتناقلها الناس في مجالسهم وفي وسائل الإعلام المختلفة.

ثانياً خاصة: وهذه تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ قسم خاص: وهذه يمكن أن يطلع عليها الأهل والمعارف، وهو ما يخص بعض أمور الأسرة وغيرها وهي ليست سرية.

٢ ـ قسم يمكن أن يطلع عليه الخاصة فقط من صديق أو أخ ولا يجوز أن يطلع عليه غيرهم؛ لأنها من الخصوصيات، ولأنه قد يكون في كشفها ضرر على من تخصه، وهي من الأسرار التي يعتبر كتمانها أمانة عمن لم يطلعه صاحبها عليها، وكما يقال: السر إذا جاوز الاثنين شاع.

٣ ـ قسم لا يمكن أن يطلع عليه أحد مطلقاً؛ لأن في إخراجه تفويت مصلحة لمن يخصه ذلك أو حصول ضرر، وهذا يجب كتمه وعدم البوح به لأحد.

ومع الأسف فإنك ترى بعض الناس يبوح بكل أموره لأي أحد، أو أنه يبوح بها لمن يظن أنه ثقة فإذا به يذيعها إلى آخر والآخر لغيره وهكذا تنتشر، وبذلك يضر صاحب السر نفسه وقد يضر غيره ممن له علاقة بهذا السر ولسان حال هذا ما قال بعض الأعراب:

ولا أكتم الأسرار لكن أنمها ولا أدع الأسرار تغلي على قلبي
وإن قليل العقل من بات ليله تقلبه الأسرار جنباً إلى جنب

ويجب الاحتفاظ بالسر؛ لأنه أمانة، فمن يفضي إليك بسره فإنه يثق بك فلا تخن أمانته، فإنه لن يثق بك مستقبلاً ولن يأتمنك على شيء فتخسر بذلك أمانتك وصاحبك. قال ابن الجوزي: ومن العجز إفشاء السر إلى الولد والزوجة، والمال من جملة السر فاطلاعهم عليه: إن كان كثيراً فربما تمنوا هلاك المورث، وإن كان قليلاً تبرموا بوجوده، وربما طلبوا من الكثير على مقدار كثرته فأتلفته النفقات، وستر المصائب من جملة كتمان السر؛ لأن إظهارها يسر الشامت ويؤلم المحب، فعلى الإنسان أن يكتم سره ليكون مالكاً لأمره.

وقد تعلمت في هذه الحياة ما يأتي:

أن أتخذ لي صديقاً صادقاً يكتم السر أبوح له بالأشياء التي لا فائدة من كتمانها بل قد يضر كتمها الإنسان نفسياً وصحياً وهذا ينطبق عليه قول القائل:

بثثت إلى عمرو بعض ما في حشاشتي وجرعته من مر ما أتجرع
ولا بد من شكوى إلى ذي مروءة يواسيك أو يسليك أو يتوجع

وكما قال الضلعان العبدي:

وسرك ما كان عند امرئ وسر الثلاثة غير الخفي

أما المعلومات والأمور غير السرية ولكنها من الخصوصيات التي لا يضر إفشاؤها فيما لو تم ذلك فإني قد أبوح بها إلى صفوة معينة ممن أطمئن إليهم.

وأما الأمور السرية الهامة التي لا ينفع إفشاؤها بل يضر فهذه لا يمكن البوح بها لكائن من كان، وذلك امتثالاً لقول رسولنا الكريم ﷺ في حديث بريده: «**استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان فإن كل ذي**

نعمة محسود»[١].

وقال عمرو بن العاص: «ما استودعت رجلاً سراً فأفشاه فلمته لأني كنت أضيق صدراً حين استودعته»[٢]. وقال:

إذا أنت لم تحفظ لنفسك سرها فسره عند الناس أفشى وأضيع

وكان يقال: من ضاق قلبه اتسع لسانه.

ويقال: ما كنت كاتمه من عدوك فلا تظهر عليه صديقك.

وقال الشاعر:

سأكتمه سري وأحفظ سره ولا غرني أني عليه كريم
حليم فينسى أو جهول يشيعه وما الناس إلا جاهل وحليم

وكانت العرب تقول: من ارتاد لسره موضعاً فقد أذاعه.

وقد قال الشاعر:

إذا كان صدر المرء في السر ضائقا فصدر الذي يستودع السر بالسر أضيق

فإذا كان الإنسان لا يحفظ سره وله فيه مصلحة وعليه من إفشائه مضرة، فكيف يطلب ممن أفشى له بالسر أن يكتمه ولا مصلحة له أو مضرة عليه من إفشائه، إن اللائق بصاحب السر أن يحتفظ به لنفسه. وقد وجدت من تطبيق ذلك الفائدة في تنفيذ أموري على ما يرام دون إعاقة بحول الله أو تعرض لتعطيل بسبب إفشاء سر ما.



(١) مجمع الزوائد للهيثمي. رواه معاذ بن جبل ١٩٨/٨ وفيه سعيد بن سلام العطار، قال العجلي: لا بأس به وكذبه أحمد وغيره وبقية رجاله ثقاة إلا أن خالد ابن معدان لم يسمع من معاذ. وقال السيوطي: رواه الطبراني في الكبير وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في شعب الإيمان وقال: هو حديث ضعيف الجامع الصغير ١/ ١٥٠ ورقمه ٩٨٥.

(٢) عيون الأخبار، لابن قتيبة ١/ ٤٠.



أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار؟

خلق الله الكون وأبدعه، وجعله آية وعبرة لمن أراد البحث عن الحقيقة قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠].

وقد أرسل الله الرسل إلى الناس من لدن نوح إلى محمد عليهم جميعاً الصلاة والسلام كي يبينوا للناس طريق الهداية، ويدلوهم إلى ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة، فآمن منهم من هداه الله فأدرك عز الدنيا ونعيم الآخرة وخالف غيرهم فتنكبوا الطريق وضلوا السبيل فحلت عليهم الشقاوة في الدارين.

إن إيمان الإنسان بربه وحده لا شريك له وعبادته إياه وإخلاص العمل له سعادة في الدنيا وطمأنينة وراحة بال، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧].

والحياة الطيبة في الدنيا بكل ما تحمله الكلمة من معنى هي ثمرة الإيمان بالله وإخلاص العمل له دون شريك، فالمسلم قد حسم أمره وأراح نفسه من التوجه لغير الله فأصبح هادياً مطمئناً لا ازدواجية ولا تناقض في عقيدته وتفكيره وعمله ونفسيته، وغير المسلم لم يقبل الانقياد للإيمان بالله وحده دون شريك، وما يقتضيه عدم الإيمان بالله من ازدواجية في توجهه وعمله فأصبح مشتت الذهن متكدر التفكير غير مستقر

نفسياً، فمن هؤلاء من يؤمن بأن الله خالق الكون وربه ولكن يشرك معه غيره، ومنهم من يكون وثنياً لا يؤمن بخالق الكون وربوبيته أصلاً بل يؤمن بمعبوده من بشر أو حجر أو غيره. إن من لا يؤمن بالله رباً خالقاً يستحق العبادة وحده دون شريك إنما يؤمن بأرباب متفرقين، سواء أكان ذلك بشراً أم جماداً أم غيره، إذاً فليختر الشخص طريقه ومنهجه: فإما أن يوحد معبوده وتوجهه دون شريك وما ينتجه ذلك من راحة وطمأنينة وسعادة في الدنيا والآخرة. وإما أن يعبد أرباباً متفرقين سواء عَبَدَ الله ومعه غيره أو عبد غيره، وما يستتبع ذلك من ازدواجية في التفكير وخلل في التوجه واضطراب في النفس.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤].

والمعيشة الضنك هي ثمرة عدم السعادة والاطمئنان النفسي بسبب إعراضه عن الدين الحق والله ولي التوفيق.



من آيات الله الدالة على وحدانيته وقدرته

خلق الله الكون وأبدعه على غير مثال سابق، وأودع فيه كثيراً من الحكم والأسرار، وأتقن سيره بدقة متناهية لا تحيط بها الأذهان.

وآيات الله كثيرة وعظيمة منها في الكون، ومنها في الإنسان قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ [الروم: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات: ٢١].

إنك إذا أمعنت النظر في الكون: من أرض وسماء وليل ونهار، وبحار وأنهار وأشجار وهو يسير بدقة متناهية لا يسبق شيء منه شيئاً، بل هو كما أراد الله وأبدعه. وفي النفس البشرية من الآيات الدالة على وحدانية الله وقدرته ما لا يمكن حصره، سواء أكان في البصر أو السمع أو القلب والدورة الدموية أو التنفس أو الكبد والكلى وغيرها.

إن عملها كلها وقيام كل منها بدوره بإتقان دون تضارب أو انقطاع لهو من الأدلة الشاهدة المبينة لعظيم قدرة الله وأنه سبحانه وحده المستحق للعبادة دون سواه.

وجعل الشمس والقمر آيتين من آياته الدالة على عظيم صنعه قال تعالى: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾﴾ [الرحمٰن: ٥].

فهما يسيران بقدرته ضمن المجموعة الفلكية بمقدار، وعلى أحسن تنظيم، وبهما يعرف المخلوقات الليل من النهار والشهور والأعوام.

إن من خلق الكون بهذه الدقة المتناهية فجعل كل ما فيه يسير في فلكه دونما تصادم أو اضطراب فبيده وحده تدبير هذا الكون وما فيه حتى يأذن الله بنهاية العالم يوم القيامة فتتغير الأمور وتتبدل الأفلاك بمشيئته وحده.

إن من وضع هذه السنن الكونية وجعلها تعمل وفق معايير وقواعد ثابتة هو الذي يملك وحده تغيير أو تبديل ذلك، بحيث تكون الشمس أو القمر على غير ما عهدهما الناس بحدوث خسوف للقمر أو كسوف للشمس، وجعل ذلك آية من آياته ﷻ يذكر بهما عباده وأن الدنيا لن تستمر إلى ما لا نهاية، فعلى البشر أن يراجعوا أنفسهم ويعودوا إلى ربهم وأن يعلموا أن الكون كله يسير بإرادة الله وحده ولو اختل شيء فيه لكانت نهاية البشر قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ . . .﴾ [فاطر: ٤١].

وقد شرع لنا رسولنا محمد ﷺ الصلاة عند الخسوف والكسوف فقال: «**إن الشمس والقمر من آيات الله، وإنهما لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتموهما فكبروا وادعوا الله وصلوا وتصدقوا**»، وفي رواية: «**ولكنهما من آيات الله يخوف الله بهما عباده فإذا رأيتم كسوفاً فاذكروا الله حتى ينجليا**»(١).

وبذلك يذكر الله عباده فيتوبوا إليه ويقيموا الصلاة ويكثروا من الاستغفار.

وقد كان الناس إذا حدث خسوف أو كسوف يهرعون إلى الصدقة والاستغفار والصلاة وهم على وجل يرجون رحمة الله ويخشون عذابه.

وقد رأينا الناس في هذا العصر لا يولون ذلك اهتمامهم، وهذا قد

---

(١) صحيح مسلم في باب الكسوف برقم ٢١٢٢ ورقم ٢٠٨٩ ورقم ٢٠٩٦.

يكون ناتجاً من أن الحسابات الفلكية للأعوام والشهور والأيام تذكر حدوث ذلك قبل وقوعه بمدة، فيراه بعض الناس أمراً طبيعياً لا أهمية له، وهذا خطأ بل إن الصحيح أن يخاف المسلم ويفزع إلى الصدقة والاستغفار والصلاة ولا أثر لمعرفة الخسوف أو الكسوف قبل حدوثه، فمن شرع الصلاة الواجبة في أوقات معينة من الليل والنهار، ومن شرع الصوم في وقت معين بدءاً ونهاية، ومن شرع الحج في زمن محدد، وهي أركان الإسلام، قد شرع صلاة الخسوف والكسوف وجعلها سُنَّة مؤكدة وإقامتها كما شرعت تدل على حياة قلب الإنسان وامتثاله لأمر الله ورسوله.

ثم إن الأمطار والرياح والعواصف كثيراً ما تكون معروفة قبل وقوعها ومع ذلك قد تكون فيها كوارث عظيمة ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والناس إنما يسألون من أوجدها وبيده أمرها كله بأن يجعل ذلك رحمة وأن يجنبهم كل ما يضرهم ويخشونه.

إن من الآيات التي تبرز بين الفينة والأخرى ما حدث من زلزال وفيضان لما سمي (تسو نامي) شرق آسيا، والذي بلحظات اجتاح أماكن كثيرة وقتل وهدم وخرب الكثير، ولا يمكن أن تفهم على أنها طبيعية وأنه لا هدف من وقوعها خارج حدودها الطبيعية، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، بل كل شيء في هذا الكون حركته وسكونه وتدميره لحكمة يعلمها الله وإن جهلها البشر، ومن الآيات: زلزال هايتي والذي دمر أحياء كثيرة وقتل مئات الآلاف وشرد الملايين، ومن آياته: بركان أيسلندا والذي قذف بحممه وغازاته وترابه في الفضاء وانتشرت سحابة من الرماد اجتاحت كثيراً من دول أوروبا وتوقفت حركة الطيران فيها لمدة ستة أيام وما ترتب على ذلك من خسائر مالية وآثار نفسية على المواطنين والمسافرين من تلك الأماكن وإليها.

إني أفهم أن خروج تلك الآيات بين فترة وأخرى تنبيهٌ للبشر بأن لهذا الكون خالقاً يمسك به ويدبر أمره ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ﴾ [فاطر: ٤١].

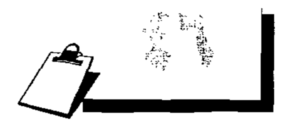
وأنه ربهم وخالقهم وأنه هو المستحق لعبادته دون غيره، وأن الله لو ترك هذا الكون فماذا سيكون؟ سيدمر بعضه بعضاً وسيكون البشر هم من أول الضحايا ﴿وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ﴾ [فاطر: ٤١].

إن من تلك الآيات ما هو جند من جنود الله، كما حدث لقوم نوح من الغرق ولقوم عاد من ريح صرصر عاتية، ولقوم فرعون من آيات كثيرة آخرها غرقهم في البحر بسبب كفرهم وعنادهم.

وهكذا فإن من الآيات ما هو عقاب على الكفر والعصيان ومنها ما هو تنبيه للناس للبعد عن معاصي الله والرجوع إليه والإنابة له واتباع أوامره واجتناب نواهيه.

والآيات كثيرة والدلائل شاهدة على ألوهيته وقدرته، وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد.





الحياة الطيبة والسعادة الحقيقية

كل امرئ يبحث عن الحياة الطيبة والسعادة، وقد فسرت السعادة بأنها القناعة والرضا بما قسم للإنسان في الحياة وعدم التشوف لما عند الآخرين.

وفسرت بالطموح وعلو الهمة وأن الإنسان إذا لم يكن لديه طموح يسعى لتحقيقه ثم يسعد إذا تحقق فإنه لا يحس بالسعادة وفسرت بغير ذلك.

والحياة الطيبة ينشدها كل إنسان فهل يدركها؟

إن الله تعالى وهو خالق الإنسان ويعلم ما ينفعه وما يضره وما يسعده وما يشقيه قد دله وهداه إلى طريق السعادة الحقة قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧] قال السعدي في تفسيره: وذلك بطمأنينة قلبه وسكون نفسه وعدم التفاته إلى ما يشوش عليه قلبه ويرزقه الله رزقاً حلالاً طيباً من حيث لا يحتسب. فالطريق للسعادة والحياة الطيبة هو الاستقامة والعمل الصالح المتوج بالإيمان، ذلك أن القائم بذلك قد عرف قيمة نفسه وعرف الحياة الدنيا ومنزلتها وعرف الآخرة وأهميتها فكانت همه الآخرة ووسيلته الحياة الدنيا، وجواز مروره السلوك والأخلاق السامية، وأن الحياة الدنيا مزرعة الآخرة وأنه ينبغي أن يتمتع فيها بالحلال ويرضى بما قسم الله له، فوهبه الله الطمأنينة

وانشراح الصدر، وقد قال بعض ممن أنعم الله عليهم بالحياة الطيبة: لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف. وتلك لعمري قمة السعادة وهي ما ينشدها كل إنسان فبالإيمان تستقر الحياة ويسعد الإنسان، وإنما الغم والهم والنكد يأتي من الحرص على الحياة الدنيا والجري وراء ملذاتها فيحزن على ما فاته منها ويدب إليه القلق والشقاء.

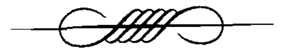
قال الشاعر:

ولست أرى السعادة جمع مال ولكن التقي هو السعيد.

وقد تعلمت من تجربتي في ذلك: أن أعمل ما أستطيع من أعمال صالحة، وألا أبالغ في السعي وراء مصالح الدنيا بل أرضى بما قدر لي بعد بذل الأسباب المشروعة، فوجدت الطمأنينة والاستقرار وراحة البال التي لا يمكن أن تتحقق بمجرد الحصول على أمور الدنيا كلها مجردة عن الإيمان والعمل الصالح، ولقد وجدت الحياة الطيبة بتعاهد القرآن الكريم تلاوة وتدبراً، ووجدتها بصلة الرحم التي هي وبر الوالدين قد رتب الله عليهما ثواباً معجلاً وجزاء مؤجلاً.

فالثواب المعجل: انشراح الصدر والطمأنينة والشعور بالسعادة والتوفيق في أموره وشؤون حياته بركة الدعاء له والرضا عنه، والجزاء المؤجل في الآخرة من رفعة الدرجات والفوز بالجنات بحول الله وقوته.

فأوصي نفسي وأبنائي وبناتى وإخواني المسلمين بالرغبة في ذلك والتمسك به وتأديته كل حين وآن، ولست أدعي قيامي بذلك كما ينبغي ولكن أحاول ترويض نفسي للقيام به ابتغاء لسعادتها في الدارين والله من وراء القصد.



١٧

تعاون الأعداء ووقوفهم جميعاً ضد المسلمين

كانت الجزيرة العربية وما حولها قبل الإسلام تحتضن المشركين بالله من العرب وغيرهم من الأديان النصرانية واليهودية وغيرها، فبعث الله نبيه محمداً ﷺ بالإسلام يبشر الناس بما يسعدهم دنيا وأخرى إن أطاعوا ربهم واستجابوا له، وينذرهم من عقابه وعذابه إن هم خالفوا وعصوا، فهدى الله به قوماً كثيراً من المشركين وأتباع الأديان، وبقي آخرون على دينهم، ثم إن كثيراً ممن بقي على دينه قاموا بمعاداة المسلمين ونبذ الإسلام والكيد له ليلاً ونهاراً قولاً وفعلاً وإثارة شكوك وأحقاد، وقد بيّن الله ذلك لنبيه ولأمة الإسلام وحذرهم من أعدائهم المنافقين وغيرهم من الكفار بكثير من الآيات منها قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنفال: ٧٣].

فعلى المسلمين أن يكونوا يداً واحدة، وأن يعتصموا بحبل الله وينبذوا الفرقة والاختلاف التي يستغلها أعداؤهم للوقيعة بينهم بشتى صنوف المكر والخبث كي يفرقوا كلمتهم ويشتغل بعضهم بحرب بعض والأعداء يتفرغون لتحقيق أطماعهم وتنفيذ مخططاتهم.

وقد علمتني الحياة وما رأيت فيها وسمعته أنه يجب على المسلمين بمختلف فرقهم وطوائفهم أن ينتبهوا لما يخططه ويكيده أعداؤهم؛ لأنهم إن استجابوا لها أوقعتهم في شرك حبالهم، وانشغلوا بأنفسهم كيداً وحرباً

عما يخفيه أعداؤهم لهم من ويلات ونكبات والذي يظهر بين الفينة والفينة وما تخفي صدورهم أكبر.

كما أن على المسلمين أن يكونوا على حذر من أعدائهم وأنهم وإن اختلفوا فيما بينهم نتيجة لمصالحهم فإنهم يتفقون على المسلمين ويتنازل كل منهم للآخر تحقيقاً لمآربهم وأطماعهم، ولذلك فإنه يجب أخذ الحيطة منهم جميعاً، فلا نغتر بأحد منهم وأنه صديق لنا وتربطنا به علاقات كذا وكذا بل هم جميعاً يتوالون فيما بينهم ويتعاونون إذا كان الأمر متعلقاً بالإسلام والمسلمين، وما أمر ما يحدث في مجلس الأمن ببعيد، حيث تم التنازل بعضهم لبعض مقابل مصالح معينة ضد المسلمين ومنها فلسطين، حيث يمدها الغرب بالمال والسلاح وغيرها والروس بالبشر، وقد نبهنا الله إلى أنه إذا لم نفعل ذلك: وهو اعتبارهم طريقة وملة واحدة كما هو المشهور عند العلماء: الكفر كله ملة واحدة، وإن لم نحذرهم وركنا إلى أحد منهم فإنه سيكون فتنة في الأرض، من عداوات وغيرها وفساد كبير من حروب وضياع مصالح وغيرها، ولقد نبهنا الله لذلك فهل ننتبه ونعمل بما جاءنا من عند ربنا؟ آمل أن نكون على مستوى تنفيذ تلك التوجيهات التي تعود علينا بالخير والصلاح في عاجل أمرنا وآجله والله أعلم بمن يتبع سبيله وصراطه المستقيم.





ثقافة الموظفين في تطبيق الأنظمة واللوائح

جاءت الشريعة الإسلامية بأصول وقواعد عامة وشاملة تتسم بالمرونة واليسر، ولذلك كتب لها الخلود إلى قيام الساعة؛ إذ أنه في كل عصر ومصر يمكن تطبيق تلك الأصول والقواعد على حياة الناس وما يستجد فيها من أمور وقضايا، ومن تلك الأصول أن الأصل في الأشياء الإباحة والجواز إلا ما ورد الشرع بمنعه وتحريمه، إذ أن الممنوعات محدودة والمباحات كثيرة لا يمكن حصرها، فكل شيء أو أمر من الأمور لم ينص الشرع الإسلامي على منعه فهو مباح وجائز، وذلك من يسر الإسلام وسماحته وصلاحيته لكل زمان ومكان.

ولقد لاحظت إبان عملي في جهات حكومية وغيرها وفي مجلس الشورى لما كنت عضواً فيه أن موظفي الدولة والقطاع الأهلي لا يسيرون في تنفيذهم للأنظمة واللوائح الصادرة لتنظيم حياة الناس وشؤونهم التي إنما وضعت من باب حماية المصالح ودرء المفاسد وفقاً لقاعدة أن الأصل في الأشياء الإباحة والجواز إلا ما ورد النص بمنعه، وإنما يعتمدون تطبيق خلاف ذلك ويعملون على أن الأصل في تطبيق الأنظمة واللوائح فيما يتعلق بحقوق الناس ومتطلباتهم المنع والحظر إلا ما ورد النظام واللوائح بإجازته وإباحته، فتجد أحدهم يبحث في النظام أو اللائحة عما يجيز هذا العمل أو الحق، فإن لم يجد نصاً بجوازه حكم بمنعه وعدم جوازه، وهذا ولا شك غير صحيح، بل إنه يعطل أمور الناس والمصالح العامة ويعقدها، ويشق على الناس على حين أن الشرع

الإسلامي يحث على التيسير والرفق بالناس فجاء في الحديث: «**اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فشق عليه**»(١).

وولاة الأمر دائماً يؤكدون على التيسير على الناس وإعطائهم حقوقهم دون مشقة أو عناء.

إن من يفعل ذلك قد خالف ولاة الأمر، بل وخالف قبل ذلك الشرع الإسلامي الذي أمر بالتيسير والبعد عن التعسير.

ثم إن هؤلاء يشقون على الناس فيما تحت أيديهم من عمل، وهم كذلك يحتاجون مثل غيرهم إلى التيسير في شؤونهم مع المصالح والإدارات الأخرى، فإذا شقوا على الناس شق الله عليهم في حقوقهم وأعمالهم التي تحت يد غيرهم من الموظفين وكما تدين تدان.

ولقد تعلمت وتبينت من ذلك: أنه ينبغي تغيير ثقافة الموظفين والمجتمع من الأخذ بمبدأ المنع إلا ما ورد النظام أو اللائحة بجوازه إلى أن ينتهجوا الأخذ بمبدأ الجواز إلا ما نص النظام أو اللائحة على منعه، وهو ما يقتضيه الشرع والمصلحة للأمة حاضراً ومستقبلاً، وأرى أن يتخذ ما يأتي:

١ ـ أن يتبنى مركز الملك عبد العزيز للحوار إقامة حوار بين نوعية من الموظفين وغيرهم من ذوي الاختصاص لمناقشة ذلك والتوعية بأهميته لما يترتب عليه من تسهيل أمور الناس وتيسيرها وما يعود به ذلك من انجاز للأعمال بما يرضي الله أولاً ثم ولاة الأمر ويريحهم من عناء كثرة المراجعات وضياع بعض الحقوق.

٢ ـ يتم التنسيق مع الجهات الإعلامية بالتعاون في نشر ثقافة

---

(١) أخرجه مسلم برقم ١٨٢٨.

الأخذ بمبدأ الجواز إلا ما دل النظام أو اللائحة على منعه.

٣ ـ ترسيخ هذا المفهوم لدى الطلبة والطالبات في المرحلة الثانوية والجامعية؛ لأنهم الجيل الذي سيعمل به ويطبقه ويستفيد منه أكثر مستقبلاً.

٤ ـ أن يكون لمجلس الشورى وهو الجهة المعنية بالأنظمة دور بارز في تبني هذا المبدأ سواء في إعداد الأنظمة أو مراجعتها أو المشاركة في وسائل الإعلام للتوعية بأهمية ذلك.

٥ ـ أن يتم إعداد الخطط التدريبية للموظفين بالتعاون بين معهد الإدارة العامة ووزارة الخدمة المدنية ومجلس الشورى لتطوير مفهوم وأداء الموظفين في تحقيق تنفيذ هذا المبدأ.

٦ ـ أؤكد على الاهتمام بذلك؛ لأنه حسب تجربتي سيوفر كثيراً من الوقت والجهد والمال إذا تم تطبيقه على الطريقة الصحيحة، وأرى عدم التهاون به؛ لأن أسلوب المنع إلا ما جاء النظام أو اللائحة بجوازه هي الثقافة العامة لدى الموظفين، ويتطلب تغيير تلك الثقافة تكاتف الجهود، وإلا فإن الوضع حسبما أراه يسير إلى مزيد من التعطيل وضياع بعض الحقوق، وكم نحن بحاجة إلى التطور والتغيير في كل شؤوننا الإدارية والتنفيذية بما يحقق المصلحة ويخدم المجتمع والأمة.

سدد الله الخطى إلى ما فيه الخير.





الطموح وعلو الهمة

يقال: طَمَحَ الماء طموحاً ارتفع، وطمح بصره إليه: نظر، ويقال: بحر طموح الموج: مرتفعه ويقال: اهتم بالأمر عُني بالقيام به، والهمة: العزم القوي.

والطموح وعلو الهمة: النظر إلى معالي الأمور والسعي إليها بعزم وقوة بغية إدراكها.

ويتمتع بعض البشر بالطموح وعلو الهمة ويسعى لتحقيق ذلك بما يستطيع.

وقد جاءت تعاليم الإسلام السامية في الحث على أن يكون المسلم متمتعاً بمكارم الأخلاق ونبل المقاصد كي يحقق رسالته في الحياة الدنيا وينعم في الآخرة.

وقد كان من الأمثلة التي بلغت القمة في علو الهمة ما روي عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه قال: إني لي نفساً تواقة، لم تزل تتوق إلى الإمارة فلما نلتها (إمارة المدينة المنورة) تاقت إلى الخلافة، فلما نلتها تاقت إلى الجنة.

وقيل للعتابي: فلان بعيد الهمة، قال: إذن لا يكون له غاية دون الجنة.

قال ابن الجوزي: من علامة كمال العقل علو الهمة، والراضي بالدون دني.

وقال الشاعر:

ولم أرى في عيوب الناس عيباً كنقص القادرين على التمام

ولكن الطموح وعلو الهمة لا بد أن يكون لذلك هدف يمكن تحقيقه وفقاً لإمكانات المرء ومؤهلاته من كل وجه، وإلا أصبح ذلك مصدر شقاء وتعاسة له، قيل لبعض الحكماء: من أسوأ الناس حالاً؟ قال: من اتسعت معرفته وبعدت همته وضاقت مقدرته. فبدلاً من أن يحقق من ذلك النجاح والسعادة ينقلب الأمر عليه إلى النقيض، فإنه إذا لم يكن ما يريده الإنسان فعليه الرضا بما يكون، وذلك من الإيمان بالقضاء والقدر، وبه يسعد الإنسان، ثم إن الإنسان قد يريد أمراً ويحرص عليه ومصلحته وسعادته في غيره، وقد يحزن إذا لم يدركه، ولو قرأ وفهم قوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦] لعلم أن الخيرة فيما اختار الله وقدره له؛ لأنه أعلم بالأمور وعواقبها. ومن التجارب في ذلك ما أورده د. عبد العزيز الخويطر(١) في كتابه (حيث قال: وأنا أومن أن على الإنسان أن يسعى إلى هدفه وأن يبذل أقصى الجهد فإن أخفق بعد هذا فعليه أن يثق أن الله أراد له خيراً، وقد لمست بالتجربة بعد الإيمان أن هذا قول حق وطبقته على كل شيء لا يأتي حسب رغبتي).

وقد تعلمت من الحياة أن أكون طموحاً في الدنيا وعالياً الهمة بمحاولة الحصول على مكارم الأخلاق والتحصيل العلمي ما أمكن، وأن يجعلني الله ممن اتسعت معرفته وبعدت همته واتسعت مقدرته بما يهبني من توفيق وسداد.

وأن أكون طموحاً في الآخرة: بأن يمنحني الله أعلى الدرجات في

---

(١) وسم على أديم الزمن ١٢/١٤٩، د. عبد العزيز الخويطر.

الفردوس الأعلى من الجنة وأن يوفقني لبلوغ ذلك برحمته وجوده وكرمه، وهذا هو الطموح الذي ليس بعده طموح في دار أبدية لا انقطاع لها، إنه أكرم مسؤول وأفضل مأمول.



المسؤولية وسلامة الصدر

منذ وجدت البشرية على هذه البسيطة وهي تحمل صفات الخير وصفات الشر، وقد زكى الأنبياء والرسل أممهم بدفعهم لما فيه صلاحهم وبعدهم عما يضرهم ديناً ودنيا في عقائدهم وسلوكهم وأخلاقهم.

ولكن الشياطين والنفوس الأمارة بالسوء تجتال الناس من طريق الخير إلى ما يضاده، والمسلم مأمور مدة حياته بجهادها وحملها على ما ينفعها ويحقق لها السعادة في الدارين.

إنك ترى بعض الناس ومنذ القدم وحتى نهاية الدنيا قد جبل على السعاية والإضرار بالخلق في علاقة الناس بعضهم ببعض ولا سيما أصحاب المسؤولية في مختلف مراتبهم الحكومية وغيرها.

وقد رأيت من ذلك الشيء الكثير فتجد من يأتي إليك فور تسلمك مهام عملك ويتكلم في فلان بأنه لا يعمل وفلان يقول فيك كذا وفلان كذا وهكذا دواليك.

ومع الأسف الشديد تجد من يستمع إليهم من المسؤولين ويتأثر بهم، وينقل هذا ويبعد ذاك، ويجعل الجهاز كتلاً وأحزاباً لا لشيء إلا أنه استمع وتأثر بما يقال دون تثبت، والله ﷻ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦].

ولقد كان أكثر المسؤولين السابقين من خلفاء وأمراء وسلاطين وغيرهم يرفضون السعاية والوشاية بأحد، فمن ذلك ما ورد أن مصعب بن

الزبير عاتب الأحنف بن قيس على شيء بلغه عنه فاعتذر الأحنف من ذلك ودفعه، فقال مصعب: أخبرني بذلك الثقة، فقال الأحنف: كلا أيها الأمير إن الثقة لا يبلغ، ومن ذلك ما ذكر أن رجلاً سأل عبد الملك بن مروان الخلوة، فقال لأصحابه: إذا شئتم تنحّوا فلما تهيأ الرجل للكلام قال له: إياك أن تمدحني فإني أعرف بنفسي منك، أو تكذبني فإنه لا رأي لكذوب، أو تسعى بأحدٍ إلي، وإن شئت أن أقيلك أقلتك قال: أقلني[1].

فانظر كيف أقفل الباب أمام الواشي وأراح نفسه.

ومن ذلك ما جاء أن واشٍ وشى برجل إلى الإسكندر فقال له: أتحب أن أقبل منك ما قلت فيه على أن أقبل فيه ما قال فيك؟ قال: لا، قال: فكف عن الشر يكف عنك الشر[2].

وقال الأعشى:

ومن يطع الواشين لا يتركوا له صديقاً وإن كان الحبيب المقربا

ومن ذلك ما ذكره الدكتور الخويطر[3] في تجربته عن أعماله المتعددة في بعض الوزارات حيث قال: لمست محاولة بعض الموظفين الاستفادة من النصائح التي تُبدى لي وكان من أولها الطعن في مدير المكتب، وأنه كان مسيطراً على الذي قبلي وأنه هو الذى يدير الوزارة، ويأتي آخر فيطعن في أمانة رئيس قسم أو في كفاءته أو في إخلاصه لعمله أو في ضعفه، وكنت أستمع لكل ذلك، ولا أذكر أني وجدت ما يقال لي عند تعييني حديثاً في عمل ما صحيحاً أو يقرب من الصحيح، وقد اكتشفت أن الناصح بينه وبين من رماه عندي بهذه النواقص عداء مستحكم، أو أنه يمهد ليحل محله، أو أنه حاسد له أو أن هناك ترقية

(١)(٢) عيون الأخبار، لابن قتيبة ٢/٢٣، دار الكتاب العربي، لبنان.
(٣) وسم على أديم الزمن ١٢/١٩٧، د. عبد العزيز الخويطر.

مقبلة ويريد هذا أن يحجبها من ذاك. انتهى كلامه. وحسبك بهذه التجربة من خبير مارس أعمالاً قيادية متعددة وقابل أناساً كثيرين، ثم هي تجربة عصرية في زمننا هذا.

وقد تعلمت من تجربتي في الحياة خلال عملي ألا أقبل بأحد كلاماً مطلقاً، وذلك لما يترتب على سماع قوله وقبوله من أضرار كبيرة علي وعلى العمل منها:

١ ـ أن ذلك يوغر الصدر ويحل العداوة بين المسؤول وموظفيه، ويجعله ينظر إليهم بعين الريبة مما يفرق القلوب ويشتت الجهود.

٢ ـ يستخف الموظفون بالمسؤول الذي يقبل ذلك، ويحاول كل منهم التقرب منه بالوشاية بآخر.

٣ ـ يجعل ذلك المسؤول يتصرف تصرفاً يندم عليه فيما بعد من تغيير ونقل وتقريب وإبعاد ونحوه، وهذا يؤدي إلى أن يتكتل الموظفون في جماعات متناحرة، يحاول كل منها النيل من غيره والإساءة إليه.

٤ ـ يؤثر ذلك على إنتاجية العمل فبدلاً من عمل الجهاز بروح الفريق وتكاتفهم ينصرفون إلى الهدم بدلاً من البناء.

٥ ـ يؤثر ذلك على علاقة الجهاز بغيره من الأجهزة الأخرى سلباً وتتعطل الأعمال.

٦ ـ تتأثر صورة الجهاز مع المسؤولين الآخرين ومع المراجعين مما يهز الثقة والمصداقية.

٧ ـ ترى كثيراً ممن ليست لديهم مناعة برفض السعاية والوشاية يدركون مدى خطئهم بعد مدة، ولكن قضي الأمر الذي فيه تستفتيان، وكما يقولون سبق السيف العذل.

ويسيء ذلك إلى مستقبل المسؤول ويبعده عن تولي أماكن قيادية أخرى. وعدم قبول قول الواشي والساعي راحة للبال وطمأنينة للقلب،

حيث ينظر المسؤول إلى زملائه نظرة ود واحترام، مما يكسبه تقديراً وتجاوباً من جميع منسوبي الجهاز، ويتفرغ كل منهم لأداء الأعمال الموكلة إليه، وقدوتنا في ذلك حبيبنا محمد ﷺ حيث جاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لا يبلغني أحد من أصحابي عن أحد شيئاً، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر**»[1].



(١) رواه أبو داود في الأدب برقم ٢٨.

٥١

تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون

يشغل كثير من الناس نفسه بالحكم على الآخرين، سواء أكانوا ممن مضى إلى ربه من الأمم السابقة مروراً بالصحابة ومن بعدهم، أم كانوا من المعاصرين، ويحكم على هذا بأنه من فرقة كذا أو كذا، وأن هذا مخطئ وذاك مصيب، بل يصل الأمر ببعضهم إلى إصدار أحكام خطيرة يخرج بها المحكوم عليه من دينه أو تعود عليه بأضرار دنيوية، وما علم الذي نصب نفسه قاضياً بين الناس أنه حمّل نفسه عبئاً ومسؤولية هو في غنى عنها، وسوف يسأل عنها يوم القيامة ويجازى عليها.

وقد أدبنا الإسلام خير أدب فقد جاء في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾﴾ [البقرة ١٤١]؛ أي: أن كلاً سيجازى بما فعله لا يؤخذ أحد بذنب أحد ولا ينفع الإنسان إلا عمله هو، وأن عليكم النظر لأنفسكم وما أنتم عليه مما تكسبونه من أعمال، ولن تتحملوا ما يعمله غيركم بل ستسألون عما تعملونه أنتم، فأعدوا للسؤال جواباً وللجواب صواباً قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: ٥٨]، وذلك بسبهم والنيل منهم، ولذلك جعل الإسلام التأديب تعزيراً لحرمة المسلم، وحرمة العلماء أشد من غيرهم لمكانتهم في الإسلام.

وقد جاء في الحديث «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**»[١]، وجاء في الحديث كذلك: «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**»[٢]، فلو ترك كل امرئ ما لا يعنيه لساد المجتمع الود والمحبة والوئام، وذلك يدل على حسن إسلام المرء بامتثاله لأخلاق وسلوك دينه. إنك ترى كُثُراً في المجالس يخوضون في كلام لا فائدة فيه، بل يعود عليهم بالمضرة، فيصنف هذا بأنه علماني وذاك منافق وذلك متشدد أو متطرف وهكذا دواليك، ألم يستشعر من يقوم بذلك بأنه عليه رقيب وعتيد يكتبون حسناته وسيئاته. وقد ذكر أن امرءاً قال قولاً فلم يكتبه الرقيب؛ لأنه لا يجده من جنس الحسنات ولم يكتبه العتيد؛ لأنه لم يجده من جنس السيئات التي يعرفها فأمر كاتب السيئات أن يكتب كل شيء لم يكتبه الملك الموكل بكتابة الحسنات، هذا في الأمر غير الواضح فما بالك بما هو غيبة مذمومة إن كان صحيحاً، وإن لم يكن فبهتان أشد إساءة وأعظم جرماً والعياذ بالله. وقد سأل رجل الأخنف بن قيس قائلاً: بم سودك قومك؟ وما أنت بأشرفهم بيتاً ولا أصبحهم وجهاً ولا أحسنهم خلقاً، قال: بخلاف ما فيك، قال: وما ذاك؟ قال: بتركي من أمرك ما لا يعنيني كما عناك من أمري ما لا يعنيك.

وقال الشاعر:

عليك نفسك فتش عن معايبها   وخل عن عثرات الناس للناس

وقال غيره:

لسانك لا تذكر به عورة امرئ   فكلك عورات وللناس ألسن

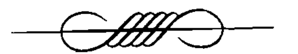
وقال آخر في الكتابة:

---

(١) أخرجه مسلم برقم ١٦٢ في باب تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل.

(٢) رواه الترمذي برقم ٢٣١٧ قال الألباني: صحيح، شرح الطحاوية ص٢٦٢.

يفنى المرء ويبقى ما كتبت يداه، فلا تكتب بكفك إلا ما يسرك في القيامة أن تراه.



الترف وأثره في حياة الإنسان

تعريف الترف: قال في المعجم الوسيط: يقال: أترفت النعمةُ فلاناً: أبطرته، وأترف فلان: أصر على البغي، واستترف: تكبر وطغى من الغنى والسعة.

وقد جاء ذكره في القرآن في سبعة مواضع منها قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا﴾ [الإسراء: ١٦]، والمترفون هم المنعمون الذين أبطرتهم النعمة. وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [سبأ: ٣٤]، وكل تلك المواضع ورد فيها ذكر الترف على سبيل الذم، وذلك لما يترتب عليه من سلبيات على الفرد والمجتمع والأمة.

أما الفرد فإن الترف يؤثر على حياته النفسية والاجتماعية والصحية وغيرها، فيدخل على نفسه الصفات السيئة من الكبر والعجب والغرور والترفع عن الناس، وما يؤدي إليه ذلك من كره الناس له والبعد عنه وقد يحدث له من الأمراض النفسية ما لا قبل له به، فليست السعادة بالمال واستعماله في الترف والملذات، قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾﴾ [العلق: ٦، ٧]، وقد يصيب جسمه من الأمراض ما لا طاقة له بسبب الترف، وأما المجتمع فإنه يصاب بالعداوة والبغضاء، وتتفكك عراه بسبب تكبر بعضهم على بعض وترفعهم عنهم.

وأما الأمة: فإنها تصاب بالهوان فيما بينها وتخلد إلى الدعة

والملذات، وتكون الأمة عالة على غيرها في كل شؤونها الاقتصادية والعلمية والأمنية وغيرها وهذا ما حذر الله عنه سبحانه بقوله: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وهو الإقامة في الأموال وإصلاحها والانشغال بها عن مصالح المسلمين وأهمها ترك الغزو والجهاد في سبيل الله، بدءاً من جهاد النفس إلى مجاهدة أعداء الإسلام الذين يصدون عن طريقه ومدافعة من يقتل المسلمين ويضطهد المستضعفين منهم، قال بعضهم: ويظن كثير من الناس إن البذخ في المظاهر والملابس والمراكب هو دليل العلو والسيادة، وهذا وهم كبير إذ إن السيادة تكون على النفس أولاً بكفها عن الإسراف والتبذير، وهما من مناهج الشياطين ومكائدها، وهذه العادات نقلها المسلمون عن غيرهم دون وعي، وفي ذلك مسخ لشخصية الإنسان المسلم، ولم يكن النبي ﷺ يحب المظاهر التي تدل على بذخ وإسراف، بل كان يهمه إرضاء الله ﷻ يقول أنس بن مالك: «حج النبي ﷺ على رحل رث وعليه قطيفة لا تساوي أربعة دراهم فقال: **اللهم اجعله حجاً مبروراً لا رياء فيه ولا سمعه**»(١)، مع أنه كان يمكنه أن يحج على أحسن حال من المراكب والزينة، ولكنه ترك ذلك بعداً عن المظاهر(٢).

وقد تعلمت من ذلك أن الإنسان يجب أن تكون حياته كلها مبنية على التوازن فلا إفراط ولا تفريط ومن ذلك التنعم بنعم الله دون بطر ولا كبر وأن يكون منهاجه قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].



(١) أخرجه ابن ماجه برقم ٢٨٩٠.

(٢) الأخلاق في الإسلام، د. عبد اللطيف العبد ص٦٧، دار التراث المدينة المنورة.

٥٣

لا يأخذ الإنسان كل شيء ولا يحرم من كل شيء

إن سُنَّة الله وقدره في هذه الحياة ألا يملك الإنسان كل الميزات وأنواع الرزق، كما أنه لا يفقدها كلها، حيث قسم الأشياء والنعم بين الناس فمنهم من له حظ ونصيب في التجارة والبيع والشراء إما في الغذاء أو العقار أو غيرها من أنواع التجارة.

ومنهم من له حظ في الزراعة أو في الصناعة وهكذا.

ومن الناس من حظه ونصيبه في العلم، فيكون عالماً له مكانة عالية بين الناس، ومنهم من تكون له أخلاقه الطيبة سفيراً له في تعامله مع الناس ومفتاحاً لقلوبهم بحيث ينال المنزلة الطيبة، وقد مدح الله نبيه ﷺ بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤].

قال الشاعر محمد حافظ ابراهيم:

فإذا رزقت خليقة محمودة ... فقد اصطفاك مقسم الأرزاق

فالناس هذا حظه مال وذاك ... علم وذاك مكارم الأخلاق

ومنهم من يكون حظه في أولاد صالحين بررة يسره مكانتهم ونجاحهم في الحياة ويسعده برهم به.

ومنهم من يوفق بالزوجة الصالحة التي إن نظرها سرته وإن أمرها أطاعته وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله، والدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة.

ومن الناس من يهبه الله عقلاً وحكمة يرفعه الله بهما ويستفيد الناس

من رأيه ومشورته، قال الغزالي[١]: «والعجب ممن يتعجب إذا رزقه الله عقلاً وأفقره ممن أفاض عليه المال. قال علي ﷺ حين قيل له: ما بال العقلاء فقراء؟ فقال: إن عقل الرجل محسوب عليه من رزقه».

ومن الناس من يصطفيه ربه ويجعل كل همه وغايته رضوان الله ويتجه بقلبه وقالبه إلى ربه ويتزود من الطاعات زمن عمره القصير ليكون أسعد الناس يوم القيامة.

وهذا هو والله الأسعد من بين هؤلاء.

وقد تعلمت في هذه الحياة: أن الإنسان لا يمكن أن يملك كل النعم، وأنه لا يخسر كل شيء بل يأخذ شيئاً وغيره يأخذ غير ذلك، فهي أمور موزعة وبتوازن كي تسير الحياة كما أرادها الله، فعلى المرء المسلم أن يرضى بما أوتي ويحمد الله عليه وألا يتشوف إلى ما أعطي غيره؛ لأنه لن يدرك ذلك بل يكون نصيبه الشقاء وعدم الرضا، وقد يدخله ذلك في الحسد المذموم الذي هو كبيرة من كبائر الذنوب؛ لأنه اعتراض على قدر الله الذي وهب النعم وقسمها بين عباده قال تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٢٧].

وقال بعض الحكماء: وجدت أطول الناس غماً الحسود، أعاذنا الله من الحسد ووقانا شره.



(١) إحياء علوم الدين، للغزالي ٣/ ٣٦٢.



من سنن الله الكونية أن يكون التغيّر بالتغيير

إن سنن الله لا تتغير ولا تتبدل فمن جد واجتهد في دينه أو دنياه يكون نصيبه التوفيق والنجاح، ومن أساء وقصر وكسل يكون نصيبه الفشل والبوار، ذلك يكون للفرد وللمجتمع وللأمة.

فمن أدرك ما يتمناه وحقق ما يسعى إليه من رقي وفلاح وسعادة ويريد المحافظة عليه وعدم زواله فليتمسك بالأسباب والطرق التي أوصلته لذلك، ولا يضيعها فإنه إن ضيعها وفرط فيها وغيّر فإن أموره ستتغير لنقيض ما كانت عليه، وهو الذي غيّر فغيّر الله عليه. ومن باء بالخسران والخيبة وهو يريد النجاح والخير فليغير أسلوبه وطريقه الذي أوصله إلى ما وصل إليه ولينهج منهجاً مختلفاً عما كان عليه من العزم والحزم والمصداقية حتى يحقق ما يطمح إليه.

وقد جعل الله هذه السُّنَّة العادلة التي لا تتغير ولا تتبدل حتى يغير الناس ما بهم من حال إلى أخرى، فمن تمسك بإيمانه وتقواه فأنعم الله عليه برغد العيش وطيب الحياة، فإن ذلك سيبقى له ما دام متمسكاً بإيمانه لم يغير ولم يبدل، ومن كفر وبطر النعمة فسلبه الله الحياة الطيبة ورغد العيش فإن ذلك سيبقى ما دام على حاله، والتغيير مرهون بتغيير الفرد أو المجتمع حاله مما هو عليه إلى حال أخرى.

فمن أنعم الله عليه وكفر وبطر سلبت عنه النعمة، ومن غيّر حاله من الكفر والبطر إلى الطاعة والشكر فإن الله سيغير ما به إلى النعمة وطيب الحياة ورغدها.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ [الرعد: ١١].

قال السعدي في تفسيره: إن الله لا يغير ما بقوم من النعمة والإحسان ورغد العيش حتى يغيروا ما بأنفسهم من الإيمان إلى الكفر ومن الطاعة إلى المعصية أو من شكر نعم الله إلى البطر بها فيسلبهم الله عند ذلك إياها. وكذلك إذا غير العباد ما بأنفسهم من المعصية فانتقلوا إلى الطاعة غيّر الله عليهم ما كانوا فيه من الشقاء إلى الخير والغبطة والسرور والرحمة. انتهى.

وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٩٦﴾ [الأعراف: ٩٦].

ومما فهمته واستقرأته في الحياة أن من كان على حال لا ترضيه فليرجع إلى الأسباب التي أوصلته لذلك وليغيرها إلى أفضل منها وهذا يساعده إلى الوصول إلى مبتغاه.

إنك تجد الأمم الحاضرة التي كانت على حال سيئة من التأخر والفقر قد غيرت ما بها من تراخٍ وكسل إلى الجد والاجتهاد في حياتهم الدنيوية فتغيرت أمورهم إلى وفرة المال والرخا، وهذا تحقيقٌ للسُّنَّة الكونية العادلة.

إن المسلمين الآن وهم على ما هم فيه من ضعف في دينهم وفي أمور حياتهم عليهم أن يتغيروا من التقصير في التمسك بدينهم وضعف أخذهم بأسباب التطور ورغد العيش إلى التمسك بتعاليم الإسلام في كل شؤونهم، وأن يربوا أنفسهم وأهليهم عليه، وأن يجدوا في الأخذ بأسباب النهضة والنماء كي يحققوا العزة والنصر لهم، ويتمتعوا برغد العيش في حياتهم والفوز بالجنة في الآخرة، وهذه هي السعادة الحقة التي لن تكون إلا للمؤمنين المخلصين العاملين بجد وإتقان.

أساليب الدعوة في الوقت الحاضر

إن الدعوة إلى دين الله القويم هي مهمة الرسل عليهم الصلاة والسلام، ولقد قاموا بها خير قيام، وهي مسؤولية المسلمين وبخاصة العلماء في هذا العصر. إن وسائل الدعوة وأساليبها تختلف من عصر لآخر ومن مكان لغيره فعلى من يحمل همَّ الدعوة أن يتعرف على أفضل أساليبها وطرقها كي يحقق المقصود من عمله. إنك تلاحظ بعض الدعاة هداهم الله يستعمل أساليب كانت ناجحة ومفيدة، ولكن مع تغير الناس بانتشار التعليم والوعي وتقدم البشرية وسرعة تواصلها والتقاء الثقافات المختلفة أصبحت فائدتها محدودة، ولذلك فإن الأمر يتطلب اختيار أساليب أسرع قبولاً للمدعوين وتطوير الأساليب الموجودة ما أمكن. إني من واقع رؤيتي أقترح ما يأتي:

١ ـ اختيار نوعية الدعاة ممن يحملون همَّ الإسلام ودرسوا أحكامه، ويملكون من القدرات ما يؤهلهم لكسب المشاهدين أو السامعين وإقناعهم والوصول إلى قلوبهم، كصفة الصبر والحكمة وطلاقة اللسان مع التمتع بالثقافة العامة ما أمكن.

٢ ـ تأهيل الدعاة بإقامة الدورات التي يتم من خلالها إطلاعهم على كل جديد من وسائل الدعوة.

٣ ـ أن يتم اختيار الدعاة لغير المسلمين ممن لهم دراية وخبرة بأحوال غير المسلمين ممن يتم دعوتهم، وأن يكونوا على معرفة بالشبه

التي تثار ضد الإسلام والجواب عليها دون انفعال وإنما بالحكمة والطريقة الحسنة.

٤ ـ أن يتم عقد لقاءات بين الدعاة من مدة لأخرى كي يطلع بعضهم بعضاً على تجربته وخبرته في ميدان عمله، وأن تقام لهم ندوات ليتحدث فيها أولو السبق من الدعاة والعلماء المشهود لهم بالنجاح والقبول.

٥ ـ الاستفادة من وسائل الإعلام المختلفة من تلفاز وإذاعة وصحف ومجلات ومواقع إلكترونية في نشر الدعوة بأساليب وطرق تناسب العصر وتتفق مع رغبة الموجه إليهم ذلك.

٦ ـ أن تقام مراكز البحث المختصة بالدعوة للمسلمين وغيرهم التي تعني بدراسة أحوال الناس وما يناسبهم في كل عصر ومصر وتقديم النتائج والتوصيات المثلى للقائمين على الدعوة فيما يحقق الأهداف بأقصر السبل وأيسرها.



حسن الخلق ومكارم الأخلاق

يحتاج البشر إلى التواصل والتعايش فيما بينهم، فمتى تم التواصل والتعامل بالأخلاق الحسنة ومكارم الأخلاق فإن السعادة والطمأنينة تتحقق، ومتى تم التعامل بضدها انتشرت العداوة والبغضاء بين الأفراد والمجتمع بل والأمة كلها.

وقد جاء الإسلام بتربية النفوس على الصفات الحسنة والأخلاق النبيلة فكان النبي محمد ﷺ المثال الحي والقدوة الحسنة بما وهبه الله منها قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقد قال عليه الصلاة والسلام: **«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»**[١].

وقال حاثاً أمته على الالتزام بحسن الخلق: **«إن أقربكم مني منزلة يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً»**[٢]. وقد جمع ﷺ كل الصفات الحميدة، فهو أحلم الناس وأشجعهم وأعدلهم وأعفهم وكان أسخى الناس، وهو

---

(١) رواه أبو هريرة، مجمع الزوائد للهيثمي ٩/١٨.
قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير محمد بن رزق الله الكلوذاني وهو ثقة.

(٢) رواه جابر بن عبد الله الأنصاري، أخرجه الترمذي في سننه ٢٠١٨ وقال: حسن غريب من هذا الوجه.

قدوتنا ومنار طريقنا، فعلينا الاقتداء به والتمسك بهديه.

ومن مكارم الأخلاق: الأمانة وقد كان رسول الله ﷺ يلقب بالأمين، ومن أمانته أن قريشاً كانوا يستودعونه أموالهم، فلما أراد الرسول ﷺ الهجرة خلَّف علي بن أبي طالب ليرد الودائع التي كانت عنده إلى أصحابها، وكانوا يستودعونه أموالهم مع ما كان بينه وبينهم، حين يدعوهم إلى الإسلام وهم يؤذونه في جسده وأهله وأصحابه، ومع ذلك كان يحفظها لهم ويبقى أميناً في سلمه وحربه، وتكون الأمانة عنده فوق العواطف، إنه لو لم يكن بالوحي أعظم الأنبياء لكان بهذه الأخلاق أعظم العظماء.

ومن مكارم الأخلاق والصفات الحسنة والمثل العليا: الصدق، وبه مدح الله أنبياءه وأثنى عليهم قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ [مريم: ٥٤]، وغيرها من الآيات كثير.

والصدق: هو مطابقة القول والفعل للواقع، وضده الكذب وهو مخالفة القول والفعل للواقع.

وكان لقب أبي بكر رضي الله عنه «الصديق» لتصديقه للنبي ﷺ وكثرة صدقه، وفي الحديث: «**إن الصدق يهدي إلى البر ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً**»(١).

وإن أسوأ صفة هي الكذب وهي عكس الصدق وقد جاء في الحديث: «**إن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الرجل ليكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً**»(٢).

وقد جاء في الحديث: «**المؤمن لا يكذب**»(٣).

---

(١) رواه عبد الله بن مسعود. وأخرجه مسلم في صحيحه برقم ٢٦٠٧.

(٢) رواه عبد الله بن مسعود. وأخرجه مسلم في صحيحه برقم ٢٦٠٧.

(٣) قال ابن عبد البر في التمهيد: رواه صفوان بن سليم وهو حديث حسن ١٦/ ٢٥٣.

وذلك لأن الكذب يشتمل على كل الصفات السيئة، ولما يترتب على الكذب من سلبيات ومساوئ على مستوى الفرد والمجتمع والأمة.

وقد تلقى الصحابة رضوان الله عليهم التوجيهات مباشرة من الرسول عليه الصلاة والسلام وتأسوا به فقد كان قرآناً يمشي على الأرض وقد أدبه ربه فأحسن تأديبه.

إن الناس في هذا الزمن وقد تشعبت أمور الحياة وتنوعت مشاغلها لفي أشد الحاجة إلى حسن الخلق والتمسك بمكارم الأخلاق، في هذه الحياة التي طغت فيها الجوانب المادية وضعف فيها الجانب الأخلاقي.

وقد قيل: لا أمة بلا أخلاق ولا أخلاق بغير عقيدة. وقد تعلمت من الحياة بما أوصي نفسي به وإخواني:

١ ـ أن يأخذ الإنسان نفسه بالصفات الطيبة ويربي نفسه عليها، ومنها الأمانة والصدق والحلم والكرم والصبر والتودد إلى الناس، فالعلم بالتعلم والحلم بالتحلم، فهناك صفات طبيعية وغيرها مكتسبة، فكل يستطيع أن يتصبر وإن لم يكن الصبر سجية طبيعية له، ومن يتصبر يصبره الله، وهكذا غيرها من الصفات يمكن للإنسان أن يكتسبها بتوطين نفسه على الأخذ بها.

٢ ـ أن يصحب من يتصفون بأحسن الأخلاق كي يستفيد منهم ويبتعد عمن يتصفون بضدها من الغضب أو الكذب وغيرها فقد قال ﷺ وقد سئل: «أيكون المؤمن كذاباً؟ فقال: «**لا**»»[١]، وقال لمن قال له: أوصني، قال: «**لا تغضب**، رددها ثلاثاً»[٢]. وذلك لما في الغضب من الآثار السيئة، ولما يترتب عليه من صفات ليست أقل منه قبحاً من السب والشتم وغيرها.

(١) أخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٩٩٠ ورقمه ١٩ قاله ابن عبد البر.

(٢) رواه البخاري في باب الحياء برقم ٦١١٦.

٣ ـ أن يضع المرء بحسبانه أنه إذا وطّن نفسه على الأخلاق الفاضلة فإنه يستفيد بذلك الطمأنينة والاستقرار في حياته ويسلم من كثير الأمراض النفسية والجسمية التي يسببها الغضب والعجلة والحماقة وغيرها كمرض السكري وارتفاع الضغط وأمراض القلب ونحوها.

٤ ـ أن من يتخلق بذلك فإنه يكسب محبة الآخرين ويعيش محترماً ينال التقدير من كل من حوله وبذلك يشعر بالسعادة والغبطة والطمأنينة.

٥ ـ أن ينظر إلى من حوله ممن يتمتع ببعض الصفات السيئة وما يعانيه من بغض الناس له وما يصاب به من أمراض نفسية وجسمية واجتماعية فتضيق عليه دنياه ويخسر في أخراه.

٦ ـ أن يوطن نفسه على أن التمسك بمكارم الأخلاق هي سجية الأنبياء والعلماء والصالحين، وأنه سوف يثاب عليها في الآخرة برفعة درجته وعلو منزلته وبذلك ينال بتلك الصفات سعادة الدارين والأجر مرتين.

٧ ـ وتعلمت أن أنتهج الصدق في أقوالي وأفعالي وفي أموري كلها لما في الصدق من طاعة لله، وامتثال لأمر رسول الله ﷺ.

٨ ـ أن في الصدق راحة للبال وطمأنينة وسعادة لا تتوفر في غيره.

٩ ـ أن أبتعد عن الكذب طاعة لله وامتثالاً لأمر رسول الله ﷺ.

١٠ ـ أن الكذب يدل على عدم ثقة الشخص في نفسه فيما يفعله أو يدعيه.

١١ ـ أن الكذب سلوك سيئ يترتب عليه التفرقة بين أفراد المجتمع، وهدم الأسر وإيجاد العداوة، ونشر البغضاء بين الناس.

١٢ ـ أن الكذب خلق مذموم يتسبب عنه العداوة وقيام الحروب بين الدول.

١٣ ـ أنه يجب على كل الناس الابتعاد عن الكذب لما يعود منه ويسببه على الكاذب نفسه وغيره ممن يتعامل معه من الآثار السيئة والنتائج الضارة؛ لأنه يقلب الحقائق ويلبس الواقع.

١٤ ـ أن الكذب من صفات المنافقين فقد جاء في الحديث: «**إذا حدث كذب**»، والمسلم يجب عليه الابتعاد عن النفاق؛ لأن المنافقين في الدرك الأسفل من النار.

١٥ ـ أن خلف الوعد من صفات المنافقين، وهو دليل على أن من يفعله كذابٌ، قيل لأحمد بن حنبل: كيف تعرف الكذابين؟ قال: بمواعيدهم؛ أي: أنهم لا يلتزمون بمواعيدهم بل يكذبون فيها

فنعوذ بالله من كل سلوك سيئ، ونسأله أن يمن علينا بالأخلاق والصفات التي يرضاها لعباده المؤمنين.

١٦ ـ إن المسلم الحق هو الذي ينتهج الصدق في كل أقواله وأفعاله ولا يكذب، فمهما كان يظن أن الكذب ينفعه، فإنه لا ينفعه وإن نفعه ظاهراً ومؤقتاً في الدنيا فقط، فإنه يخسر سمعته ومكانته في الدنيا وينال عقوبته في الآخرة.



٥٧

الصراع مع الصهاينة اليهود
هل هو ديني عقدي أم قومي أم غير ذلك؟

جاء اليهود إلى فلسطين وكان سكانها الكنعانيون قبلهم، جاء في سفر التكوين الإصحاح السادس والعشرين: فذهب إسحاق إلى أبي مالك ملك الفلسطينيين، وهذا الكلام حسب كتب اليهود، وقد حصل صراع آنذاك فأجلاهم نبوخذنصر من فلسطين. ولما جاء الإسلام عامل اليهود أحسن معاملة حتى أن من منهم من بلغ مراتب عالية في دواوين الخلفاء العباسيين.

إن اليهود وقد شتتوا في العالم كانوا يحلمون بالعودة إلى فلسطين حتى جاء وعد بلفور ١٩١٧م من الحكومة البريطانية لهم بإقامة وطن قومي لهم في فلسطين التقت فيه مصالح الاستعمار مع مصلحة اليهود، فتداعوا للهجرة إلى فلسطين وقد ساعدتهم الدول الاستعمارية الظالمة على التمكن وأمدتهم بالسلاح ففعلوا ما لم يفعله غيرهم بالشعب الفلسطيني من قتل وتشريد وبطش ونهب وسلب وترويع حتى استولوا على بعض أراضي فلسطين، ولما أقاموا دولتهم كانت الدول الغربية وبخاصة أمريكا أول من اعترف بها وأصبحت حليفتها الإستراتيجية كي تبقى شوكة في خصر الأمة الإسلامية وتحقق لكل منهم مصالحه، وقد قامت دولة اليهود على أساسٍ عقدي ديني، فاسم الدولة إسرائيل ويعنون به يعقوب عليه السلام، واسم البرلمان عندهم الكنيست وهو يعني: معبدهم،

وعطلتهم يوم السبت وأعيادهم الفصح والغفران، وهم يلبسون قبعة صغيرة على رؤوسهم، كما أن حدود دولتهم كما يزعمون حسب التوراة المحرفة: من النيل إلى الفرات، والعملة النقدية عندهم هي الشاقل، ويسمون أولادهم وشوارعهم بأسماء دينية، كل ذلك كما ورد في التوراة وكتبهم المقدسة والتي حرفها أحبارهم وعلماؤهم، وهم يعلمون أنه لا يمكن توحيد جهود اليهود إلا على أساس اعتقادي وديني.

وهم مع حرصهم هذا يعملون بكل ما يستطيعون مع حلفائهم بصرف المسلمين وإبعادهم عن كون الصراع معهم دينياً وعقدياً، كي لا يستفيد المسلمون من دينهم وما فيه من قوة روحية وعمق استراتيجي، وما يؤدي إليه من توحيد الجهود وجمع الكلمة لوقف عدوان اليهود وإبعادهم من أراضي المسلمين ومساندة الشعب الفلسطيني بكافة أنواع المساعدة لاسترداد حقه ودفع الظلم عنه، وقد قال رئيسهم الحالي شمعون بيريز: إنا لا نخشى من العرب واشتراكيتهم وديمقراطيتهم ولكن نخشى من الإسلام المارد النائم الذي طال نومه وهو يتململ الآن. انتهى. إنك لتعجب من بعض الناس الذين يحولون الصراع مع اليهود إلى صراع قومي أو سياسي أو على الأرض فقط، وجعلوا القضية عربية فقط وأخرجوها من بُعدها الإسلامي وهم بذلك قد أسدوا للأعداء ما يتمنونه ويسعون إلى تحقيقه.

إني ومن واقع خبرتي في ذلك ومما علمتني الحياة في مطالعاتي وقراءتي للواقع: أرى أن الصراع مع اليهود لن ينتهي مهما بذل من مساعٍ، ذلك أنهم أمة لا يحترمون العهود والمواثيق، وأنهم لن يتفقوا فيما إذا اتفقوا إلا على أخذ كل شيء لمصلحتهم دون إعطاء الفلسطينيين حقوقهم، فيكون الاتفاق مبنياً على الظلم والظلم لا يدوم، فيجب على من ينخدع بهم إن كان مسلماً أن يرجع إلى كتاب الله وسُنَّة نبيه محمد ﷺ ليعلم يقيناً وحقاً: أن اليهود لا يحترمون عهداً ولا عقداً ولا ميثاقاً قال

تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [البقرة: ١٠٠].

وليعلم أن حربهم والصراع معهم سينتهي يوم أن تجعل القضية في وضعها الصحيح وإطارها الحقيقي، وهو البعد الديني العقدي الإسلامي، وذلك مصداقاً لحديث النبي ﷺ: «**يقاتل المسلمون اليهود حتى يقول الحجر والشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فاقتله**»[1] ويومئذ يتحقق النصر بوعد الله ينصر من يشاء. قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر: ٥١].

ومن ليس مسلماً فليرجع إلى سفر التثنية، وهو أحد كتب اليهود والذي جاء فيه: (إذا ولدتم أولاداً وأولاد أولاد وأطالتم الزمان في الأرض وفسدتم... إنكم تبيدون سريعاً بل تهلكون لا محالة). وهل هناك فساد وصل إليه اليهود أكثر منه الآن؟ إنهم يقتلون الصغير والكبير والمرأة والشجر والحيوان ولم يسلم منهم الحجر، وهم يفعلون ذلك عقيدة وتديناً كما يزعمون.

إن كسب الصراع مع اليهود ممكن بحول الله؛ لأن كل أسباب النجاح مواتية للمسلمين، ولكنهم لم يستفيدوا منها كما ينبغي. إنك لو أمعنت النظر في كتبهم المحرفة وما تحمله بين طياتها من مبادئ لا تقرها الأديان ولا حتى القوانين الوضعية، فمن ذلك: ما جاء في سفر الخروج: فالآن تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب... وأنتم تكونون أمة مقدسة فهم يرون أنهم شعب الله المختار وأنهم أفضل الناس وأن الناس أقل منهم. فمن يقبل ذلك؟ لا سيما في هذا العصر الذي عمت المطالبة فيه بحقوق الإنسان ومنها المساواة، جاء في سفر العدد الإصحاح ٣١: وسبى بنوا إسرائيل نساء مديان وأطفالهم ونهبوا جميع

(١) أخرجه مسلم في صحيحه برقم ٢٩٢٢.

بهائمهم وجميع مواشيهم وكل أملاكهم وأحرقوا جميع مدنهم ومساكنهم وجميع حصونهم بالنار. . .).

وجاء في سفر صموئيل الأول الإصحاح الخامس عشر: قال صموئيل لشاول: . . فالآن اذهب واضرب عماليق وحرقوا كل ماله ولا تعف عنهم بل اقتل رجلاً وامرأة وطفلاً ورضيعاً، بقراً وغنماً جملاً وحماراً. . .) كتب الحاخام اليهودي كاهانا في مؤلفه: إن وجود العرب في إسرائيل يعتبر تدنيساً لاسم الرب كما أن رفضهم للسيادة اليهودية يعتبر رفضاً لسيادة إله إسرائيل في مملكته. والحاخام اليهودي والد نبرج يرى أن الشريعة اليهودية عندما تطبق فلن يبقى في الأرض المقدسة إلا اليهود ويفتي الحاخام أيبل في عدة مقالات له بأن قتل غير اليهودي لا يعتبر جريمة، فإن حق الحياة مصون لليهود وحدهم.

قال محمد الغزالي: إن الله حرم الربا لدواعي إنسانية فجاء كاتب التوراة بنص: (لا تقرض أخاك الإسرائيلي بربا)، أما سائر البشر فاستباحتهم جائزة ثم قال: وأنا أجزم بأن النصوص الآمرة بحرب الإبادة عند الانتصار على الخصوم لم يجئ بها وحي سماوي، وإنما هي من صنع قساة القلوب الذين كرهوا البشر وكرههم البشر، والمأساة أنهم حولوا أهواءهم إلى دين وتوحشوا باسم الله وهم يتعاملون مع الآخرين.

ما هذا؟ إن ما يجري إنما هو حرب إبادة، هذه معتقدات اليهود، وما يحصل منهم الآن على أرض فلسطين ليس غريباً إذ هو عقيدة لهم، لكن الغريب رؤية العالم لذلك وعدم إنكاره وأين ذلك من مبادئ الإسلام التي تمنع قتل النساء والشيوخ والأطفال والبهائم والأشجار.

ومع هذا الزيف والبطلان فإن المسلمين لم يأخذوا على عاتقهم بيان كذب ادعاءات اليهود وبطلان عقيدتهم المحرفة التي لا تقرها الأديان ولا القوانين الوضعية، إذ لو بينوا ذلك للبشرية وأن اليهود ليسوا

أعداء للمسلمين فحسب، بل هم أعداء للبشرية كلها بما يحملونه من أفكار، وما يعطونه لأنفسهم من كونهم أفضل شعوب الأرض (شعب الله المختار)، وأن الشعوب كلها خدم لهم لا قيمة لهم.

ولكن كما قيل: قضية ناجحة ومحامٍ خاسر، فهل يعي المسلمون ذلك ويقومون بدور المحامي الناجح؟ كي يكسبوا الصراع مع أعدائهم اليهود الصهاينة في كل جوانبه الإعلامية والفكرية والسياسية، ومن ثم العسكرية، نسأل الله أن يهيء للمسلمين من أمرهم رشداً ويقوموا بما يجب عليهم كي يستحقوا وعد الله وتأييده ونصره.



٨٩

إتقان العمل وجودته

إن للعمل في الإسلام منزلة هامة ومكانة عالية، فقد حث على أن يكون للمسلم عمل يؤديه يكتسب منه رزقه ولا يكون عالة على الناس، ولا يكفي في العمل القيام به وإنجازه وإن كان هذا مطلوباً، بل لا بد أن يكون العمل مجوداً متقناً مراعىً فيه جانب الصدق والأمانة، وقد ورد في الحديث **«إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»**[١] فالواجب على المسلم أن يتقن عمله سواء أكان في الإدارة أو الصناعة أو المهن الأخرى أو غيرها من الأعمال وأن يبتعد عن الكذب والفسق والتدليس.

إنك ترى بعض الناس لا ينجز عمله في الوقت المحدد بل ولا يؤديه بإتقان.

إن المسلمين وقت أن كان الإسلام عزيزاً مهيمناً على حياة الناس يؤدون أعمالهم في وقتها وبكل جودة وإتقان، ولكن مع تخلف المسلمين وضعف الوازع الإيماني عندهم في كل نواحي الحياة أصبحت ترى من لا يؤدي عمله على الوجه المطلوب وقتاً أو إنجازاً أو إتقاناً.

إنك لتجد بعض الشعوب في هذا العصر يعرف قيمة الوقت ويلتزم بالمواعيد، كما أنهم يشتهرون بجودة الصنعة وإتقان العمل، وهؤلاء

---

(١) رواه أبو يعلى في مسنده ٧/٣٤٩، والطبراني في الأوسط ١/٢٧٥، وابن عدي في الكامل ٦/٣٦١ كلهم بسنده إلى عائشة.

عرفوا قيمة ذلك في الحياة وما يؤدي إليه من مكانة وثقة ومكاسب مادية ومعنوية فالتزموا به وحققوا به مآربهم.

إني إزاء ذلك وما تعلمته من الحياة أرى ما يأتي:

١ ـ أن يهتم المسلمون بأداء أعمالهم على الوجه الأكمل من حيث الوقت ومن حيث الجودة والإتقان، وكما قيل: قيمة كل إنسان ما يحسنه.

٢ ـ أن المسلم ينبغي منه أن يكون قبل غيره ممن أولوا أعمالهم كل اهتمامهم، بل ويكون الأفضل؛ لأنه يستفيد المنفعتين، أما إحداهما: ففي الدنيا ثقة وإنجاز وإتقاناً وما ينتجه ذلك من تطور ونماء ورخاء، وأما الثانية: ففي الآخرة ثواباً وجزاء وأجراً، إذا احتسب ذلك لمصلحة مجتمعه وأمته وذلك خير وأبقى.

٣ ـ أن المسلم ينبغي أن يكون القدوة والمثل للآخرين في كل عمل بناء مفيد، كما كان أسلافه الذين فتحوا القلوب بأخلاقهم وسلوكهم وتعاملهم أكثر مما فتحوا البلدان بقوتهم، نسأل الله تعالى أن ينير البصائر ويحقق للأمة ما تصبوا إليه.





الفقه والتفقه لكل أحد بما يكفيه

إن العلوم الشرعية المختلفة هي التي تنير الطريق لمن يسير على منهج الإسلام. وإن الأمة في هذا العصر وما يستقبل من الزمان بحاجة كبيرة إلى الاهتمام بجميع أنواع العلوم والمعارف دون استثناء (طب ـ هندسة ـ إدارة وغيرها من العلوم الإنسانية والتجريبية) كي تستعيد نهضتها وتبني مجدها وتتبوأ مكانتها اللائقة بين الأمم.

إن العلوم الشرعية بخاصة يحتاجها كل مسلم كي تكون أعماله مطابقة لما شرع الله وليست خاصة بأحد دون غيره ولا بفئة دون فئة.

إن المطلوب من كل مسلم مهما كان تخصصه أن يعلم ويفهم أمور دينه وفقاً لتعاليم الإسلام، ولذلك فإنه ينبغي أن يأخذ من الفقه ما يكفيه للقيام بعباداته ومعاملاته على هدى وبصيرة دون استقصاء، وهو معنى قولنا: الفقه والتفقه لكل أحد بما يكفيه، ويكون البحث والاستقصاء والدراسة للمسائل والقضايا من مهام أصحاب التخصص، فهم الذين عليهم القيام بذلك وبيان الأحكام الشرعية للناس في أمور دينهم، وما يحتاجون إليه في حياتهم الحالية وفي مستقبل حياتهم من نوازل وقضايا حادثة تتطلبها الحياة، وبيان ما يجوز منها وما لا يجوز، ثم محاولة إيجاد البديل فيما تم منعه مما يحتاجه الناس ويندرج تحت باب المصالح، فالشريعة الإسلامية غنية بمصادرها ومبادئها، ولم ولن تقف في سبيل نمو الحضارة البشرية وتطورها في كل المجالات، وفقنا الله لسلوك طريق الحق والرشاد.

١٠

سنن الله الكونية في بني إسرائيل (اليهود)

أخبر الله في القرآن الكريم في سورة الإسراء ما قضاه على بني إسرائيل في الكتاب الذي آتاه موسى عليه السلام، وأنه سيدمرهم مرتين بسبب فسادهم وبغيهم قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾﴾ [الإسراء: ٤].

ففي الأولى منهما يعلون في الأرض المقدسة ويتكبرون ويفسدون فيها، فيبعث الله عليهم عباداً من عباده أولي بأس شديد يستبيحون ديارهم ويقتلونهم ويشردونهم، ثم بعد رجوع بني إسرائيل إلى ربهم أعادهم إلى ما هم عليه من قوة ومنعة، وبعد هذا الرجوع عادوا إلى فسادهم وتجبرهم وبغيهم، فيسلط الله عليهم في المرة الآخرة من يسومهم سوء العذاب ويخرب ديارهم ويدمرها جزاء لصنيعهم وإجرامهم.

وقد عادوا الآن في فلسطين وأصبحوا أكثر أموالاً وأولاداً وعدداً وعدة، وبلغ بهم الطغيان والجبروت ما لم يبلغوه من قبل، فقتلوا وخربوا وشردوا وأهلكوا الحرث والنسل، واعتدوا على الفلسطينيين، واستقووا بغيرهم ممن يقف معهم ويدعمهم تحقيقاً لمصالحهم جميعاً، وليس آخر تلك الاعتداءات حرب غزة وما حدث منهم من استعمال أسلحة مدمرة فقتلوا وأحرقوا ودمروا بقوة شديدة تدل على منتهى الحقد على البشرية. وقد تعرض غولدستون اليهودي في تقريره لشيء من ذلك، وهو منهم، وشهد شاهد من أهلها، وما ذكره غيض من فيض وقليل من كثير مما شاهده هو واللجنة المكلفة بذلك، ومع ذلك وقفت بعض الدول مع

الظالم المعتدي ضد الضحية المعتدي عليه بحجج واهية لا يمكن قبولها، وسواء قلنا إن المرة الآخرة قد وقعت أم لم تقع فإن الله تعالى قد حكم عليهم بأنهم متى عادوا إلى الظلم والطغيان والفساد فإنه سيعود عليهم بتسليط من يسومهم سوء العذاب جزاء صنيعهم وفسادهم فيستبيح حرمتهم ويكسر شوكتهم تصديقاً لوعده وإنجازاً لحكمه قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠] فمرة يكون النصر لهؤلاء ومرة يكون لغيرهم ممن يأخذ بأسباب النصر، ويقترب أو يبتعد عن الله، ووعد الله حق وسيتحقق بحول الله لكن متى وكيف؟ ذلك في علم الله، ونرجوأن يكون قريباً ويشفي الله صدور قوم مؤمنين.

ومما تم الإطلاع عليه من الكتاب والسُّنَّة وسنن الله الكونية، فإنه يجب علينا نحن المسلمين الإيمان بوعد الله الصادق وأنه آت لا محالة، وأنه لا يجوز أن يدخل اليأس إلى قلوبنا، وأن نعمل على تحقيق وقوع هذا الحكم الصادر على بني إسرائيل بتمسكنا بديننا وإعداد العدة للنصر عليهم بالأخذ بأسباب النصر في جميع النواحي المعنوية والمادية، وأن نعلم أنه كلما اشتد الظلم والعدوان والطغيان قرب الفرج، وعجل حصول العودة عليهم بالفناء والزوال جزاء ما كسبت أيديهم قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢]، وفي الحديث: «**إن الله ليملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته**»[1]، وإن وعد الله لعباده الصالحين متحقق فعلينا أن نكون من عباده الصالحين الذين قال الله فيهم: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، وإن غداً لناظره قريب.



(١) رواه الشيخان: البخاري برقم ٤٦٨٦، ومسلم برقم ٦٥٨١.



أهمية حماية البيئة ونظافتها

خلق الله البيئة المحيطة بالإنسان من هواء وماء وغذاء نظيفة سليمة من العيوب ومن كل ما يضر الإنسان والحيوان والنبات.

إن البشرية في تطورها خلال أطوارها المختلفة قد أدخلت على البيئة أموراً وملوثات أثرت وتؤثر على أشكال الحياة فيها قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم: ٤١].

إن الإسلام قد أولى عنايته للنظافة، وقد جاءت بذلك الأحاديث منها «**الإيمان بضع وسبعون شعبه فأعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**»[١] ومنها «**إن الله نظيف يحب النظافة**»[٢].

إنك ترى الدول وبخاصة الصناعية منها تقدم على تلويث البيئة، بما تخلفه من غازات وأبخرة ومواد صلبة، مما يؤثر على صحة الإنسان والحيوان والنبات، ولا تلقي لذلك بالاً وكأن الأمر لا يعنيها، ويعلم الجميع أن البشرية في هذه الأرض إنما هم في سفينة واحدة من خرق فيها خرقاً فإنه يغرق ويغرقهم معه، وهم بذلك يتأثرون بما يعملون ويعمله غيرهم. ولذلك فإني أقدم ما عساه أن ينفع في هذا المجال:

١ ـ أن يقوم كل فرد بما يستطيع في مجال حماية البيئة، وذلك

---

(١) أخرجه مسلم برقم ٣٥.

(٢) اخرجه الترمذي برقم ٢٧٩٩، نشر وزارة الشؤون الإسلامية.

بجمع نفاياته ووضعها في المكان المخصص للتخلص منها، وألا يلوث الشواطئ والمتنزهات والأحياء والشوارع.

٢ ـ أن يتم التعاون والتكاتف بين أفراد المجتمع في نظافة البيئة وعدم رمي المخلفات في غير الأماكن المخصصة لها.

٣ ـ أن تقوم وسائل الإعلام المتنوعة بنشر الوعي بأهمية المحافظة على نظافة البيئة، وما لذلك من آثار إيجابية على الوطن والمواطن وما يترتب على عدم الالتزام بذلك من مخاطر وأضرار صحية وغيرها.

٤ ـ أن تعد وزارات التربية والتعليم الأجيال القادمة للمحافظة على البيئة، وتوعيتهم بأهمية ذلك لحياتهم ومستقبلهم.

٥ ـ أن تقوم الجامعات ودور العلم بإعداد الدراسات والبحوث في مجال حماية البيئة ومنع التلوث، وما يمكن فعله عند وجود التلوث براً أو بحراً.

٦ ـ أن تتعاون الجهات المختلفة المعنية بالبيئة، وأن تكاتف جهودها على العناية بالبيئة ومنع التلوث وإزالة الموجود منه دون تباطؤ.

٧ ـ أن تقوم الهيئات الدولية المسؤولية عن البيئة بتكثيف جهودها توعية ومساعدة للدول في القيام بواجبها.

٨ ـ أن تلتزم الدول كلها وبخاصة الصناعية منها بتطبيق المعايير الواجبة للحفاظ على البيئة في مصانعها وفي كل شؤونها تجنباً للمخاطر والآثار الكبيرة التي تعود على العالم كله إذا قصر كل بواجبه والقيام بدوره فيما يعود على البشرية بالصحة والعافية، فهل يتحقق ذلك؟ آمل أن يكون.



٦٢

الإبداع والموهبة

يقال: بدَعَه بدْعاً: أنشأه على غير مثال سابق فهو بديع، والبديع المبدع ومنه قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧]؛ أي: أنشأهما على غير مثال سابق، ويقال هذا من البدائع: مما بلغ الغاية في بابه، والموهبة: العطية وتطلق على الموهوب.

والإبداع البشري: إنجاز شيء لم يكن له مثيل سابق أو تطوير موجود وتحسينه بحيث يزيد في إنتاجه وعطائه كمّاً أو كيفاً، وهو كذلك القدرة على ابتكار حلول جديدة لمشكلة ما أو أساليب جديدة للتعبير الفني.

والموهبة: منحة وعطية من الله يمنحها لبعض الناس يمكن بها ابتكار أمور تقدم نفعاً للبشرية.

إن الإبداع نعمة من نعم الله، فلو تتبعنا الأمر من بدء الحياة وما كان يستعمله الناس آنذاك من آلات وأدوات وتطورها حتى وصلت إلينا كما هي الآن لعلمنا كم أن الإبداع شيء مهم، حيث استعمل الموهوبون مهاراتهم لتطوير وتحسين الحاجات البشرية وتنميتها، فيسرت أمور العيش وساعدت على رخاء الإنسان، وقد كان الإسلام مشجعاً وحافزاً قوياً على الإبداع والابتكار في جميع ميادين الحياة حتى أصبحت الحضارة الإسلامية تقود الحضارات الأخرى إلى التطور والبناء، ولكن الدنيا دول كما يقولون، فانتقل الإبداع والابتكار إلى أمم أخرى، فشجعت

الموهوبين ووفرت لهم كل الوسائل والسبل، وأصبحت تجني ثمار ذلك تقدماً في كل شؤون الحياة المادية، وأصبح المسلمون في هذا الزمان عالة يستجدون ذلك من غيرهم ممن يبخل عليهم بما كان مصدره من عندهم.

ومع الأسف فقد استخدم شيء من هذا الإبداع وشجعت تلك المواهب على ابتكار أساليب التدمير للبشر والشجر والحيوان.

وأرى في هذا الصدد أن يهتم المسلمون بالعلم والتعلم، وأن تشجع المواهب على الإبداع والابتكار في كل ما يعود على البشرية بالخير والرخاء، وأن تنشأ لذلك المعاهد والمراكز وينفق عليها بسخاء؛ لأن التنمية البشرية والاستثمار فيها هو أهم عوامل التقدم والتطور، وذلك كي يعود لأمتنا سابق عزها ومجدها بحول الله وتنفض عنها غبار التخلف وما ذلك على الله بعزيز.



٦٧

التآمر والمؤامرة

منذ بعث الله الرسل من لدن نوح ومن بعده إلى نبينا محمد عليهم الصلاة والسلام وأعداء الله من الكفار والمنافقين يقفون أمام دعواتهم، ويحيكون المؤامرة إثر المؤامرة كي يصدوا الناس عن الإيمان بالله وما جاءوا به من الدين القويم.

وقد كان نبينا محمد ﷺ يجاهد أعداء الإسلام من مشركين ويهود ونصارى ومنافقين، فمن ذلك تآمر كفار قريش مع اليهود على حرب المسلمين كما في غزوة الأحزاب، وحرب النصارى كما في غزوة مؤته، وكيد اليهود في المدينة مراراً كثيرة كان منها محاولة قتله ﷺ.

وكان دور المنافقين في حرب الإسلام من الداخل قال تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾ [المنافقون: ٧]، وغير ذلك مما هو معلوم في كتب السير والتاريخ، وقد نصر الله نبيه عليهم وأعز دينه حتى أصبحت أمة الإسلام هي الرائدة في كل الأمور.

ثم جاء دور اليهود مرة أخرى وما قام به عبد الله بن سبأ من الفتنة التي أدت إلى قتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم الحروب الصليبية التي طال أمدها واشتد أوراها، وما تلا ذلك من التآمر بين اليهود والنصارى على إسقاط الخلافة الإسلامية، وما يزال الإسلام يواجه حرباً شرسة فكرية وثقافية وسياسية واجتماعية بل وعسكرية، وقد

زرعوا في قلبه دولة صهيونية عنصرية كي تكون قاعدة لهم يستطيعون من خلالها تنفيذ مخططاتهم لوقف زحف الإسلام الذي ينتشر بالحجة والبرهان، وهو الدين الذي يحترم الإنسان ولا يعارض العقل الصريح الذي لا تشوبه شائبة الحكم المسبق المبني على الحقد والتعصب.

وقد تعلمت من تجربتي في الحياة أن الناس في إطلاق التآمر والمؤامرة على فريقين:

١ ـ يرى أن كل ما يكون من حروب وما يصيب المسلمين وغيرهم من تخلف، وما ينتج عن ذلك من آثار اقتصادية وسياسية واجتماعية، إنما هو بسبب نظرية التآمر والمؤامرة من الأعداء وأصحاب المصالح ومهما كان الأمر كبيراً أو صغيراً.

٢ ـ وغيرهم يرى أن ذلك ليس صحيحاً وأن إطلاق التآمر في ذلك إنما هو من باب جعله شماعة يعلق عليها المغلوبون والمستضعفون سبب تخلفهم وتأخرهم.

ولكني أرى التوسط بين الفريقين، حيث إن التآمر والمؤامرة موجودة ومتحققة فيما قلناه سلفاً، ولكن لا ينبغي أن نجعل كل فشل لنا وخيبة أمل نتيجة للمؤامرة، ولولا أن لدينا الاستعداد لتنفيذ تلك المخططات من جهل وتخلف وفرقة لما أمكن لهم ان يحققوا شيئاً، فعلينا نبذ الفرقة والاعتصام بحبل الله، وأن نتعاون في العمل على تقدم أمتنا وتطوير بلادنا ونهضتها، وأن نكون على وعي بما يحاك ضدنا من مؤامرات ولا نعطي الفرصة للأعداء في تحقيق مآربهم، والله معز من أعزه ومذل من عصاه وخالف أمره نسأل الله أن يهيء للمسلمين من أمرهم رشدا.





ألف اختراع واختراع

شدني سماع ورؤية خبر معرض ألف اختراع واختراع الذي أقيم في بريطانيا عام ١٤٣١هـ وهو يعرض الاكتشافات التي حققها المسلمون إبان عز الحضارة الإسلامية، التي تتناول مختلف أمور وحاجيات الإنسان، وليس كل ذلك هو ما اخترعه المسلمون بل إن اختراعاتهم كثيرة وكثيرة جداً، ولكن تلك نماذج وليست حصراً.

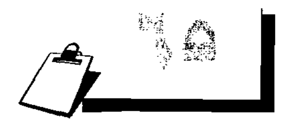
إن الإسلام يشجع أتباعه على التفكر وابتكار الوسائل التي تعينهم على الحياة قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝١٣﴾ [الجاثية: ١٣].

وقد سمعت من بعض من زار المعرض من مسلمين وغيرهم، وذلك عبر إحدى القنوات الإشادة بذلك وأنهم لا يعلمون أن علماء المسلمين هم سبب لكثير مما تتمتع به البشرية من اكتشافات في جميع شؤون الحياة، وهذا يدل على أن الغرب عندما أخذوا هذه الاكتشافات واستفادوا منها وطوروا بعضها ونسبوها إليهم وتجاهلوا أصحاب تلك الاكتشافات من المسلمين، على حين أن بعضاً من الغربيين يسيئون إلى المسلمين برميهم بالتخلف وأنهم لم يساهموا في بناء الحضارة الإنسانية، وهذا كذب وبهتان يرد عليه هذا المعرض وغيره من المؤلفات التي كتبت عن المسلمين المكتشفين وغيرهم من أبناء الحضارة الغربية نفسها. وقد تعلمت من ذلك في حياتي: أنه مهما بلغ البشر من المكر والتجاهل فلا

بد للحقيقة أن تظهر يوماً ما تبين زيف المنتحلين وترد على كذب المدعين وتكشف أحقاد الحاقدين، وتعلمت وعرفت أن المسلمين قد شاركوا مشاركة عظيمة في بناء الحضارة الإنسانية في جميع أوجه حياتها، ولا سيما المكتشفات والمخترعات التي أفادت البشرية في جميع أوجه الحياة، وإن تجاهل بعض الغربيين لذلك ليس عن حسن نية بل هو عن سوء نية مبيتة لما ألصقوه وما زعموه من افتراءات بأن الحضارة الإسلامية لم تأت بجديد ولم يكن لها يد في اكتشاف وتطوير المخترعات والمكتشفات، وإنما هي نتاجهم هم، صحيح أنهم قد اكتشفوا أشياء أخرى وطوروا الموجود بحيث أمكن الاستفادة منه بشكل أفضل، ونحن لا نبخسهم حقهم كما هم يفعلون حيث يبخسونا حقنا قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

نحن نختلف عنهم أخلاقياً وسلوكياً، حيث إن ما تم اكتشافه من المسلمين من علوم وآلات وغيرها جعل متاحاً لهم ولغيرهم للاستفادة منه، أما هم فإنهم لما تمكنوا من الاكتشافات المختلفة فإنهم منعوا عنا الاطلاع على ما وصلوا إليه واحتكروه لأنفسهم ورموا المسلمين بالتخلف الذي هم كانوا سببه باستعمار أكثر بلاد المسلمين وإعاقتهم عن النمو والأخذ بأسباب التطور والتقدم، ولكنهم يمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين، سدد الله الخطى وهدى الله الجميع للخير.





الإعلام ورسالته

كان التواصل بين الدول والحضارات محدوداً عن طريق الرسل والرسائل، ونظراً للتقدم المذهل في الحياة البشرية وفي الأمور التقنية حتى أصبح يطلق على العالم الآن (القرية الصغيرة) لما تحقق من سهولة ويسر في الاتصال بين أجزاء الوطن، وبينه وبين غيره من دول العالم، سواء في مجال الاتصالات أم وسائل الإعلام المختلفة من تلفاز وإذاعة وصحف ومجلات وغيرها، فأصبح الحدث ينقل فورياً من موقعه وإلى أنحاء العالم، إن ذلك قد يسر على الناس أسلوب حياتهم واختصر عليهم كثيراً من الوقت والجهد والمال.

إن الناس في السابق لو قيل لهم شيئاً مما سيكون من تقدم فإنهم لا يمكن أن يستوعبوا ذلك، ولكنها إرادة الله الذي سخر تلك الأمور للناس وأطلعهم على أسرارها.

إنك لتعجب حين تقرأ أو تسمع حديث رسول الله ﷺ عن تميم الداري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز به الإسلام وذلاً يذل به الكفر**»[١].

(١) أخرجه الإمام أحمد برقم ١٦٩٩٨، ٤/١٠٣ المكتب الإسلامي، بيروت وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه رقمه ٨٣٢٦، ٤/٤٧٧، وصححه الألباني، السلسلة الصحيحة برقم ٣، ١/٣٢.

إذ كيف يصل الإسلام لجميع أجزاء الأرض بحيث لا يبقى بيت في المدن والحضر ولا بيت في البر والبوادي إلا أدخله الله هذا الدين، ويزداد العجب حين يكون ذلك قبل توفر وسائل الاتصالات بأكثر من ألف وأربعمائة سنة ولكنها معجزات النبوة.

وقد أدركنا الآن حصول ذلك، إذ إنه لا يخلو بيت إلا وفيه وسيلة أو أكثر من وسائل الإعلام، وعن طريقها يمكن للناس معرفة الإسلام، ويدفعهم ذلك إلى البحث عن حقيقته ولا سيما بعد محاولة الأعداء الإساءة إليه بتشويه صورته عند شعوبهم وأممهم، وهذا يدفع بعضهم إلى التأكد مما ينسب إلى الإسلام، فإذا عرفوا حقيقته وما جاء به من المبادئ السامية وما يدعو إليه من مكارم الأخلاق دخلوا فيه عن رغبة واقتناع. إن مهمة المسلمين ومسؤوليتهم كبيرة وبخاصة المختصين منهم من أجل الاستفادة من وسائل الإعلام المختلفة لإيصال وإبلاغ دين الإسلام للبشرية وتحسين صورة فهمهم المشوشة للإسلام وذلك باتباع الأتي:

١ ـ إيجاد قنوات تبث بمختلف اللغات وحسب الأوقات المناسبة للمتلقين شرقاً أو غرباً.

٢ ـ الاستفادة من القنوات القائمة ببث مزيد من البرامج المتنوعة لبيان موقف الإسلام من أمور الحياة، وما يتميز به من يسر وسماحة فيما جاء به من تعاليم يقبلها العقل السليم.

٣ ـ محاولة استئجار ساعات محددة من القنوات المشهورة التي لها النصيب الأكبر من المشاهدين واختيار الأوقات المناسبة للبث بأنواع اللغات المعروفة.

٤ ـ إيجاد مراكز متخصصة في الإعلام وبما يخدم رسالة الإسلام، وفقاً لأساليب العصر وتقديمها بوسائل وطرق ترغب الناس في متابعتها ومن ثم التأثر بها والقناعة بما فيها.

٥ ـ الاستفادة من جميع وسائل الإعلام من تلفاز وصحافة وإذاعة ومجلات ومواقع إلكترونية لبيان تعاليم الإسلام ومناسبتها للبشر في كل زمان ومكان وأنها تمنح أتباعها سعادة الدنيا والآخرة.

٦ ـ العمل على إصلاح بعض القنوات التي تبث باللغة العربية وغيرها التي يملكها مسلمون، بحيث تكون عامل بناء وإصلاح للمجتمع بدلاً من أن تكون معول هدم يضر جيل الأمة المعول عليه بعد الله في نهضتها وتقدمها لما فيه خيرها وخير البشرية جمعاء.

٧ ـ التنسيق بين وسائل الإعلام المتنوعة من أجل توحيد الجهود والاستفادة من الخبرات لتحقيق الأهداف والنتائج بشكل أفضل وأقرب إلى الكمال.



النجاح في الامتحان والتفوق في الاختبار

خلق الله الحياة الدنيا وجعلها دار امتحان وابتلاء وممراً ومعبراً إلى دار القرار، وأرسل الله الرسل إلى البشرية لهدايتهم إلى توحيده وطاعته والبعد عن معاصيه، فهدى الله من شاء لإتباع رسله وحاد عن الطريق المستقيم غيرهم. إن الناس في هذا العصر قد مروا باختبارات وامتحانات كثيرة منها في مجال التعليم ومنها في الصحة ومنها في قيادة السيارات ومنها في الحياة الوظيفية وغيرها، وأدركوا ما يصيب الممتحن من عناء وتعب وما يصحبه من خوف وقلق، فمنهم من فاز ونجح في امتحانه واختباره وأدرك ما يصبو إليه فأثمر عناؤه وتعبه النتيجة التي يرجو، وهم قد حصلوا على تقديرات مختلفة من جيد إلى ممتاز.

ومنهم من أخفق وفشل في الامتحان والاختبار ولم يحقق ما سعى إليه وذاق طعم ومرارة الفشل والرسوب، وقد يكون حاول فنجح أو رسب حسب حرصه واهتمامه وتحصيله بعد توفيق الله، هذا في الدنيا ولأعمال الدنيا التي يتكرر فيها الفشل ثم يعقبه نجاح إذا تذرع الإنسان بالصبر والكفاح.

إن الدنيا هي مكان الاختبار والامتحان لحياة البقاء في الدار الآخرة، والامتحان يتطلب الصبر والجد والاجتهاد كي ينجح المرء ويصل إلى مبتغاه، فهل أعددنا العدة لهذا الاختبار من العمل الصالح المبني على الإيمان، وصبرنا على أداء الأعمال الطيبة وصبرنا عن

الامتناع عن المحرمات حتى نجتاز هذا الامتحان الصعب الذي ليس كامتحانات الدنيا فهو إما نجاح لا فشل بعده أو فشل لا نجاح بعده، فإنه كما قيل: يذهب تعب الطاعة ويبقى ثوابها وتذهب لذة المعصية ويبقى عقابها.

إن كثيراً من الناس يهمه ويشغل باله أن ينجح في الدنيا في جميع أموره وهذا حسن وطيب ولكن ألا يهمه النجاح الأبدي الذي ليس كأي نجاح؟.

ثم هل تنجح بتفوق في أعالي الجنان أم يكون النجاح بمستوى جيد فيها؟ وهل إن طموحنا وهمتنا في الدنيا لأعمال الدنيا فقط التي نتنافس فيها؟ أم أن الطموح والهمة العالية تدفعنا للتنافس على المراتب العالية في الآخرة التي هي متاحة لكل مسلم إذا وفقه الله وقذف في قلبه الرغبة في الفردوس الأعلى؟ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، اللهم اجعلنا ممن امتحن واختبر فنجح في الفوز بالدرجات العالية من الجنة إنك سميع مجيب.





الصحة والغذاء

خلق الله الإنسان في أحسن تقويم وكرمه على المخلوقات، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [الإسراء: ٧٠].

إن الإنسان يحتاج الغذاء والماء والهواء في حياته، فجعل الله الهواء متاحاً للإنسان وبسهولة ودون مقابل لأنه لا يستطيع العيش دونه ولو لدقائق، إذ لو ملكه الناس وصار يمكن بيعه وشراؤه والسيطرة عليه لأصبحت حياة الناس كلهم في خطر، ثم تأتي حاجة الإنسان للماء وهو على أهميته أقل من حاجته للهواء، إذ يمكن للمرء أن يعيش ساعات أو أكثر دون ماء، وجعل الإسلام الناس شركاء في ثلاث منها الماء، ومع ذلك فإنه يمكن تنقيته وتعليبه وبيعه على الناس وللناس خيارات في غير ما يباع عليهم.

ثم تأتي حاجة الإنسان للغذاء وهي هامة لكنها تأتي بعد أهمية الهواء والماء ولذلك تجده يباع بأصنافه وأنواعه.

ولقد كانت تلك الأغذية وما قبلها من الهواء والماء سليمة طيبة قبل أن تتدخل فيها يد الإنسان وتلوثها أو تضيف لها مواد كيميائية من بذور مهجنة أو سماد أو مبيدات حشرية، وهي بذلك قد أثرت على حياة الإنسان، وأخلت بالتوازن البيئي وسببت الأمراض وأنهكت الأجسام، وأصبح الناس في حصار من كل جانب ويهربون من ذلك إلى العلاج

بأدوية كيميائية، وهي إن كانت مفيدة فلها من الآثار الجانبية ما الله به عليم، وعليه فإني أرى من واقع خبرتي البسيطة الاهتمام بما يأتي:

١ ـ الحرص ما أمكن على السكن بعيداً عن المصانع والأماكن المزدحمة بالسيارات التي تملأ الجو تلوثاً بمختلف الغازات المحملة بالسموم، وإن أمكن فيكون السكن بالضواحي وأطراف المدن والأرياف حفاظاً على نقاء الهواء والبيئة.

٢ ـ أن يشرب الإنسان من الآبار العادية غير المعالجة بمواد كيميائية ما أمكن التي يثبت صلاحيتها للاستهلاك الآدمي، بعد أن يتم تحليلها مخبرياً لإثبات خلوها من الجراثيم والميكروبات والمواد السامة؛ لأن كثيراً من المياه المعبأة ومع الأسف ليست صحية، بل لها آثار ضارة على الكلى وغيرها، وإن لم يمكن فليشرب من مياه المشروع العام بعد تنقيتها من الشوائب العادية فهي أصح من غيرها.

٣ ـ تناول الأطعمة الطبيعية ما أمكن التي تخلو من استعمال المواد الكيميائية وذلك حماية للجسم من الأمراض التي تنتج عن تناول تلك الأطعمة المعالجة كيميائياً.

٤ ـ الابتعاد عن تناول الوجبات السريعة والمشروبات الغازية لثبوت ضررها طبياً فالوقاية خير من العلاج.

٥ ـ أن يكون للمرء برنامج رياضي يختاره لمدة نصف ساعة يومياً وأرى أن المشي من أفضل أنواع الرياضة خاصة لمن أعمارهم بعد الأربعين، قال ابن الجوزي في جامع المسانيد: ومعلوم أن الصلاة حركات مختلفة تتحرك معها الأعضاء الظاهرة والباطنة، وقد ذكر الأطباء أن في المشي رياضة قوة وتحليلاً وأن مما يحفظ الصحة إتعاب البدن قليلاً، ويحصل للنفس بالصلاة قوة وانشراح مع ذلك، فتقوى الطبيعة ويندفع الألم.

٦ ـ النوم مبكراً قدر الإمكان وألا يتجاوز ذلك الساعة الحادية عشرة مساء؛ لأن نوم الليل لا يعوضه نوم النهار أبداً، وبنوم الإنسان مبكراً يستيقظ مبكراً للقيام بواجباته الشرعية وأعماله المعتادة، والنوم مبكراً يقوي جهاز المناعة للجسم، بحيث يستطيع بحول الله مقاومة الأمراض وقاية، وهو ما يقوله الأطباء، إذ إن السهر وقلة النوم من مسببات ضعف المناعة وقبول الجسم لمختلف الأمراض وقانا الله من ذلك.

٧ ـ الإقلال من تناول الأدوية إلا لضرورة وتحت إشراف طبي مختص؛ لأن بعض الناس يتجه إلى الصيدليات ويطلب علاجاً لمرض ما ويصرفه له الصيدلي ويستعمله، وقد ينفع في مرضه وقد يضر مع حدوث آثار أخرى جانبية لا يعلمها، فهو كما يقال: يعمر قصراً ويهدم مصراً.





الابتسامة وطلاقة الوجه مفتاح القلوب

بعث الله نبيه محمداً ﷺ بالدين الحق، ومنحه أخلاقاً وشمائل عظيمة قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤] فهدى الله به البشرية من الكفر والشرك إلى الإيمان، ومن الجهل إلى العلم، ومن الشقاء إلى السعادة، فأحبه الناس أكثر من حبهم لأنفسهم لما جاءهم به من الهدى، ولما جُبل عليه من حسن الخلق، فأدى رسالته وبلغ أمانته للبشرية، فأضحى الإسلام هو الدين المهيمن في الأرض، وهو الأكثر انتشاراً بسبب دعوته إلى ما فيه سعادة الخلق ديناً ودنيا، ولما يدعو إليه من مكارم الأخلاق.

إن من صفاته عليه الصلاة والسلام تبسمه وطلاقة وجهه كما جاء في الحديث الذي رواه عبد الله بن الحارث «**ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ**»(١) وجاء في حديث جرير البجلي «**ولا رآني إلا تبسم**»(٢).

فكانت ابتسامته وطلاقة وجهه ﷺ مفتاحاً لقلوب من يراه، فهداهم الله به إلى الحق والنور، ولو كان غير ذلك لنفر الناس من الدين ولم يقبلوه قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل

---

(١) رواه الترمذي عن عبد الله بن الحارث رقمه ٣٦٤١.

(٢) متفق عليه، البخاري برقم ٣٠٣٥، ومسلم برقم ٦٣٦٣، نشر الشؤون الإسلامية ٢٤٧٥، نشر دار الإفتاء.

عمران: ١٥٩] وقد قيل: طلاقة الوجه عنوان ما في النفس.

إنك ترى كثيراً من الناس قد أبعدوا الابتسامة والبشاشة من حياتهم وواقعهم، وكأنهم حملوا هموم الدنيا على قلوبهم، وهذا خطأ كبير إذ إنه إلى جانب خسارته للعلاقة مع الناس وعدم كسب ودهم ينوء بأعباء نفسية كبيرة تفقده السعادة والأنس في حياته.

إن قواعد التعامل في علم الإدارة والتسويق تؤكد على أن يكون الموظف والعامل مبتسماً طلق الوجه كي يكسب الناس ويحقق النتائج المرجوة.

وقد تعلمت من تجربتي في الحياة: أن الابتسامة في حياة المرء شيء أساسي ومهم وهي مفتاح القلوب وكم جربت ذلك في حياتي فوجدته حقاً وصدقاً لا مراء فيه، ولذلك فإن على من يريد كسب الناس والخلوص إلى قلوبهم أن يكون مبتسماً باشاً طلق المحيا، وله في رسول الله ﷺ أسوة حسنة وقدوة صادقة والله يتولانا برحمته.





وقفوهم إنهم مسؤولون

لو اعتقد كل أحد أنه لن تزول قدماه حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيما عمل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وأنه سيسأل من ذلك عن إساءته لنفسه بالعصيان، وإساءته لغيره بأنواع الإساءة، ويتضح له تفريطه بإضاعته عمره فيما لا ينفعه إن لم يكن ضيعه فيما يضره، ويندم حين لا ينفع الندم على عدم استغلاله جميع أوقاته فيما يحب الله من أعمال الخير.

إنك ترى الناس ونحن منهم يعملون أعمال من يظن أنه لن يحاسب عنها، وأنها قد محيت بمجرد الانتهاء منها، ولسان حالهم ينبئ أنهم لن يبعثوا ولن يحاسبوا، ولذلك يحذرهم الله من المحاسبة بعد البعث، قال تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥﴾ [المطففين: ٤، ٥]. وتلك الأعمال محصاة ومسجلة عليهم في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

إن على كل منا أن يستشعر عظمة الموقف وأن يعد للسؤال جواباً وللجواب صواباً يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً ولا هم ينصرون.

أرجو أن يوفقنا الله لأخذ العدة والعمل بما يرضيه والبعد عن محارمه ومعاصيه إنه على كل شيء قدير.



رعاية المسؤولية

كل إنسان في هذه الحياة مسؤول عن نفسه أولاً وعمل ما يصلحها ديناً ودنيا، ثم هو مع ذلك مسؤول عما تحت إدارته ومسؤوليته من أولاد بنين وبنات وزوجة وغيرهم ممن استرعاه الله عليهم، من حيث تربيتهم التربية السليمة على الإيمان والأخلاق الطيبة والسلوك القويم، وما يصلحهم في معاشهم حسب طاقته، وما ينفعهم في معادهم، ثم هو بعد ذلك مسؤول عما أوكل إليه من أعمال، فإن كان موظفاً في أي قطاع كان مسؤولاً عن انجاز ما لديه وعلى أفضل ما يمكن، وإن كان رئيساً لقسم أو إدارة فإن مسؤوليته تكون أوسع وواجباته أكثر، وإن كان مسؤولاً عن جهاز أو قطاع فإن أمانته تكون أكبر ومسؤوليته تكون أشمل، فعلى الجميع أن يبذل كل منهم جهده وطاقته للقيام بما استرعاه الله عليه.

جاء في الحديث «**فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**»(١) والمسؤولية تكون في الدنيا من أهل الحقوق وممن ولاه هذه الرعاية والمسؤولية، وهي في الآخرة من الله رب العالمين الذي يعلم السر وأخفى، ولئن نجا الإنسان في الدنيا بأي شكل فلن يفلت يوم القيامة؛ لأن ذلك قد أحصى عليه وسيحاسب عليه في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها فهل أدركنا ذلك حقيقة؟

---

(١) رواه عبد الله بن عمر. وأخرجه البخاري في صحيحه برقم ٥٢٠٠ قال السيوطي في الجامع الصغير (٦٣٧٠): رواه أحمد وأبو داود والترمذي وقال: حديث صحيح.

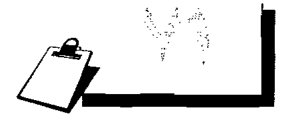
إن على كل مسؤول حسب مسؤوليته صغيرة أم كبيرة أن يراعى ذلك وأن يبذل جهده وطاقته لتأدية الأمانة.

إنكَّ تجد بعض من أوكل إليه مسؤولية يقصر فيها، وهو إنما يحرص على أن يكون من ولاه تلك المسؤولية راضياً عنه، ويحاول بعضهم الظهور أمامه بقيامه بواجبه وأداء أمانته مع تقصيره فعلاً، ولم يعلم أن الأمور لن تنتهي عند هذا الحد، بل هنالك مساءلة ممن لا يغيب عنه شيء، فعلى أولئك تذكر ذلك دائماً كي يساعدهم على الإخلاص والاجتهاد في عملهم وما أوكل إليهم.

إن بعض من كلف بمسؤولية ما ـ وهو ليس أهلاً لها ـ قد اجتهد من ولاه في اختياره، ولكن مع مزاولة العمل يتضح عدم استطاعته، ومع ذلك تجده يتمسك بالعمل ولا يريد التخلي عنه، وكان الأولى منه أن يطلب إعفاءه منه مراعاة لحاله في الدنيا بالتخفيف على نفسه وعدم تحميلها فوق طاقتها، وفي الآخرة السلامة من المساءلة والجزاء العادل.

إن التكليف بالأعمال العامة ليست تشريفاً وإنما هي تكليف للقيام بالواجب وخدمة الناس ورعاية مصالحهم، وليست مغنماً يتسابق الناس إليه لتحقيق مآربهم الشخصية، بل هي مغرم من حيث بذل الجهد والتعب في انجاز الأعمال، نعم تكون مغنماً لمن يستطيع حمل الأمانة ورعاية المسؤولية وطلب الإعانة والأجر من الله لما يقوم به من رعاية لأمته وخدمة لوطنه والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.





عملك صديقك فاختر الصديق الذي تريده

يعيش الإنسان في هذه الحياة أوقاتاً محدودة لا يدري متى تنتهي فيغادرها إلى حياة البرزخ، وهي الحياة في القبر حتى تقوم الساعة، ثم يجازى كل بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر؛ لأن الجزاء من جنس العمل.

فعلى المرء أن يعمل في هذه الحياة جهده وطاقته للتزود من الطاعات والبعد عن المعاصي والسيئات.

يتبع الإنسان في هذه الحياة ماله وأهله وعمله، فإذا نزل به الموت تركه ماله وانتقل للورثة، وإذا أودع قبره رجع عنه أهله وبقي معه عمله ملازماً له إلى أن تقوم القيامة.

جاء في الحديث «**أخلاء ابن آدم ثلاثة، واحد يتبعه إلى قبض روحه، والثاني إلى قبره، والثالث إلى محشره؛ فالذي يتبعه إلى قبض روحه فهو ماله، والذي يتبعه إلى قبره فهو أهله، والذي يتبعه إلى محشره فهو عمله**»[1]، ولمسلم من حديث أنس: «**يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله**»[2].

---

(١) رواه أحمد في المسند ٣/ ١١٠، والطبراني في الكبير والأوسط من حديث النعمان بن بشير بإسناد جيد رقمه ٢٥١٨ قال العراقي: ورواه الطبراني في الكبير من حديث سمرة بن جندب وفي الأوسط من حديث أنس بسند جيد أيضاً، تخريج أحاديث الإحياء، للحافظ العراقي ٣/ ٢٢٧.

(٢) أخرجه مسلم برقم ٢٩٦٠.

فإذا كان عمل الإنسان صالحاً فإنه يأتيه رجل حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب يبشره فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا عملك الصالح، فهو أنيسه وصديقه إلى أن يقوم من قبره ويتجه إلى الجنة، أما إذا كان عمله سيئاً غير صالح فإنه يأتيه رجل قبيح الوجه منتن الريح قبيح الثياب فيبشره بسخط الله وعذابه فيقول له من أنت؟ فيقول: أنا عملك الخبيث، فيبقى معه عمله السيئ موحشاً له إلى أن يقوم من قبره ويؤمر به إلى النار.

أخي كل منا في هذه الحياة يختار أصدقاءه بعناية ويأنس بهم ويمنحهم وقته وجهده ووده وهي لحظات إذا قورنت بحياة البرزخ والنعيم الدائم أو العذاب المقيم، فهلا حرصنا على اختيار الصديق الذي نريده مؤنساً لنا في قبرنا ونجازى عليه بالحسنى. إن العاقل يختار لنفسه ما فيه الخير لها والفلاح والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.



الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

يعلم كل مسلم أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنه سياج الأمن للمجتمع من عذاب الله، ويعده بعض العلماء الركن السادس لأركان الإسلام.

والمعروف: هو اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه والإحسان إلى الناس بكل ما ندب إليه الشرع وأمر به.

والمنكر: هو ضد ما جاء في هذا التعريف، قال في الآداب الكبرى لابن مفلح: الأمر بالمعروف وهو كل ما يؤمر به شرعاً والنهي عن المنكر وهو كل ما ينهى عنه شرعاً، وهو فرض عين على من علمه جزماً وشاهده وعرف ما ينكر ولم يخف سوطاً ولا عصى ولا أذى. قال الغزالي[1]: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين وهو المهم الذي ابتعث الله له الأنبياء أجمعين، ولو طوي بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة وعمت الفترة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة واستشرى الفساد واتسع الخرق وخربت البلاد وهلك العباد.

وقد دلت على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الآيات والأحاديث ومنها قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤].

---

(١) إحياء علوم الدين، للغزالي ٢/ ٣٠٢.

ومن الأحاديث: ما جاء عن أبي بكر الصديق ﷺ أنه قال في خطبة خطبها بعد أن حمد الله وأثنى عليه: يا أيها الناس، إنكم تقرؤون هذه الآية، وتضعونها على غير موضعها ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥] وإني سمعت النبي ﷺ يقول: «**إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب**»، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي، ثم يقدرون على أن يغيروا، ثم لا يغيروا إلا يوشك أن يعمهم الله منه بعقاب**»[١].

وقد كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قائماً بحق في عهد الخلفاء الراشدين، واستمر وقت عز الإسلام، ولما ضعف المسلمون ضعف الأخذ بهذا المبدأ المهم.

وفي هذا العصر قامت الدولة السعودية فأولت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عنايتها وجعلت له هيئة تقوم بشؤونه ودعمتها بالإمكانات اللازمة، وهي تؤدي دورها بشكل جيد، فكان لها الأثر الإيجابي في حماية المجتمع من السلبيات وتوجيه الناس إلى السلوك الحسن والأخلاق الحميدة، ومع ذلك فإن فئة من الناس جعلت شغلها الشاغل وهمها الأكبر تصيد أخطاء بعض الأعضاء المنتمين لهذه الهيئة وكأنهم يطلبون منهم العصمة من الأخطاء التي هي من طبيعة البشر، وكأن غيرهم من الجهات الأخرى التي هي معنية بمصالح المواطنين لا تخطئ، حيث لم يبحثوا أو يكتبوا عن أخطائهم كما هو الحال عن الهيئة، ومن مِنَ البشر لا يخطئ؟ إن الإنسان لو تتبع حاله لوجد أنه يخطئ كثيراً في حياته وأسرته، وكلما كثر التعامل واتسع نطاق العمل كانت احتمالات الخطأ واردة، وليس المطلوب ألا يكون هناك أخطاء؛

(١) رواه أبو بكر الصديق. وأخرجه أبو داود في سننه برقم ٤٣٣٨.

لأن ذلك غير ممكن وإنما العبرة أن تكون الإيجابيات أكثر من السلبيات، وهذا هو المتحقق في الهيئة.

إن حقيقة الأمر أن جهاز الهيئة وهو يشمل مناطق المملكة العربية السعودية، ويلتحق به من لديه الخبرة والدراية، وينظم إليه من لم تكتمل خبرته بعد، فيحصل بعض الأخطاء التي قد تكون نتيجة الانفعال والتسرع في التعامل وهي حالات معدودة، وهذا لا يقلل من قيمته وكثرة انجازاته، ولقد أشاد مجلس الشورى في دراسته لتقارير انجازات الهيئة بما تم تحقيقه من أعمال، وأوصى بدعم جهازها بالموظفين والإمكانات المطلوبة لإعانتها في أداء رسالتها السامية، وما ذاك إلا لما اطلع عليه أعضاء المجلس من إنجازات كبيرة ومعالجة الهيئة للأمور الأسرية بالحكمة والستر كلما أمكن ذلك.

إني ومن واقع ما قرأت ورأيت وسمعت عن هذا الجهاز الحيوي الهام أرى ما يأتي:

١ ـ قيام المجتمع بمساندة الهيئة في أداء مهامها، وذلك بتجاوبه معها فيما تقوم به من توجيهات وما ترصده من أفعال سلبية لبعض الشباب هداهم الله.

٢ ـ دعم جهاز الهيئة إدارياً ومالياً كما هو طلبها وتأييد مجلس الشورى لذلك كي يمكنها القيام بمسؤولياتها المنوطة بها.

٣ ـ أن يكون الإعلام من مرئي ومسموع ومقروء عاملاً مسانداً للهيئة في عملها وأن يوجه المجتمع إلى أن عمل الهيئة هو لمصلحته وحماية أبنائه وبناته من الفتن والمخدرات وكل الممنوعات، وتقويم سلوك أبنائه وغرس الأخلاق الفاضلة فيهم.

٤ ـ عقد الدورات والندوات لمنسوبي الهيئة لإطلاعهم على كل جديد من أساليب الدعوة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك

يساعد على تطوير الأداء وزيادة الإيجابيات والبعد عن السلبيات، وأن يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة والتدرج حسب الحاجة.

٥ ـ أن يكف بعض من يقوم بالإساءة للهيئة وعملها وبالتالي إلى المجتمع، من حيث يشعر أو لا يشعر وألا يكون عاملاً مساعداً لمن يقفون في وجه الأمر بالمعروف ويساندون في عمل المنكر وهم المنافقون قال تعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾ [التوبة: ٦٧].

٦ ـ كيف يمكن تصور المجتمع وما يقع فيه من سلبيات من أناس لا يدركون المسؤولية لو لم تكن الهيئة موجودة وقائمة بعملها لا قدر الله، وهذا ما يتمناه بعض من في قلوبهم مرض كي ينتشر الفساد وتشيع الفاحشة قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور: ١٩].

٧ ـ ينبغي لجميع المواطنين تفهم دور الهيئة وما تقوم به من أجل حماية المجتمع من المفاسد التي يقوم بها من يفتح في السفينة خرقاً كي تغوص ويغرق الجميع ويحل سخط الله على المجتمع، حيث لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر، قال ﷺ: «**والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم**»(١).



(١) رواه الترمذي برقم ٢١٦٩ وقال: هذا حديث حسن. نشر وزارة الشؤون الإسلامية.



القيادة وصفات القائد

ليس كل الناس يصلح أن يكون قائداً، بل إن القليل جداً هم من يصلح لذلك، ولنا في سيرة الرسول محمد ﷺ أسوة، فهو نعم القائد بكل صفاته التي حباه الله إياها الإدارية منها والفكرية والنفسية والأخلاقية والسلوكية قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]. ثم في سيرة خلفائه الراشدين وما يتمتعون به من صفات أهّلتهم لقيادة الأمة، وكذلك بعض السلاطين والأمراء وغيرهم ممن نالوا نصيباً من تلك الصفات التي ساعدتهم على القيام بدور القائد في أعمالهم.

إن صفات القيادة قل أن تتوافر في شخص من بين عدد كثير من الناس وقد أخبر النبي ﷺ عن ذلك بقوله: «**الناس كإبل مائة قل أن تجد فيها الراحلة**»[(١)].

وهذا مثال ضربه عليه الصلاة والسلام في ندرة من تتوافر فيه صفات القيادة لعمل من الأعمال.

ومن تجربتي في الحياة ومما تعلمته منها:

أنه ينبغي لمن لديه مسؤولية وعمل ويرغب تولية شخص أو أكثر مهام قيادية فعليه أن ينظر في المرء وفقاً للآتي:

---

(١) رواه عبد الله بن عمر. وأخرجه مسلم برقم ٢٥٤٧.

١ ـ أن يكون الإنسان ذا دين بحيث تكون مراقبة الله متوافرة لديه فذلك يساعده على أداء عمله جودة ووقتاً وإتقاناً.

٢ ـ أن يكون أميناً فالأمانة صفة مهمة فيمن يتولى الأعمال القيادية، بحيث يحافظ على ما هو من مسؤوليته بشراً أو مالاً، ويؤديه كما يجب دون مواربة أو اختلاس.

٣ ـ أن يكون قوي الشخصية من غير عنف، بل هي المهابة التي يقدره بها مرؤوسوه وتؤدي إلى إنجاز العمل وفق البرنامج المحدد دون تأخير أو تعطيل قال تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦].

٤ ـ أن يعمل مع مرؤوسيه بروح الفريق، وهذا له آثار ممتازة على نفوس زملائه، ومن ثم يزيد الإنتاج كماً ونوعاً، فجهد الواحد مهما كان مخلصاً ومتفانياً لن يبلغ شيئاً مقارنة بجهد الجماعة وإنتاجها.

٥ ـ أن يتمتع المرء بالثقة بنفسه التي تجعله يؤدي عمله باطمئنان، ويتمتع بثقة زملائه واعتمادهم عليه، وكذلك ثقة رؤسائه، على ألا يصل اعتزازه بالثقة في نفسه إلى الغرور والتعالي على مرؤوسيه.

٦ ـ أن يتمتع الشخص بالرغبة الصادقة في العمل وأن يكون محباً له وأن تكون متوجة بالطموح، كي يندفع إلى الإنتاج وتطوير العمل بما يحقق النجاح الذي يطمح إليه وينال ثقة رؤسائه ويرضى ربه، مما يؤهله إلى مسؤوليات أكبر وتقدير أكثر.



٧٤

التخطيط والتنظيم وأهميتهما في الحياة

إن الكون كله قائم على التنظيم، وفي منتهى الدقة، بحيث يقوم كل جزء منه بما حدد له دون خلل أو اضطراب.

إن الإنسان في هذه الحياة يحتاج إلى التنظيم في أموره وشؤونه كلها، كي يستطيع انجازها في وقتها وعلى أفضل ما يمكن دون تأخير أو قصور أو خلل.

وهو كذلك يحتاج إلى التخطيط المسبق سواء أكان فرداً أم جماعة أم أمة.

والتخطيط: هو عملية التوقع بالمستقبل الذي يقلل من المخاطر المتوقعة ويؤدي إلى زيادة كفاءة وفاعلية الأهداف، فلا بد من تحديد الهدف عند عملية التخطيط ومن ثم التفكير في كيفية تنفيذه ثم وضع الخطة وإقرارها ومن بعد ذلك تنفيذها حسب ما حدد لها ومتابعة ذلك التنفيذ أولاً بأول وتقييم الخطة.

ومن تجربتي في الحياة وما تعلمته أوصي بما يأتي:

١ ـ أن نستفيد من مبادئ وقواعد ديننا الحنيف، وهو الذي قام على التنظيم والنظام في الكون كله وفي العبادات والمعاملات وغيرها، وهو الذي أولى التخطيط عنايته لما يؤدي إليه من نتائج طيبة للفرد والمجتمع والأمة، ولنا في سيرة رسول الله ﷺ أسوة تخطيطاً وتنظيماً.

٢ ـ أن يكون المرء منظماً في بيته وعمله وفي شؤونه كلها، بما

يكفل له تنفيذ أموره دون عناء ومشقة أو قلق، وألا يكون المرء ارتجالياً في شؤونه لأن ذلك مضيعة للوقت والجهد والمال.

٣ ـ أن يعتمد الإنسان في حياته الخاصة وأعماله العلمية والتجارية أسلوب التخطيط كي يسمو في أعماله إلى الأفضل.

٤ ـ أن تعتمد الجهات العامة والخاصة أسلوب التنظيم ومنهج التخطيط في شؤونها، ولا سيما ذا الشأن الهام منها ليكون الإنتاج أفضل مع توفير الوقت والجهد والمال، وألا تكون العشوائية هي الأسلوب أو الطريقة المتبعة في المشاريع العامة والخاصة لما يترتب عليها من سلبيات ونتائج غير مرضية ولما تحدثه من تشتيت للجهود وضياعٍ للوقت والمال.



أهمية الدنيا للمسلم

الحياة الدنيا هي الحياة التي يعيشها الإنسان منذ خلقه الله في هذا الكون وحتى يرث الله الأرض ومن عليها، وإن الحياة الدنيا هي السجل الهام التي يكتسب المسلم فيها رصيداً من الحسنات التي تؤهله لدخول الجنة بإذن الله، وهي مزرعة يستطيع المرء فيها زراعة ما يرغب حصده في الآخرة، فعلى المسلم ألا يضيع فرصة يستطيع فيها اكتساب الحسنات وتكفير السيئات إلا اغتنمها، فالناس منازلهم في الآخرة على قدر رصيدهم من الحسنات وأعمال البر والخير، مما افترضه الله عليهم من الإيمان به وبرسوله والصلاة والزكاة والصيام والحج وما يكسبه الإنسان من أعمال النوافل والتطوع في كل شؤون الحياة.

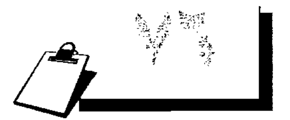
ومثل من يقوم بالفرائض ويجتهد بالنوافل من أعمال الخير كمن اختار بيتاً يسكنه فأحسن تصميمه وتنفيذه وتشطيبه وتجهيزه بكل ما يحب ثم انتقل إليه فهو يشعر بالسعادة والغبطة مع أن تمتعه في ذلك محدود فكيف بمن جهز سكنه بكل أنواع الطاعات والقربات ثم انتقل إلى بيت لا يفارقه، وفيه كل ما لذ وطاب، أو من لديه مزرعة يعتني بها ويغرس فيها من الأشجار والنخيل والخضار وغيرها مما لذ وطاب، فتراه فيها سعيداً يسره منظرها، إن ذلك يغبطه الناس مع أن مدة السعادة قليلة، فكيف بمن غرس مزرعته وداره في الآخرة بالطاعات والذكر وأعمال الخير، فالدنيا مزرعة الآخرة ثم انتقل إليها بعد ما أتم إعدادها وغرسها إنه سيجدها على أفضل حال، وسيحمد العاقبة وينسى تعبه الذي كان في الدنيا، فهل

يستوي عند الناس من جهز بيته أو مزرعته في الدنيا ومن قصر في ذلك؟ إنه لا يستوي من أحسن فيهما ومن أساء، فكذلك لا يستوي من بنى سكنه في الجنة وغرسها بالأعمال الصالحة والذكر وقراءة القرآن، ومن قصر في ذلك فلم يبن مطلقاً أو أنه بنى لكن لم يكتمل البناء وغرس فلم يتم الغرس.

إنه فرق شاسع بيِّن وغبن كبير بين من أحسن وأساء وكل منهم سيجني عاقبة عمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

وقد تعلمت وأيقنت أن الحياة الدنيا قصيرة مهما كانت مدتها، وأن عمر الإنسان جد قصير ينبغي لمن آمن بالله وعرف حقيقة الدنيا، وأنه سيفارقها في أي لحظة لا يدري متى يكون الفراق، فعليه أن يتمسك بدينه القويم وأن يغتنم الوقت في القيام بما أوجبه الله عليه وبما شرعه من سنن ونوافل. إن العاقل يرى تصرم الوقت سريعاً، فاليوم يمضي دون أن يشعر به الإنسان بل الأسبوع والشهر والسنة، حتى ينتهي العمر كأنه يوم أو بعض يوم. فهل ترغب أن يضيع عمرك سدى وأن يكتسب غيرك الحسنات ويرتفع في أعلى الدرجات وأنت قد فرطت في ذلك وخسرت ما لا يمكن تعويضه؟ ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ﴾ [التغابن: ٩] فغبن الكافر بتركه الإيمان وغبن المسلم بتقصيره في الإحسان، أعتقد أن ذلك لا يرضاه عاقل، فالحياة الدنيا كلها متاع ووقت قصير لا يساوي شيئاً بالنسبة للآخرة. نسأل الله تعالى الثبات على دينه حتى نلقاه وأن يوفقنا للأعمال التي تسعدنا في الدنيا والآخرة وأن يجعلنا في الفردوس الأعلى من الجنة مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً برحمته ومنه وكرمه إنه سميع مجيب.





الوقف وأهميته في دعم واستمرار أعمال الخير

الوقف: هو تحبيس الأصل وتسبيل المنفعة، بمعنى أن أصل الوقف من مبنىً وغيره يبقى ويصرف دخله وريعه على وجوه الصرف المحددة.

والوقف مستحب ومندوب إليه، وقد جاءت به السُّنَّة النبوية ومنها: ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له**»[١].

وقال جابر بن عبد الله: لم يكن أحد من أصحاب النبي ﷺ وهو ذو مقدرة إلا وقف.

وقال الترمذي: وقد وقف الخلفاء الراشدون وغيرهم من الصحابة واشتهر ذلك فلم ينكره أحد فكان إجماعاً[٢].

واستمر الوقف في عصر ازدهار الإسلام، وتنوعت مصارفه حتى كان يصرف على طلبة العلم والعلماء وعلى الجوانب الصحية حيث كانت تقام المشافي ويتم العلاج فيها من الأوقاف، وكذلك دور الضيافة التي تقام بين المدن على الطرق كانت تمول نفقاتها من الوقف، وشمل الإنفاق من الوقف نواحي الحياة المختلفة، مما أدى إلى ازدهار الحضارة الإسلامية وأصبحت مثالاً يحتذى به، وكانت الأوقاف الكثيرة في مدن

---

(١) أخرجه مسلم ٣/ ١٢٥٥.

(٢) المغني، لابن قدامة ٨/ ١٨٤.

المسلمين المهمة توقف على الحرمين بحيث أصبح المسلمون يتنافسون في ذلك.

ولما ضعف المسلمون عم الضعف جانب الأوقاف، فلم تكن تنشأ الأوقاف كما كانت، بل لم يتم الحفاظ على الأوقاف التي كانت موجودة، وضاعت بين ضعف الشعور بالمسؤولية والطمع في الاستيلاء عليها من بعض ذوي النفوس الضعيفة، وقد أحسنت المملكة العربية السعودية وبعض الدول الإسلامية صنعاً بتخصيص جهة معينة للحفاظ على الأوقاف واستثمارها، وأقامت المملكة وقف الملك عبد العزيز للإنفاق على الحرمين وذلك عمل خير كبير، وفقها الله وأثاب القائمين عليه، وحيث إن الحاجة إلى إقامة الأوقاف في الوقت الحاضر ملحة، وذلك للإنفاق على أعمال الخير وهي كثيرة ومتعددة ومنتشرة في العالم الإسلامي، فإن المؤمل من المسلمين أن يتعاونوا للقيام بذلك كل حسب طاقته.

وقد تعلمت من تجربتي جراء عملي في المجلس الأعلى للأوقاف مدة ست سنوات الشيء الكثير عن الأوقاف ولذلك أدعو إلى ما يأتي:

١ ـ المحافظة على الأوقاف الحالية وتطويرها واستثمارها بأحسن الطرق كي تحقق الهدف المنشود.

٢ ـ الاهتمام بإقامة الأوقاف لما لها من أهمية وفائدة في إقامة مصالح الناس ومنافعهم والإنفاق عليها، وأن تكون لها الأولوية لما تحققه من نتائج للفرد والمجتمع والأمة وبصفة دائمة.

٣ ـ إنشاء الأوقاف الكبيرة ذات الجدوى العالية وذلك عن طريق المساهمة فيها من المقتدرين ومحبي الخير اقتداء بصحابة رسول الله ﷺ.

٤ ـ أنه ينبغي على كل فرد لا يستطيع إقامة وقف مستقل أن يساهم في هذه الأوقاف كل حسب طاقته ولو بريال واحد، فإن ذلك يحقق مبدأ

التكافل وشعور كل فرد من الأمة بأنه يشارك في بناء مستقبل أمته.

٥ ـ التوعية عبر وسائل الإعلام المتعددة من مرئي ومسموع ومقروء بأهمية الوقف والمشاركة في إقامته كي يعم الخير ويشمل التكافل أبناء الأمة كما كان ذلك سابقاً، وتتبوأ الأمة مكانتها اللائقة بها، وتعيد بناء أمجادها بيد ومقدرات أبنائها.

٦ ـ أن يبين للناس ما تقوم به بعض الدول غير الإسلامية والأفراد من إقامة الأوقاف بالمبالغ الطائلة وذلك بالمليارات من الريالات، مع أنّا أولى منهم بذلك لأننا بقيامنا بذلك نحقق الحسنيين المنفعة في الدنيا والثواب في الآخرة.

٧ ـ أن الوفرة المالية قد تكون متوافرة في وقت، ولا تكون موجودة في وقت آخر، ووجود الأوقاف يسدُ الثغرات المالية التي يمكن أن توجد، وبه تستمر الأعمال المفيدة للمجتمع في كل وقت وتحت كل ظرف.





الإرهاب الممنوع والمشروع

يقال في اللغة: أرهب فلاناً إرهاباً: خوّفه وفزّعه.

أما في الاصطلاح: فإنه لم يتم تعريف الإرهاب المقصود والذى يتحدث عنه في الوقت المعاصر بتعريف جامع مانع يشمل المفردات المراد تعريفها، وإنما هو مصطلح عام وعائم يدخل تحته كل عمل يتم به التخويف والرعب والفزع، سواء أكان مشروعاً كحركات التحرير ضد المعتدي الغاصب كما في فلسطين مع اليهود أم غير مشروع كإخافة الناس الآمنين وإفزاعهم بالقتل والتدمير.

إن الحاجة إلى تعريف الإرهاب بصفة واضحة ودقيقة وتجريم من ينطبق عليه التعريف ملحة ومهمة.

ولكن يرى المطلع والباحث أن عدم الاتفاق على تعريف محدد للإرهاب إنما هو رغبة غربية؛ لأنها تريد أن تحصره بمن يعاديها أو يناهض إسرائيل، وهي تريد أن تحصر الأعمال الإرهابية بتلك التي يقوم بها أفراد دون الحكومات لتستبعد ذاتها وتستثني الأعمال الإرهابية التي تقوم بها إسرائيل.

إن مفهوم الإرهاب يعتبر نموذجاً للتلاعب بالمفاهيم، فهو لا ينطبق عندهم على الدول، ولكن في الوقت نفسه تريد أن تصم بعض الدول بالإرهاب، فاحتالت على هذا المأزق وقسمت الإرهابيين بين ممارسين وداعمين ومتعاطفين، فهذه منظمة إرهابية، وتلك مؤسسة تمول الإرهاب أو

تتعاطف معه، وهذه الدولة راعية للإرهاب والأخرى تؤوي الإرهابيين، وهذا يعني استبعاد أي معيار يمكن التحاكم إليه، ومع انعدام المعيار والقانون تصبح الأهواء والرغبات هي التي تتحكم بالوضع الدولي[١].

ومن ذلك تعلمت ما يأتي:

١ ـ دراسة إطلاق مصطلح الإرهاب أو غيره على الأعمال الإجرامية التي توجه إلى الآمنين من المواطنين وغيرهم وممتلكاتهم وتخريبها وتدميرها.

٢ ـ أنه لا بد من تعريف واضح ومحدد للإرهاب المراد تعريفه بحيث يكون جامعاً مانعاً شاملاً لأفراد المعرف، ويخرج ما عداه من إرهاب مشروع كما في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

قال الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي في تفسيره لهذه الآية: والعلة إرهاب الأعداء والحكم يدور مع علته.

٣ ـ أنه بتعريف الإرهاب الممنوع والمحرم الذي يجرم صاحبه يخرج منه من يدافع عن دينه ونفسه وبلده وماله كما جاء في الحديث النبوي «**من قتل دون ماله فهو شهيد**»[٢] وجاء في حديث سعيد بن زيد «**من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد**»[٣] كما في حركات التحرير

(١) خطاب إلى الغرب رؤية من السعودية، مجموعة من العلماء والمثقفين ص٤٣.

(٢) أخرجه البخاري عن عبد الله بن عمرو العاص برقم ٢٤٨٠.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده وأبو داود والنسائي والترمذي برقم ١٤٢١ وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن حبان في صحيحه. وقال السيوطي: حديث حسن، الجامع الصغير للسيوطي ٢/ ٦٣١ ورقمه ٨٩١٧.

في العالم ومنها الشعب الفلسطيني في دفاعه عن حقوقه أمام المعتدين الغاصبين، جاء عن مجمع الفقه الإسلامي بجدة المنعقد في ذي القعدة ١٤٢٣هـ: الجهاد والاستشهاد لنشر العقيدة الإسلامية والدفاع عنها وعن حرمة الأوطان ليس إرهاباً، إذ الإرهاب هو العدوان ونحوه على الإنسان في دينه أو نفسه أو عرضه أو عقله أو ماله بغير حق.

٣ ـ دراسة أسباب ظاهرة الإرهاب ومعالجتها بما يسد باب الذرائع الموصلة للإرهاب ووأدها في مهدها قبل أن تستفحل.

٤ ـ التوعية عن طريق وسائل الإعلام المتعددة بخطورة الإرهاب الموجه إلى الآمنين وممتلكاتهم وأنه لا يخدم أهداف الإسلام بل يحقق غايات أعداء الأمة.

٥ ـ من الأسباب المؤدية إلى الإرهاب القضايا الدولية المعلقة والشعور بالظلم من المضطهدين والمقهورين كالشعب الفلسطيني وغيره من الشعوب المستعمرة المستبعدة، ومنها وجود البطالة بين الشباب، وهم إن لم يشغلوا بما ينفعهم شغلوا الناس بما يضرهم.

٦ ـ ومما يغذي الإرهاب الممنوع قيام بعض الأفراد عبر وسائل الإعلام بالنيل من المبادئ الشرعية والدوائر الشرعية، بحيث يفهم من ذلك الدعوة إلى مخالفتها والاستغناء عن الإدارات الشرعية أو الحد من صلاحيتها بما يخدم المجتمع والأمة.

٧ ـ محاكمة من يقوم بالأعمال الإرهابية من قتل وتفجير وتدمير الموجهة إلى الآمنين من المواطنين وتطبيق ما يصدر بحقهم من أحكام، كما قضي بذلك قرار هيئة كبار العلماء.

٨ ـ الأعمال التي تقوم بها دولة الصهاينة في فلسطين هي قمة الإرهاب الممنوع؛ لأنه إرهاب منظم يصدر من دولة معتدية قامت على الظلم والعدوان، ولا تتورع من ترهيب الآمنين أو من يساندهم بدفع

الظلم عنهم سواء أكانوا أفراداً أم حكومات، فعلى الدول الداعمة لها التي تدعي الحرية والعدالة وحقوق الإنسان أن تكف عن دعم الظالم عسكرياً واقتصادياً وسياسياً وتقديم كافة أوجه الدعم له، وإلا عاد ذلك عليها وبالاً من الله العلي القادر الذي إذا أخذ الظالم أخذه أخذ عزيز مقتدر، وانقلب عليها مقتاً وذماً من الناس والشعوب التي بدأت تعرف حقيقة اليهود المعتدين ومن يقف معهم ضد المستضعفين من الفلسطينيين وغيرهم.



٧٨

ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه

البخل مذموم، فكيف إذا كان بخلاً على الإنسان نفسه صاحب المال، وأعجب من ذلك من يبخل عن نفسه بحرمانها الأجر فيما ينفقه من مالٍ على مستحقيه أو في سبيل الله أو على أبواب الخير المختلفة قال تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ﴾ [محمد: ٣٨].

ومن هؤلاء الذين يبخلون من آتاهم الله مالاً كثيراً وأمسكوه عن وجوه الإنفاق، فترى بعضاً منهم يشتغلون بالعبادات البدنية التي لا يحتاج فيها إلى نفقه كصيام النهار وقيام الليل وختم القرآن وغيرها، قال الغزالي[1]: هم مغرورون لأن البخل المهلك قد استولى على بواطنهم، فهو يحتاج إلى قمعه بإخراج المال، وهو قد اشتغل بطلب فضائل هو مستغن عنها، قيل لبِشْر: إن فلاناً الغني كثير الصوم والصلاة، فقال: المسكين ترك حاله ودخل في حال غيره، وإنما حال هذا إطعام الطعام للجياع والإنفاق على المساكين فهذا أفضل له من تجويعه نفسه ومن صلاته لنفسه مع جمعه للدنيا ومنعه للفقراء. ولا يفهم من ذلك أن يطلب من الإنسان أن يقوم بإنفاق المال في وجهه مع ترك الصيام والصلاة النافلة بل إن الأفضل له القيام بهما معاً، لكن إنفاق المال في وجهه أفضل له من صيام وقيام النافلة؛ لأن نفعه متعدٍ ونفع الصلاة والصوم

(١) إحياء علوم الدين، للغزالي ٣/٣٩٧.

النافلة مقتصر عليه، فهو كمن يقوم بالمفضول مع ترك الفاضل.

وقد تعلمت من ذلك:

١ ـ بلاغة التعبير القرآني عن البخل بما ينفر منه ويحث على الجود والبذل.

٢ ـ أن أعظم البخل أن يبخل الإنسان عن نفسه، وذلك بمنع الإنفاق الذي يكتسب به الأجر والحسنات، إذ كيف حرم نفسه شيئاً كان يمكن أن يفعله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٣ ـ أن الأفضل للإنسان أن يفعل الطاعات كلها ما استطاع، فذاك أعظم أجراً وأكثر ثواباً، وأنه لا يترك الفاضل ويذهب إلى المفضول ولا سيما ما يتعدى نفعه ويعظم خيره.

٤ ـ لا يليق بالمسلم أن يحرص على دنياه وهي قصيرة كيفما كانت مدتها، ولا يهتم الاهتمام نفسه لآخرته، على حين أنه كان الأولى له الاهتمام بما يبقى أكثر مما يفنى.

٥ ـ أنه كلما زاد الإيمان بالله وبقدره هانت الدنيا على المسلم وسهل عليه البذل والإنفاق، رغبة فيما أعده الله للمنفقين ابتغاء وجهه الكريم.

٦ ـ أنك ترى بعضاً من غير المسلمين يبذلون أموالاً طائلة لأعمال يرون أنها خيرية وكان الأولى بالمسلمين أن يسبقوهم إلى البذل وأن يكونوا قدوة لغيرهم في البذل والعطاء؛ لأن المسلمين يرجون ما لا يرجوه غيرهم من منافع دنيوية وأجور أخروية.



٧٩

الجمعيات الخيرية ودور المسلم فيها

الإسلام دين يدعو إلى التكافل بين أفراد المجتمع، وقد بلغت وفرة الخيرات لدى الناس في وقت قوة المسلمين ما زاد عن كفايتهم، بحيث كانوا يدورون بالزكاة والصدقة ولا يجدون من يقبلها كما حدث ذلك في عهد عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ.

وذلك ناتج من عدة أسباب:

١ ـ أداء أصحاب الأموال الحقوق الواجبة عليهم.

٢ ـ تعفف الناس عن أخذ ما لا يستحقونه من زكاة أو صدقة.

٣ ـ وفرة المال في بيت المال نتيجة التقيد والعمل بمبادئ الإسلام السامية، وإعطاء كل ذي حق حقه، لقد كثر الناس في الوقت الحاضر وانتشر الفقر على الرغم من وفرة المال والغذاء، فقامت شعوب بعض الدول بإنشاء الجمعيات الخيرية التي تعني بالإنسان في غذائه وكسائه وفي صحته، بل وفي إقامة المرافق التعليمية والصحية، وبلغت تلك الجمعيات أعداداً كبيرة جداً، وجمعت لذلك الأموال الطائلة التي تصل إلى أكثر من ثلاثمائة مليار دولار كل عام، تنفق منها على أعمال إنسانية لكثير منها أهداف تنصيرية لمن تقدم لهم تلك الأطعمة أو الخدمات كما في أفريقيا وآسيا وغيرها.

وقد تعلمت من مطالعاتي الكتابية والواقعية ما يأتي:

١ ـ إن الأولى بالمسلمين أن يكونوا سباقين لإقامة وإنشاء

الجمعيات الخيرية في داخل بلادهم وخارجها تحقيقاً لمبدأ التكافل في الإسلام.

٢ ـ أن الجمعيات الخيرية التي أنشئت في بعض البلاد الإسلامية وخاصة الخليجية منها على الرغم من محدوديتها وقلة إيراداتها مقارنة بما تقدمه بعض الدول والشعوب قد أدت شيئاً مهماً فيما يجب على المسلمين تجاه بني دينهم بل وغيرهم من بني الإنسان.

٣ ـ أن المشاركة في الجمعيات الخيرية متعددة فقد تكون مالاً وقد تكون عيناً من عقار أو منقول وقد تكون جهداً لصاحب مهنة كالطبيب والمهندس والشرعي والإداري والعامل وغيرهم، فتلك الجهود مهمة ولا تقدر بثمن وتساعد على نشر العمل الخيري وإقامة التكافل المطلوب بين المسلمين.

٤ ـ أنه يمكن تقديم الأشياء العينية لمن يحتاجها كما يمكن تقديم المشورة والعلاج لمن يطلبه، وكذلك يمكن القيام بالتدريب للفقراء على الأعمال المهنية التي تعينهم على كسب العيش بعزة وكرامة، ولو عمل ذلك لتحققت النتائج التي يطمح إليها كل محب لوطنه وأمته.

٥ ـ اقترح أن تقام في كل حي جمعية خيرية متعددة الأغراض اجتماعية وصحية وثقافية وغيرها، وأن يتعاون سكان الحي جميعاً كل حسب اختصاصه وما يستطيع تقديمه ولو بالمشورة والمشاركة بالعمل ولو لعدة ساعات أسبوعياً.

٦ ـ نشر الوعي بين الناس عن طريق وسائل الإعلام المتعددة بأهمية العمل الخيري التطوعي وأن بعض الناس يكمل بعضاً في مشوار هذه الحياة.

٧ ـ أنه لو قدر أن كل شخص مسلم يدفع ريالاً واحداً في الشهر، أو ما يعادلها لأصبح لدينا مليار ونصف المليار ريال شهرياً، وثمانية

عشر مليار ريالاً في السنة، وذلك مبلغ جيد يسد أكثر الحاجات المطلوبة، ونعلم أنه ليس كل مسلم يستطيع الدفع ولكن بعض المسلمين يستطيع دفع أكثر من ذلك عشرة أو مائة أو ألف ريال أو أكثر.



الاهتمام باللغة العربية في كل جوانب الحياة ومنها تدريس العلوم التجريبية بها

اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم، ولغة الرسول العظيم، وهي لغة أهل الجنة، وقد تكفل الله بحفظها فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩].

وحفظ القرآن الكريم يقتضي حفظ لغته وهي العربية، وقد حاول كثير من المستشرقين النيل من اللغة العربية كما حاول الاستعمار استبعادها من التعليم والإعلام بل ومن الحياة العامة فباءت جهودهم بالفشل لأن الله تولى حفظها.

إن اللغة العربية لغة واسعة شاملة ودقيقة، كل كلمة تدل على معناها، وزيادة حرف أو نقصه يؤثر في المعنى، ويقول علماء اللغة: زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، كما أن اللغة العربية تمتاز بوجود التشكيل فيها من ضمةٍ وكسرةٍ وفتحةٍ وغيرها، فتجد الكلمة هي بحروفها لكن مع وجود التشكيل يختلف المعنى من حال إلى حال، ومن مميزاتها أنك تستطيع قراءة وفهم جميع ما كتب فيها من الجاهلية مروراً بالإسلام إلى يومنا هذا، أما أكثر اللغات فإن الجيل الحاضر لا يستطيع قراءة ما كتب قديماً فضلاً عن فهم شيء منه، واللغة العربية من اللغات الحية المتجددة فيمكن بها شمول كل نواحي الحياة بألفاظها وبيانها.

ولقد كانت اللغة العربية هي اللغة الأولى المهيمنة على اللغات

الأخرى في العالم إبان قوة المسلمين وانتشار الإسلام، ولكن مع ضعف المسلمين دب الضعف إلى استعمال اللغة من الشعوب الأخرى بل ومن الشعوب الإسلامية، ولكن نرى الاهتمام الآن يتزايد عاماً إثر عام باللغة العربية، إن لغة الشعب جزء من هويته الوطنية ويجب عليه أن يتمسك بها ويدافع عنها ومن العجيب أنك ترى بعض الشعوب مثل فرنسا وألمانيا وغيرها يهتمون بلغتهم ويحافظون عليها، فلو سألت هناك بلغة غير لغتهم لتجاهلوك حتى ولو كانوا يعرفون اللغة التي تتحدث بها، وذلك اعتزاز منهم بلغتهم التي يعتبرونها جزءاً من هويتهم الوطنية، على حين أنك ترى مع الأسف بعض أبناء العروبة يتكلم مع عربي مثله ويدخل ألفاظاً من اللغة الإنجليزية فيها وكأن اللغة العربية لا يمكن تأدية المعنى المطلوب بها كاملاً، وهو يعتقد بذلك أنه فاهم ومدرك لما لا يدرك غيره، إن ذلك انهزام في الشخصية وتقليد للأجنبي له مردود سيئ على الشخص نفسه وعلى وطنه وأمته.

وقد تعلمت مما قرأت ورأيت ما يأتي:

١ ـ الاعتزاز باللغة العربية والتمسك بها، فذلك جزء من الهوية وهي السبيل لفهم القرآن والسُّنَّة وهما دستور الإسلام.

٢ ـ أنه لن تنهض أمة إلا بالتمسك بلغتها والمحافظة عليها، والأمثلة واضحة وجلية فمثلاً فرنسا وألمانيا واليابان وكوريا واليهود في فلسطين المحتلة وغيرها تتمسك بلغتها وتعتز بها وتستخدمها في كل شؤونها، وقد نهضت تلك الدول وأصبحت ذات قيمة في العالم، وتخلف العالم العربي، ولعل من أسباب تخلفه ابتعاده عن لغته العربية وعدم التمسك بها في التعليم وكافة أوجه التعامل كيف لا وهي جزء من شخصيته وكيانه.

٣ ـ الاهتمام بتدريس العلوم التجريبية من طب وهندسة وغيرها

باللغة العربية فقد كانت الأمة تدرس تلك العلوم باللغة العربية فكانت لها الريادة والسبق في مختلف العلوم والميادين.

٤ ـ أن يكون التعامل في الحياة العامة مع البنوك والشركات وغيرها باللغة العربية إذ لا عيب في ذلك ولا نقص بل العيب إبعاد اللغة العربية عن حياة الناس وهي جزء من كيانهم.

٥ ـ أنه وحسب الدراسات التي أعدت في هذا الجانب، فإن الاستيعاب ومن ثم الإبداع في العلوم والتقنية يعتمد على لغة الشخص الأم فهي التي ولد فيها وتمكنت من فكره ورسخت في ذهنه وأصبحت جزءاً منه بها يستطيع التفكير والانطلاق إلى آفاق الإبداع فلا يمكن لأمة أن تتطور وهي تعتمد على غيرها وفي أهم خصائصها وهي اللغة.

٦ ـ تنبيه بعض الأفراد الذين يخلطون في كلامهم العربي بمفردات من اللغة الإنجليزية أو غيرها بأن ذلك غير مناسب، وأنه لا يدل على ثقافة وتطور من يفعله، بل إنه يدل على شخصية منهزمة لا تعتد بنفسها وبهويتها.

٧ ـ أن نتكلم مع غير الناطقين بالعربية عندنا من أطباء ومهندسين وعمال باللغة العربية الفصيحة، وبالعبارات والأساليب السهلة الميسرة غير المتخصصة، وأن نبتعد عن تكسير الكلام معهم ظناً أن ذلك يفهمهم، على حين أنهم يفهمون وفقاً لما تعودوا عليه في محادثاتهم.

٨ ـ أن الاعتماد على اللغة العربية في تعليمنا وكل أمورنا يتطلب إنشاء مراكز متخصصة للترجمة من اللغات الأخرى إلى العربية والعكس لإثراء الجوانب العلمية التجريبية وغيرها مما تحتاجه الأمة في نهضتها، وتتعدد تلك المراكز حسب تخصصها، وأن يتم دعمها مادياً وعملياً كي تؤدي دورها مثلما أدته أعمال الترجمة في عهد الدولة الإسلامية كما في زمن المأمون وغيره.

٩ ـ وقد أحسنت هيئة الأمم المتحدة صنعاً حينما حددت يوم ١٨ ديسمبر من كل عام موعداً للاحتفال باللغة العربية وأهميتها. فلعل ذلك يكون دافعاً لمن يعنيهم الأمر بالاهتمام بها وجعلها أساساً في تعاملهم في كل شؤون الحياة.



الوطن وأهميته للإنسان

خلق الله الإنسان في بيئة وبقعة معينة، وقد تربى فيها ودرج على أرضها ووهادها وسهولها وجبالها، وعرف كيفية التعامل معها برداً أو حراً وامتزج فيها بقلبه ودمه.

وقد كان النبي ﷺ يحب مكة حباً عظيماً، وقال في هجرته: «**والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولولا أني أخرجت منك ما خرجت**»[١] وهو قد خرج إلى المدينة المنورة وهي أفضل البقاع بعد مكة المكرمة، إن الأرض كلها لله وإن المسلم يحب كل أرض يقام فيها شرع الله، لكن الإنسان قد جبل على حب ما عاش فيه وما يعرفه ويتعامل معه من الأماكن والأشخاص.

إذاً حب الوطن الذي ولد الإنسان فيه ونشأ وترعرع فيه وتنعم بخيراته أو عانى من بؤسه فطرة لا تخالف الشرع، بل هي من الوفاء وأصالة معدن الإنسان، وليس معنى حب المرء للوطن أن يكره غيره كلا، وإنما هو حب يتميز على غيره، ويقول العرب علامة وفاء الرجل حنينه إلى وطنه، وقال الشاعر:

وحبب أوطان الرجال إليهم مآرب قضاها الشباب هنالك

وقد تعلمت من الحياة ما يأتي:

---

(١) أخرجه الترمذي ١٣/ ٢٨٠ عارضة الأحوذي، وابن ماجه ٢/ ١٠٣٧.

١ ـ أن حب الوطن دلالة على وفاء الإنسان حيث عاش وقضى حياته فيه، ومقابلاً لما قدم له وطنه من إمكانات.

٢ ـ أن حب الوطن يتفق وما جاء به الشرع من الحث على الوفاء وليس فيه ما يخالف الأحكام الإسلامية.

٣ ـ أن وطننا ليس كأي وطن بل هو منبع الإسلام، وموئل الرسالة، وفيه مكة المكرمة قبلة المسلمين والمشاعر المقدسة، وفيه المدينة المنورة عاصمة الإسلام الأولى ومهاجر رسول الله ﷺ، ولذلك فعلينا المزيد من حبه والمحافظة عليه والدفاع عنه بكل ما نملك.

٤ ـ أنك تجد بعض الناس المهاجرين إلى بعض البلاد وليسوا من أهلها الأصليين ومع ذلك يعتزون بها ويحافظون عليها مثل أمريكا واستراليا وغيرها، ونحن أولى منهم بحب وطننا والاعتزاز به والمحافظة عليه، وفي ذلك نتمثل قول الشاعر:

ولي وطن آليت ألا أبيعه   وألا أرى غيري له الدهر مالكا

٥ ـ مما يدل على أهمية الوطن ما جاء في الثناء على المرابطين في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس وتحملهم ظلم المعتدين من اليهود الذي نهبوا أرضهم وقتلوا الفلسطينيين وشردوهم ودمروا مساكنهم، إذ لو لم يكن كذلك لكان لهم أن يتخلوا عنها لليهود، وهذا غير جائز فدل على أن التمسك بالوطن والمحافظة عليه مما يعتني به الإسلام.





تمتع بصحة جيدة ونشاط مدة عمرك

صحة الإنسان وشفاؤه من الأمراض نعمة من نعم الله العظيمة، جاء في الحديث «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ**»(١).

فبالصحة يستطيع الإنسان أداء شعائره وعباداته، ويستطيع القيام بأعماله الخاصة والعامة، أما الفراغ فإنه يدل على أن الإنسان قد أغناه الله وكفاه مؤنته، بحيث يتوافر لديه وقت فراغ، وعلى من توافر له ذلك أن يستثمره في طاعة الله قال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧﴾ [الشرح: ٧].

والصحة كما يقولون: تاج على رؤوس الأصحاء لا يراه إلا المرضى.

يستطيع الإنسان بحول الله أن يحافظ على صحته وحيويته ونشاطه، وذلك بأن يسير في غذائه وشرابه وفقاً لما أثر عن رسول الله ﷺ في طعامه صباحاً ومساء، وهي طريقة أثبتت الدراسات أنها شاملة لجميع العناصر الغذائية على الرغم من بساطتها وقلتها، ومنها: التمر والعسل والخل وزيت الزيتون والحليب وغيرها، وهي ميسرة يستطيع أكثر الناس الحصول عليها، وهذه أفضل طريقة لا يقدر عليها إلا أولو العزم من البشر، فإن لم يستطع فعليه إتباع الأتي:

---

(١) رواه ابن عباس أخرجه البخاري برقم ٦٤١٢.

١ ـ ألا يكثر من الطعام بل يجعل ثلثاً لطعامه وثلثاً لشرابه وثلثاً لنفسه.

٢ ـ أن يتجنب الأكلات السريعة والمشروبات الغازية، فكلها ثبت ضررها صحياً، ومع ذلك فإنك تجد بعض الناس وخاصة الشباب يكثرون منها، غير عابئين بأضرارها التي ستعود عليهم مستقبلاً، وعلى المرء أن يتجنب الشراب والأكل المحرم ففيها الضرر على الجسم والعقل.

٣ ـ أن يقلل من الدهنيات التي توجد في اللحوم وغيرها، وأن يكون تناوله للحوم الحمراء مرة واحدة في الأسبوع، قال ابن مفلح[1]: وأما إدمان اللحم فليس هو بطريقة لرسول الله ﷺ ولا أصحابه ﷺ هذا معلوم من حالهم ولهذا قال أحمد: أكره إدمان اللحم. وهذا يدل على أن إدمان اللحم مذموم وضار بالصحة وهو المؤكد عليه من الأطباء في هذا العصر.

٤ ـ أن يقلل من النشويات كالأرز والخبز الأبيض، وأن يأكل عوضاً عنه الخبز الأسمر (البر).

٥ ـ أن يقلل من السكر في الشاي والملح في الطعام ما أمكن، فهما كما قيل: السمان الأبيضان.

٦ ـ أن يكثر من الفواكه والخضروات وأن تكون قبل الوجبة بساعة أو بعدها بساعتين وقبل الطعام أولى قال ابن الجوزي: ومن آداب إحضار الطعام تعجيله وتقديم الفاكهة قبل غيرها لأنه أصلح في باب الطب. وقد قال تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢١﴾ [الواقعة: ٢٠، ٢١].

٧ ـ أن لا يأكل عشاء ثقيلاً كاللحوم ونحوها، بل يقتصر على الفواكه والخضار وما خف أكله.

(١) ابن مفلح في الآداب الشرعية ٢/ ٤٥٠.

٨ ـ أن يزاول الرياضة كالمشي والسباحة، وذلك لمدة نصف ساعة يومياً قال ابن مفلح[١]: قال الأطباء: وكل عضو يقوى بالرياضة.

٩ ـ ألا يدخل المرء طعاماً في بطنه قبل هضم ما سبقه، بحيث يكون بين الوجبتين أربع ساعات على الأقل. سئل الحارث بن كلدة طبيب العرب: ما الدواء الذي لا داء فيه قال: هو ألا تدخل بطنك طعاماً وفيه طعام. وقال في عيون الأخبار[٢]: قيل لرجل: ما أسمنك؟قال: قلة الفكرة وطول الدعة، والنوم على الكظة؛ أي: أنه يأكل وباله مطمئن ويطيل الراحة ولا يزاول الرياضة وينام شبعاناً متخماً.

١٠ ـ أن ينام مبكراً بحيث لا يتجاوز الساعة الحادية عشر ليلاً قدر الإمكان، وأن يستيقظ مبكراً، إن الإنسان في محافظته على ذلك يمكنه أن يحيا بعون الله حياة آمنة مستقرة ينعم فيها بالصحة والحيوية والنشاط، فكما قيل: المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء ويكون ذلك معيناً له على طاعاته وأعماله الدنيوية، وقد حاولت أن التزم بذلك فوجدت الراحة والطمأنينة. اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا أبداً ما أحييتنا واجعلها اللهم الوارث منا.



(١) ابن مفلح الآداب الشرعية ٢/ ٤٠٨.
(٢) عيون الأخبار، لابن قتيبة ٣/ ٢٢٤.

٨٩

إغلاق باب من الحلال يفتح باباً أو أبواباً من الحرام

لقد جاءت شريعة الإسلام باليسر والسماحة ومراعاة حاجات الناس، وقد بينت الحلال والحرام ووضعت المبادئ والقواعد فيما يستجد ويحدث من القضايا والنوازل، كي تطبق عليها فيحكم على ضوئها بحلِّها أو حرمتها.

إنك ترى بعضاً من الناس هداهم الله يضيّق في بعض الأمور التي اختلف فيها الفقهاء من الأمور الفرعية ويفتي بمنعها، مع أن المسألة اجتهادية وقد أجازها بعض من الفقهاء المعتبرين، وهو بذلك يأخذ جانب الحيطة، وما علم أن الأولى في مثل ذلك أن يأخذ بالأيسر فما خير النبي ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، كما أن تحريم الحلال كتحليل الحرام، بل هو أشد، ذلك أن التضييق على الناس قد يدفعهم إلى اقتراف المحرمات دون رادع، قال ﷺ: «**محرم الحلال كمستحل الحرام**»[1].

ويقابل أولئك بعض من الأفراد ممن ليسوا من أهل الاختصاص بالعلوم الشرعية، ومع ذلك إذا صدرت فتوى تجيز أمراً ما وهي لا تروق لهم تكلموا في ذلك وعارضوه بناء على الرأي فقط وهذا خطأ كبير، إذ ليس من حق غير المختص في الأمور الشرعية أن يفتي أو يعارض على شيء من الأحكام الشرعية جوازاً أو منعاً، كما أنه ليس لغير الطبيب

---

(١) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر ٦٦/٢، دار الكتب العلمية، بيروت.

والمهندس وغيرهما أن يتكلم أو يصدر حكماً في غير اختصاصه، إن المتتبع لواقع الناس في مجالسهم أو في بعض الصحف أو المواقع الإلكترونية يجد تدخلاً من البعض فيما ليس من اختصاصه بل لهوى في نفسه ورأي، وليس الدين بالرأي المجرد أو المبنى على الهوى وإنما هو الفتوى أو الحكم المبنى على العلم بالأدلة الشرعية من الكتاب والسُّنَّة وما استند إليها.

ومن أمثلة ذلك بعض الزيجات التي حصلت أو تحصل في هذا العصر وقد اكتملت أركانها وشروطها الشرعية بصرف النظر عن أسمائها التي أطلقها بعض الناس كالمسيار والمسفار وغيرها تنفيراً منها.

وقد صدرت قرارات وأحكام شرعية من كبار علماء العالم الإسلامي بجواز ما توافرت فيه الأركان والشروط والواجبات من أنواع الزواج، فقد صدر قرار مجمع الفقه الإسلامي بجدة بجواز ما يسمى زواج المسيار لاكتمال أركانه وشروطه وواجباته ورضا كل من الزوجين في تنازله عن بعض حقوقه، وليست العبرة بالاسم وإنما بالمسمى وحقيقته، ومع ذلك تجد من يعترض على ذلك ممن ليس من أهل العلم الشرعي، وذلك لا يجوز له بل هو حمّل نفسه مسؤولية سيسأل عنها.

إن القواعد والأسس للزواج المذكور شرعية، وفيه حفظ حق النسب، أما التطبيق فمسؤولية الزوجين، وتنازل أحدهما أو كلاهما عن بعض حقوقه لا مانع منه شرعاً، وإخلال أحدهما بما التزم به لا يعني عدم الجواز، وإنما يحق للآخر المطالبة بحقه، فالتشريع أمر والتطبيق أمر آخر، ولو نظر في الحكم إلى اختلاف التطبيق عما حكم فيه حلاً أو حرمه لمنعت أو أجيزت أمور كثيرة غير شرعية بل مبناها على الرأي والهوى.

وما علم أولئك الذين يعترضون عليه أن إغلاق باب من الحلال

يفتح باباً من الحرام بل أكثر من ذلك؛ لأن الإنسان بشر فإذا لم يجد طريقاً شرعياً قد يسلك غيره إذا ضعف إيمانه وقويت شهوته، والحكم الشرعي بالجواز إنما هو من باب الإباحة، فمن شاء أخذ به إذا كانت لديه أسباب تدفعه للأخذ به، سواء أكانت اجتماعية أم مالية أم غيرها، ومن شاء تركه فلم يأخذ به إذا كان لا يحتاجه أو كان يستطيع الزواج بكامل حقوقه وواجباته، فهو كالعلاج بالدواء يأخذه من يحتاجه ويتركه من لا حاجة له فيه.

وفق الله الجميع للفقه في دينه والامتثال لأمره.





ذم الرجل نفسه علانية مدح لها في الباطن

ترى بعض الناس يحبون المدح، ويتفننون في إثارة الأسباب التي تجعلهم يُمدحون، وحب المدح والثناء ينطلق من شعور النفس بالكمال، فإذا مدحه شخص ارتاحت نفسه وتلذذت بالمدح، والشكر للمادح كي يزيد في مدحه، ثم تجده يغضب من الذم ويحقد على من يذكر عيوبه، وتجده يجعل معيار الأخوة والصداقة عنده المدح، فمن مدحه صادقه ومن بيَّن له عيبه أبغضه وعاداه.

قال الفضيل بن عياض[1]: ما من أحد أحب الرياسة إلا حسد وبغى وتتبع عيوب الناس وكره أن يذكر أحد بخير. فهو بتتبعه عيوب غيره يريد أن يبين أنه الكامل وأن الناس لهم عيوب وهو يكره أن يذكر أحد بخير فلا يرغب أن يُمدَح أحد بل يرغب أن يكون المدح له دون غيره، وتجد بعضهم يذم نفسه في أمر ما علانية وقد يكون ذلك مما لا يذم مثله في غيره، ولكنه يقصد مدح نفسه وتزكيتها، بحيث يفهم غيره أن ما ذكره هو عيبه فقط أما ما عداه فكلها تستحق المدح والثناء.

قال الحسن: ذم الرجل نفسه في العلانية مدح لها في السر، ويقال: من أظهر عيب نفسه فقد زكاها[2].

فذلك الرجل يتظاهر بالذم وهو يقصد المدح وتزكية النفس، وتجد

---

(١) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر ١/ ٢٤٣.

(٢) الآداب الشرعية، لابن مفلح ٣/ ٤٧٢.

من ينطبق عليه ذلك في شغل شاغل بطلب مزيد من المدح والثناء، حتى لو أدى الأمر إلى خسارة إخوانه ممن لم يمدحوه أو أنهم يبينون عيوبه له خاصة كي يسددوه ولا حول ولا قوة إلا بالله

وقد تعلمت من ذلك ما يأتي:

١ ـ أن يأخذ الإنسان نفسه بعدم الرغبة في المدح؛ لأن الممدوح إذا كان المدح فيه صادقاً فإن ما ذكره نعمة توجب الشكر لله حيث وفقه إليها، ومن شكرها التواضع فبه يريح نفسه ويكسب الأجر.

وإذا كان الإنسان مسؤولاً فإنه يتوجب في حقه ألا يفهم عنه أنه يحب المدح، قال ابن المقفع: إياك إذا كنت والياً أن يكون من شأنك حب المدح والتزكية وأن يعرف الناس عنك ذلك فتكون ثلمة من الثلم يقتحمون عليك منها وباباً يفتحونك منه، وعيبة يغتالونك بها ويضحكون منك لها واعلم أن قابل المدح كمادح نفسه، والمرء جدير أن يكون حبه للمدح هو الذي يحمله على رده، فإن الراد له ممدوح والقابل له معيب.

٢ ـ ألا يكره المذمة من أحد فهو إن كان صادقاً فقد أهدى إليه عيبه، حيث يتمكن من إصلاح نفسه والبعد عما يعيبه، وإن لم يكن صادقاً فهي هدية له من الحسنات التي لم يعملها.

٣ ـ أن يستوي عند المرء المادح والذام، فلا يسره المدح ولا يحزنه الذم، وتلك درجة تسمو به إلى الكمال البشري قال الغزالي: وعلامة ذلك أن لا يجد في نفسه استثقالاً للذام وألا يجد في نفسه زيادة نشاط في قضاء حوائج المادح، فمهما خف الذام على قلبه كما خف المادح واستويا من كل وجه فقد نال هذه الرتبة[١].

٤ ـ أن يكره المدح ويمقت المادح، إذ يعلم أنه فتنة عليه، ويحب

(١) إحياء علوم الدين، للغزالي ٣/ ٢٨٤.

الذام إذ يعلم أنه مهدٍ إليه عيبه ومهدٍ إليه حسناته، وقد ورد: «**إذا رأيتم المداحين فأحثوا في وجوههم التراب**»(١) وجاء في حديث أبي موسى ﵁ قال: سمع رسول الله ﷺ رجلاً يثني على رجل ويطريه في المدحة فقال: «**أهلكتم أو قطعتم ظهر الرجل**»(٢). وورد عن عمر بن الخطاب ﵁ أنه قال: «رحم الله من أهدى إلينا عيوبنا»(٣) وتلك منزلة عالية لا ينالها إلا أولو العزم من الرجال، فاللهم اجعلنا منهم بمنك وكرمك.



---

(١) رواه أحمد ومسلم برقم ٧٥٠٥ من حديث المقداد نشر وزارة الشؤون الإسلامية، ورقم ٣٠٠٢ نشر دار الإفتاء.

(٢) رواه أحمد، والبخاري برقم ٦٠٦٠.

(٣) إحياء علوم الدين، للغزالي ٣/ ٦٢، وإرشاد العباد ليوم المعاد ص٢٢.



لا يقع في ملكه ما لا يريد

كل شيء في هذا الكون من سماء وأرض وأنهار وبحار وجبال وبشر وحيوان ونبات وجد بإرادة الله، وكل ما فيه مسير بأمر الله، فلا يمكن للساكن أن يتحرك ولا للمتحرك أن يسكن بل كل في ملكه يسير بقدرته ويستمر إلى ما شاء الله، ولا يمكن أن يوجد في هذا الكون شيء لا يريده الله.

إنك تجد بعضاً من الناس يسارعون إلى إنكار بعض الأشياء التي اكتشفها العلم الحديث كدوران الأرض أو وصول البشر إلى القمر ونحو ذلك من الأشياء، ظناً منهم وحسب فهمهم أن ذلك يعارض إرادة الله، وهذا خطأ جسيم إذ أنه لا يجوز نفي شيء أثبته العلم الحديث مما يوجد في هذا الكون وهو لا يعارض ما جاء في القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية؛ لأن العلم واسع ولا يحيط به بشر، وإنما الله تعالى قد علم البشر ما يشاء أن يعلموه، وأقدرهم على عمل أشياء بقدرته هو وحده، قال تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦] وقال ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] ما دام أن الأمر قد وقع فهو إنما وقع وتحقق بإرادة الله تعالى وتعليمه للإنسان ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق: ٥] ولو لم يرد الله وقوعه وحصوله لما أمكن أن يقع فعلى المسلم أن يعتقد أن ما وجد في هذا الكون والعالم فإنما هو بإرادة الله وقدرته، وأنه إذا لم يرد الله وقوعه وحدوثه فإنه لا يقع أبداً، فالكون ملكه والأمر أمره وكله بإرادته ومشيئته ﷻ عما يقول الظالمون علوًا كبيراً.

٨٦

عدد الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب

خلق الله آدم وبث منه ومن زوجه البشر، وأرسل إليهم الرسل ليقيموا التوحيد ويعبدوا الله وحده، وختمهم برسالة نبيه محمد ﷺ إلى البشرية وجعل أمته آخر الأمم وأفضلها وهم الشهداء للرسل السابقين بإبلاغ رسالاتهم.

وتفضل على هذه الأمة بفضائل ومكرمات كثيرة، منها أنه جعل جماعة منها يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فقد جاء في حديث أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يدخل الجنة من أمتي زُمرةً هي سبعون ألفاً تضيء وجوههم إضاءة القمر**» فقام عكاشة بن محصن الأسدي يرفع جبة عليه قال: ادع الله لي يا رسول الله أن يجعلني منهم، فقال: «**اللهم اجعله منهم**» ثم قام رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال رسول الله: «**سبقك بها عكاشة**»(١).

ولمسلم من حديث أبي هريرة وعمران بن حصين: «**يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب**» قال الحافظ العراقي: زاد البيهقي في البعث من حديث عمرو بن حزام «**وأعطاني مع كل واحد من السبعين ألفاً سبعين ألفاً**»(٢).

---

(١) رواه البخاري في كتاب اللباس ورقمه ٥٨١١.

(٢) أخرج صدره مسلم برقم ٥٢٠، وأخرجه ابن منده عن أبي هريرة برقم ٣٦٥، وإسناده صحيح على شرط مسلم.

وعند أحمد من حديث عبد الرحمٰن بن أبي بكر أن رسول الله ﷺ قال: «**إن ربي أعطاني سبعين ألفاً من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب**» فقال عمر: يا رسول الله! فهلا استزدته؟ قال: «**قد استزدته فأعطاني مع كل رجل سبعين ألفاً**» قال عمر: فهلا استزدته قال: «**قد استزدته فأعطاني هكذا**»(١).

وعند أحمد من حديث حذيفة بن اليمان أنه قال: غاب عنا رسول الله ﷺ يوماً فلم يخرج حتى ظننا أنه لن يخرج، فلما خرج سجد سجدة فظننا أن نفسه قد قبضت منها فلما رفع رأسه قال: «**إن ربي تبارك وتعالى استشارني في أمتي ماذا أفعل بهم، فقلت: ما شئت أي رب هم خلقك وعبادك، فاستشارني ثانية فقلت له كذلك فقال: لا أحزنك في أمتك يا محمد، وبشرني أن أول من يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً مع كل ألف سبعون ألفاً ليس عليهم حساب**»(٢).

وهذا كرم منه جل وعلا في إدخال هذا العدد الكثير بغير حساب ولا عذاب وأمة محمد ﷺ كثيرة العدد منذ جاء الإسلام إلى قيام الساعة، وللدخول مع أولئك الصفوة المختارة شروط لا بد من تحققها، فعلى المسلم أن يحقق إيمانه وتقواه وأن يكثر من الأعمال الصالحة والدعاء بأن يكون منهم، فليس الأمر بالتمني والتواكل وترك الأسباب الموصلة لذلك.

وحيث إن مثل هذه البشارة تهم كل مسلم فقد رأيت ذكرها ترغيباً في الحرص على أن يكون المسلم من تلك الجماعة لا سيما إذا كانت بهذا العدد الكبير سبعين ألفاً في سبعين ألفاً وزيادة على ذلك من الجواد

---

(١) أخرج صدره مسلم برقم ٥٢٠، وأخرجه ابن منده عن أبي هريرة برقم ٣٦٥، وإسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) مسند الإمام أحمد ٥/ ٣٩٣.

الكريم، ومن يفز بذلك فقد فاز فوزاً عظيماً وحصل على شهادة درجة ومنزلة ليست كالدرجات أو الشهادات، فاللهم اجعلنا منهم بمنِّك وكرمك وهيئ لنا الأسباب والطرق الموصلة إليك يا ذا المن والعطاء.





المال العام والغلول

الغلول: يقال: غلّ فلان غلولاً: خان في المغنم أو في مال الدولة[١] قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١].

والغلول هنا: هو الكتمان من الغنيمة والخيانة في كل ما يتولاه الإنسان، قال السعدي في تفسيره: وهو محرم إجماعاً بل هو من الكبائر وأن من غل فإنه يأت به يحمله يوم القيامة ليعذب به.

والمال العام: هو كل مال أو متمول يعم الناس جميعاً، كبيت المال أو وزارة المالية أو غيرها من الجهات والمصالح الأخرى.

إن المحافظة على المال وصيانته من الفساد مسؤولية الجميع، وواجب على كل موظف صغير أو كبير، وذلك لأنه مصلحة للكل يشتركون فيه، والاعتداء عليه بأي شكل خيانة للأمانة وأكل للمال الباطل، وقد جاءت السُّنَّة بالنهي عن ذلك فقد جاء في حديث العامل الذي أرسله النبي ﷺ وقال: «**هذا لكم وهذا أُهدي إلي**»[٢] وقوله ﷺ: «**فهلا جلس أحدكم في بيته فينظر هل يهدى إليه أم لا؟ والذي نفسي بيده لا يأتي بشيء إلا جاء يوم القيامة يحمله على رقبته**»[٣] وجاء في حديث

---

(١) المعجم الوسيط مادة (غلَّ).

(٢) أخرجه البخاري برقم ٧١٧٤.

(٣) أخرجه البخاري عن أبي حميد الساعدي برقم ٧١٧٤.

أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام فينا النبي ﷺ فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره قال: «**لا ألفين أحدكم يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء...**» إلى أن قال: «**وعلى رقبته صامت فيقول: يا رسول الله أغثني فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك...**»[1] الحديث.

وكان الحفاظ على المال العام هي السمة العامة للمسلمين في وقت قوة المسلمين وانتشار الإسلام، جاء في عيون الأخبار[2]: كان زياد إذا ولّى رجلاً قال له: خذ عهدك وسرايا عملك واعلم أنك مصروف رأس سنتك وأنك تصير إلى أربع خلال فاختر لنفسك: إنا إن وجدناك أميناً ضعيفاً استبدلناك لضعفك وسلمتك من معرتنا أمانتك وإن وجدناك خائناً قوياً استهنا بقوتك وأحسنا على خيانتك أدبك فأوجعنا ظهرك وأثقلنا غرمك وإن جمعت علينا الغرمين جمعنا عليك المضرتين وإن وجدناك أميناً قوياً زدناك في عملك ورفعنا لك ذكرك. إن هذا يصلح أن يكون قاعدة في التعامل مع المسؤولين.

وعند ضعف المسلمين وتدني السلوكيات والأخلاق سمعنا من يجرؤ على المال العام، ويستحله ويخلق لنفسه المعاذير في النيل منه والاعتداء عليه، وهذه حجج شيطانية، كما نرى انتشار الفساد المالي في عصرنا في بلاد المسلمين أكثر من غيرها، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فهناك من يدفع الرشوة وفيه من يقبلها، بل ويفرضها أحياناً، وهي تؤدي إلى فساد الذمم وتنفيذ الخدمات والمرافق العامة بصورة سيئة يصعب معالجتها وتضيع المبالغ المالية الكبيرة والجهد والوقت نتيجة خراب الذمم وفساد الضمائر وضعف الأمانة، وهناك من يعتدي على المال العام أخذاً منه أو استفادة من المرافق بما لا تسمح به الأنظمة التي وضعت

---

(١) أخرجه البخاري برقم ٣٠٧٣.

(٢) عيون الأخبار، لابن قتيبة ١/ ٥٥.

لحماية الحق والمصالح العامة، إن من يأخذ مالاً أو ينتفع بمنفعة ليست مشروعة له أو يستخدم سيارات أو مقدرات جهاز، فإنه سيأتي بها يوم القيامة على رؤوس الأشهاد وستكون عليه عاراً وناراً.

إنك مع الأسف تجد كثيراً من البلاد النامية هي أقل محافظة وعناية بالمال العام والمرافق العامة، وتجد كثيراً من الناس يقول بلسان حاله: الحلال ما حل باليد، على حين أنك تجد كثيراً من البلاد المتقدمة مادياً تتم فيها المحافظة على المال العام والمصالح العامة، ويجري محاسبة من يعتدي عليها بأي شكل كان، ومهما كان منصبه وموقعه، وكان الأولى بالمسلمين أن يكونوا هم القدوة في ذلك؛ لأن الجزاء والحساب واقع لا محالة إن حدث في الدنيا وإلا فيوم لا ينفع مال ولا بنون.

وقد تعلمت مما سمعت واطلعت عليه ما يأتي:

١ ـ بث الوعي بحرمة المال العام بين أفراد المجتمع بوسائل الإعلام المتعددة، وأن يكون العلماء في تأليفهم ودروسهم وفتاواهم والخطباء في المساجد من المبادرين لذلك، وبيان حرمة النيل من المال العام والمصالح العامة مهما كانت الذرائع والأسباب، وأن أخذ شيء من ذلك يعد من كبائر الذنوب التي يعاقب عليها المرء في الدنيا والآخرة، وأنه إن استطاع المرء أن يفلت في الدنيا فلن ينجو في الآخرة، والرد على الشبه والحجج التي يوردها البعض لتبرير فساده.

٢ ـ أن أكل المال العام والتعدي عليه أشد إثماً وخطورة من المال الخاص، ذلك أن المال الخاص يطالب فيه شخص واحد وقد يسمح ويعفو، ولكن المال العام للأمة كلها ومن المستحيل أن تسمح كل الأمة وتعفو عمن سرقها واختلس أموالها ونهب خيراتها وضيق عليها في معيشتها.

٣ ـ أن من يغل أو يختلس أو يسرق من المال العام لا يبارك له

في ماله ولا في صحته وأهله وولده، فتراه رغم كثرة ماله يعيش مزيداً من القلق ولا يشعر بالسعادة التي ينشدها وتنزع البركة إما من عمره أو من صحته أو ماله أو أهله وأولاده، وقد سمعنا عن أناس اعتدوا على المال العام وصحا ضميرهم في فترة ما، فاستولى عليهم القلق والشعور بالذنب وعاشوا في تعاسة وشقاء، وصاروا لا يقر لهم قرار في السعي للتكفير عن ذنبهم وإراحة ضميرهم.

٤ ـ أن المال العام أمانة لا يجوز أن يتجرأ على النيل منه أي موظف مهما كانت مسؤوليته، بل عليه ان يكون قدوة لمن تحت رئاسته في العناية بالمال العام ورعايته، فإنه غالباً إذا رأى الموظف رئيسه اقتدى به رغباً أو رهباً، بحيث إن كان أميناً محافظاً على المال العام فإن مرؤوسيه سيكونون كذلك، وإن كان غير أمين وهم يرون ذلك فإنه سيفتح الباب لمن هو على شاكلته وسيغري غيره، فهو كما قيل: المال السائب يعلم الناس السرقة، وهذا المسؤول قد أباح المال الذي تحت يده فأغرى غيره من ضعاف النفوس، وحمل وزره ووزر غيره ممن اعتدى على المال العام وغلّ فيه ونهب وخان.

٥ ـ أن من أسباب ضعف المسلمين وتأخر نهضتهم الفساد المالي (رشوة ـ اختلاساً) والإداري (واسطة ـ محاباة) فمن يكن له يد في هذا الفساد فإن عليه وزر نفسه ووزر الإضرار بالمسلمين وتأخرهم وإساءة سمعتهم لدى الأمم الأخرى.

٦ ـ أرى إنشاء جمعيات في كل مدينة تكون معنية في مكافحة الفساد المالي والإداري توعية وتثقيفاً وتعاوناً مع الجهات المعنية بذلك، من حيث الإبلاغ والمتابعة وكشف المتورطين في هذه الأعمال وذلك للحد من الفساد وقاية وعلاجاً.



ثبوت الألفة بقلة الكلفة ودوام المودة بخفة المؤونه

يقوم بعض الناس بالمبالغة في إكرام الصديق أو الضيف، ويتكلفون له فوق طاقتهم، وذلك رغبة في إكرامه ومحبته، ظناً منهم أن ذلك هو الكرم وفيه تكون المحبة والمودة.

جاء الإسلام بإكرام الضيف وجعل لذلك مدة وهي ثلاثة أيام، لكنه ينهى عن الإسراف والتكلف، وما على المضيف إلا أن يقدم ما تيسر من الطعام قال ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه**»[1]، وليس الإكرام بكثرة الطعام أو التكلف وتحمل الديون، ولكنه يكون بحسن الاستقبال والبشر والتلطف معه في الكلام وتقديم الميسور.

قال ابن مفلح[2]: ويستحب تقديم الطعام إلى الإخوان ويقدم ما حضر من غير تكلف، ومن التكلف أن يقدم جميع ما عنده، روى الإمام أحمد في مسنده أن سلمان دخل عليه رجل فدعا له بما كان عنده فقال: لولا أن رسول الله ﷺ نهانا، أو قال: «لولا أنا نهينا أن يتكلف أحدنا لصاحبه لتكلفنا لك»[3]. وقال علي رضي الله عنه: شر الأصدقاء من تكلف لك ومن أحوجك إلى مداراة وألجأك إلى اعتذار. وقال الفضيل بن عياض:

---

(١) أخرجه البخاري برقم ٦٠١٩.

(٢) ابن مفلح في الآداب الشرعية ٣/ ٢١٤.

(٣) قال ابن مفلح: رواه أحمد في مسنده. ثم قال: يحتج به في مثل هذا الحكم (عدم التكلف)، الآداب الشرعية، لابن مفلح ٣/ ٢١٥.

إنما تقاطع الناس بالتكلف يزور أحدهم أخاه فيتكلف له فيقطعه ذلك عنه. وكان جعفر الصادق يقول: أثقل إخواني عليّ من يتكلف لي وأتحفظ منه، وأخفهم على قلبي من أكون معه كما أكون وحدي[1].

وقد قالت العرب: من الألفة عدم الكلفة، وإذا تكلفت لأحدنا فإنك لن تراه بعدها.

ولذا فإنه ينبغي لنا جميعاً أن نرعى النعمة وأن نحافظ عليها وأن يكون تقديمنا للضيف حسب مكانته أو عدد الضيوف دون إسراف ولا خيلاء.

ومما رأيت في حياتي سواء أكان معي أم مع غيري: أن التكلف غير مناسب وهو يؤدي إلى عدم الراحة من الضيف والمضيف، وهو يعني عند بعض الناس أن من تكلف للضيف فهو لا يرغب تكرار الزيارة، أو أنه يفاخر بذلك أمام الضيف والناس، وذلك مذموم شرعاً وعرفاً، كما أنه يُفْهَم: أن من توده فإنك لا تتكلف له، بل تعامله كما تعامل نفسك، ويلاحظ أن الإخوان والأصدقاء لا يتكلف بعضهم لبعض، بل يتعاملون بالبساطة واليسر ولذلك قيل: من قلّت كلفته ثبتت ألفته ومن خفت مؤونته دامت مودته.

وقد رأيت ذلك عياناً في تعاملي مع أصدقائي وأقاربي ومن تربطني بهم علاقة، وأن من تحبه وتوده لا تتكلف له ولا يتكلف لك، أما من ليس بينك وبينه مودة فإنك قد تتكلف له وقد يتكلف لك، ومعنى ذلك: أن التكلف ليس دليل محبة ولا مودة، بل قد يكون غير ذلك، ولذلك فإني أدعو إلى التعامل في ذلك بالبساطة دون تكلف حتى تستمر العلاقة والزيارة دون حرج أو تردد، نسأل الله أن يجعلنا صادقين مع أنفسنا ومع غيرنا والله ولي الصادقين.

---

(١) إحياء علوم الدين، للغزالي ٢/ ١٨٦.

البر دين لمن يقدمه وكما تدين تدان

إن أهمية بر الوالدين والإحسان إليهما وحرمة عقوقهما من أكبر الكبائر، وهو لا يخفى على كل مسلم.

فقد جاء في القرآن الكريم التأكيد على ذلك ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣] فقرن بر الوالدين بالأمر بالتوحيد وذلك لأهميته، كما أنه قرن بين النهي عن الشرك بالله وعقوق الوالدين قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [النساء: ٣٦] فالله سبحانه لم ينه عن العقوق فقط بل أمر بالإحسان، وكأن المطلوب ليس الابتعاد عن العقوق فحسب ولكن تقديم الإحسان، كما أن الأمر بالإحسان يقتضي النهي عن العقوق من باب أولى والله أعلم.

وجاءت السُّنَّة بذلك فمنه قوله ﷺ: «**بروا آباءكم تبركم أبناؤكم**»[١].

وقوله ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ثلاثاً**، قلنا: بلى يا رسول الله قال: **الإشراك بالله وعقوق الوالدين** ـ وكان متكئاً فجلس فقال ـ: **ألا وقول الزور، وشهادة الزور، ألا وقول الزور، وشهادة الزور**. فما زال يقولها، حتى قلت: لا يسكت»[٢].

---

(١) قال السيوطي في الجامع الصغير: أخرجه الطبراني في الأوسط عن ابن عمر ١/٤٥٨ ورقمه ٣١٣٨ دار الفكر، بيروت ط الأولى ١٤٠١هـ.

(٢) صحيح البخاري في باب الأدب برقم ٥٩٧٦.

وهذا معلوم ومعروف في مظانه ولكن أردت أن أذكر ما فهمته وتعلمته من الحياة في ذلك ومنه:

١ ـ أن بر الوالدين والإحسان إليهما قد أكده القرآن والسُّنَّة في مواضع كثيرة وقرنه الله تعالى بحقه لأهمية البر وخطورة العقوق.

٢ ـ أن البر للوالدين أو عقوقهما له مثوبتان، إحداهما معجلة والأخرى مؤجلة، فمن ثواب البر بالدنيا إلقاء محبة البار بقلوب الناس، فتجدهم يذكرونه ويدعون له ويضربون به المثل، ومن الثواب صلاح الأولاد وجعلهم قرة عين لوالديهم، ومنه البركة في الرزق، ومنه البركة بالعمر وغير ذلك، وهذه أمور تؤدي إلى السعادة، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه**»[١]. ولأبي نعيم في الحلية: «**وبر الوالدين وصلة الرحم تحول الشقاء إلى سعادة وتزيد في العمر وتقي مصارع السوء**»[٢].

ومن جزاء العقوق في الدنيا ومثوبته عكس ما ذكر، وعدم التوفيق للخير الدنيوي والأخروي، ومنه حصول العقوق من الأولاد، ومنه عدم الشعور بالسعادة بل تضيق عليه الدنيا على سعتها فكما تدين تدان، جاء في حيث رواه يحيى بن أبي كثير: «**ليس شيء أعجل عقاباً من البغي وقطيعة الرحم**» الحديث[٣].

٣ ـ أن الله أمر الولد بالإحسان إلى والديه بجميع وجوه الإحسان القولي والفعلي، لأنهما سبب وجوده ولو كانا كافرين قال تعالى: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥]، فكيف إذا كانا مسلمين، فإذا

---

(١) أخرجه البخاري ورقمه ٥٩٨٦.

(٢) قال في الجامع الصغير للسيوطي: أخرجه أبو نعيم في الحلية عن علي وهو ضعيف ٢/ ١١٥ ورقمه ٥١٤٦.

(٣) أخرجه البيهقي عن يحيى بن أبي كثير قال: وهو مشهور بالإرسال ١٠/ ٣٥.

لم يشكرهما الولد على ما قدماه له فإنه لن يشكر الله؛ لأنه ناكر للمعروف جاحد للنعم.

٤ ـ أن الله تعالى قد أمر الولد بالتواضع لوالديه وأن يذل لهما رحمة لهما واحتساباً للأجر قال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤]، على حين أنك ترى بعض الأولاد يتكبر على والديه ويترفع عنهما خاصة إذا كان هو متعلماً وهما غير متعلمين، أو كان ذا مكانة وجاه، وما أدرك أن سبب وصوله إلى هذا الجاه والمكانة إنما هو والداه، فبدلاً أن يشكرهما يسيء لهما والعياذ بالله، إن ذلك من العقوق المحرم وجريمة شنعاء.

٥ ـ أنك ترى من الأولاد من يعامل والديه أقل مما يعامل صديقه وزميله، حيث يعامله بالأسلوب الجميل والمعاملة الحسنة، على حين يكون تعامله مع والديه بشيء من الجفوة والغلظة والعياذ بالله فهل والداه أقل شأناً من غيرهم، إن كثيراً من الوالدين يكفيهم التعامل معهم باللطف وخفض الجناح والقول الكريم وهو ما ذكره الله بقوله: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤].

٦ ـ أن الوالدين هما باب للولد إلى الجنة، فبدلاً من برهما وشكرهما والحرص على دخول الجنة عن طريق ذلك، فإنك ترى بعضهم لا يهتم بأمرهما ولا يشعر بقيمتهما إلا عند فراقهما أو أحدهما وكم ضيع على نفسه من الأجر والثواب، فقد جاء في الحديث الذي أخرجه مسلم عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**رغم أنفه ثم رغم أنفه ثم رغم أنفه** قيل: من يا رسول الله؟ قال: **من أدرك والديه عنده الكبر، أحدهما أو كليهما ثم لم يدخل الجنة...**»[١].

(١) صحيح مسلم في باب الأدب برقم ٦٥١١.

٧ ـ أذكر مما مر بي مع والدي رحمهما الله وأني انشغلت عنهما كثيراً في الدراسة وفي الحياة العملية، ولم أقم ببرهما كما يجب، ولكني أرجو ألا أكون مقصراً في حقهما وواجبهما علي، وأرجو أن يغفر الله ذلك لي وأن يرفع درجاتهما، ويعلي شأنهما في الفردوس الأعلى من الجنة، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

٨ ـ أوصي أولادي ومن يقبل هذه الوصية أن يلتزم ببر والديه، وألا يفوت الفرصة التي منحها الله له، وأن يجاهد نفسه والشيطان بالإحسان إليهما وإدخال السرور إلى قلبيهما والبعد عما يقلقهما لينال رضا الله وليكون مباركاً حيثما كان، فرضا الله من رضا الوالدين، وكما قيل: كما تدين تدان، وأنت لا تدرى كم ضيعت على نفسك من الأجر والثواب، ولا يتبين لك ذلك إلا بفقدانهما، حيث أغلق دونك باب من أبواب الخير والثواب الموصل إلى الجنة، وستكون إن كان لك ضمير حي أشد حسرة وأسى على ما فرطت في حقهما وقد كان ذلك ممكناً إبان حياتهما، وستذكرهما عند موت كل قريب وعزيز وستندم ويحاصرك الهم ولات ساعة مندم فاغتنم الفرصة الآن قبل فواتها، فإن لم تتمكن من ذلك إبان حياتهما فعليك بالدعاء لهما والصدقة عنهما والوقف لهما وبر صديقهما علّ ذلك يعوض لك ما فاتك من برهما.

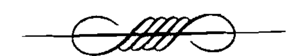
٩ ـ ليس الآباء والأمهات على درجة واحدة من الفهم والتعامل مع الأولاد بما يساعد على برهم، بل منهم الحنون المشفق الذي لا يشق على أولاده، وهذه نعمة يجب شكرها، ومنهم الذي يغضب من كل شيء ويتعامل مع أولاده بجفوة وقسوة وقد يشق عليهم بكثرة مطالبه، وهذا ابتلاء يجب الصبر عليه، وعدم مقابلته بالمثل بل يجب بره والإحسان إليه مهما عمل كي ينال الولد الأجر على البر وعلى الصبر.

١٠ ـ ترى بعض الأولاد وبكل أسف يتكلم عن والديه أو أحدهما

ماذا قدم لي وماذا عمل لي؟ فيبني بره على التعامل المادي أو المعنوي، وتبرر له نفسه والشيطان أن يعامله بالمثل وأنه لم يقدم له شيئاً، على حين أن فلاناً أعطاه أبوه كذا وفلاناً عمل له كذا، وكأن التعامل مع الوالدين مبني على المنفعة والمصلحة والمادة، وهذا خطأ كبير يقع فيه بعض الأولاد هداهم الله، فالله تعالى قد أمر ببر الوالدين والإحسان إليهما جميعاً مهما كانت حالهم وتعاملهم مع الأولاد ويكفي أنهما سبب وجوده وقد تعبا في تربيته وقت حاجته إليهما.

ولو كان البر إنما هو مقابل المنفعة لما احتاج إلى الأمر به؛ لأن الفطرة تقتضي الإحسان إلى من أحسن إليك، بل إن البر للوالدين اللذين يسيئان لأولادهم أولى وأكثر أجراً فهو يكون بمجاهدة النفس وحملها على ما يزينها عند الله.

وفق الله جميع الأولاد للقيام ببر آبائهم وأمهاتهم والحصول على رضاهم والدعاء لهم.





حسن الخاتمة

إن الحياة الدنيا مهما طالت فستكون إلى زوال، وساعة كل إنسان هي نزول الموت به، وهذه حال البشر والأحياء كلهم فلن يدوم إلا وجه الله ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمٰن: ٢٦، ٢٧].

إنما يهم الإنسان أين يكون مقره بعد هذه الحياة وحياة البرزخ، إن من أطاع الله ووحده وامتثل أوامره واجتنب نواهيه فسيكون من أهل السعادة ومأواه الجنة، ومن عصاه وخالف أمره ولم يجتنب نواهيه فسيكون من أهل الشقاوة والعياذ بالله ومآله إلى النار.

إن على المسلم أن يحرص على أن يكون ممن يختم له بالحسنى، فقد ورد في الحديث: «**إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار، وإنه ليعمل بعمل أهل النار حتى يكون ما بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها**»(١)، وهذا ما جعل الصالحين يتخوفون من سوء الخاتمة، ويلتجئون إلى الله في دعائهم بأن يحسن لهم الخاتمة.

وقد تعلمت مما فهمت ورأيت وسمعت مما يعين على حصول حسن الخاتمة ما يأتي:

(١) أخرجه ابن ماجه ١/٢٩ في باب القدر.

١ ـ الاستقامة على منهج الله وصراطه المستقيم والبعد عن المخالفات الشرعية قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ (٧) وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ (١٠)﴾ [الليل: ٥ ـ ١٠].

٢ ـ الالتجاء إلى الله بالدعاء في كل حين، ولا سيما في أوقات الإجابة بأن يحسن المولى الخاتمة، وأن يوفق للعمل بما يرضيه واجتناب معاصيه قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧)﴾ [النحل: ٩٧]، فالعمل الصالح القائم على الإيمان سبب للتوفيق لحسن الخاتمة.

٣ ـ الإكثار من قراءة القرآن ومن الأذكار والاستغفار والاستزادة من العلم الشرعي الذي ينير الطريق، بحيث يكون قلب الإنسان المسلم متعلقاً بربه كما جاء في الحديث وقد سئل رسول الله ﷺ: أي الأعمال أفضل؟ فقال: «**أن تموت ولسانك رطب بذكر الله ﷻ**»[(١)].

٤ ـ أن يحفظ لسانه وجوارحه من الفحشاء، وأن يبتعد عن الكذب والغيبة والنميمة وغيرها من الكلام، فقد يخرجه لسانه من دينه بكلمة لا يلقي لها بالاً.

٥ ـ اختيار الصحبة الطيبة التي تقربه إلى الله، والابتعاد عن رفقاء السوء الذين ينسونه ربه ونفسه ويجرؤنه على المعاصي مما قد يختم له بسوء.

٦ ـ الإكثار من الصدقة حسب حاله وإمكاناته فالصدقة تطفئ غضب الرب وتدفع ميتة السوء.

---

(١) أخرجه ابن حبان والبيهقي في شعب الإيمان من حديث معاذ، المغني عن حمل الأسفار، للحافظ العراقي، حاشية على الإحياء، للغزالي ١/ ٣٠٢.

٧ ـ أن يراجع نفسه ويحاسبها دائما فيستزيد من الحسنات ويبتعد عن السيئات.

٨ ـ أن يخاف على نفسه سوء الخاتمة فمن خاف أدلج ومن أدلج وصل، ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة، وعليه أن يكثر من قول: يا مقلب القلوب اصرف قلبي إلى طاعتك وثبتني على دينك.

٩ ـ أن يتعاهد نفسه ويجاهدها لعمل ما يسعدها دنيا وأخرى، كالأعمال الخيرية للأيتام والفقراء والمحتاجين ويبتعد عن إيذاء الناس قولاً وفعلاً.



مصادر التشريع الإسلامي وغيره

يقوم التشريع الإسلامي على أصول أربعة: هي الكتاب والسُّنَّة والإجماع والقياس.

فالمصدر الأول: هو الكتاب وهو القرآن الكريم، وهو كلام الله الذي أنزله على رسوله وتعهد بحفظه فلا يتطرق إليه التبديل أو التغيير أو الزيادة أو النقص، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩].

والمصدر الثاني: وهو السُّنَّة من قول الرسول عليه الصلاة والسلام وفعله وتقريره، وهي وحي من الله تعالى إلى نبيه ورسوله محمد ﷺ بالمعنى قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: ٣، ٤] وهي تفسر القرآن الكريم وتبينه وتفصل الأحكام المجملة، وهذان هما المصدران اللذان يرجع لهما في الأحكام الشرعية ومنهما تنبثق الأصول الأخرى، ويأتي بعدهما الإجماع: وهو نوع من أنواع الاجتهاد الجماعي ويبنى على الكتاب أو السُّنَّة. ثم القياس: وهو اجتهاد فردي يقوم على الكتاب أو السُّنَّة.

ثم يتفرع عن هذه الأصول مصادر أخرى: وهي المصالح المرسلة والاستصحاب والاستحسان والعرف وشرع من قبلنا وقول الصحابي وسد الذرائع.

ويرتكز التشريع الإسلامي على أسس قوية تمتاز بالمرونة والحكمة،

ومن شأنها أنها صالحة لكل زمان ومكان ولكل بيئة ومجتمع وأهمها:

أولاً: عدم الحرج: قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، فالله سبحانه وهو العليم بعباده الخبير بأحوالهم دفع عنهم كل ما يوقعهم في الضيق أو يلحق بهم المشقة.

ثانياً: رعاية مصالح الناس جميعاً: فالتشريع الإسلامي من مقاصده الأساسية تحقيق المصالح للناس كلهم لا فرق بين جنس وجنس لأن رسالة الإسلام عامة للبشر، وفي سبيل تحقيق هذا المبدأ جعل الشارع أحكام المعاملات تدور مع المصلحة حيثما دارت.

ثالثاً: تحقيق العدل للناس عامة: فالشريعة الإسلامية لا تفرق بين حاكم ومحكوم ولا بين غني ولا فقير لكي يصبح الكل آمناً على نفسه وماله وجميع حقوقه.

إن الباحث المختص ولو لم يكن مسلماً ليقف إجلالاً وتعظيماً لشريعة الإسلام إذا كان منصفاً متجرداً عن الهوى، لما تقوم عليه من أسس ومصادر ثابتة ومنظمة تنير الطريق للفقيه والباحث عند قيامه بتطبيق الأحكام الشرعية على الوقائع والحوادث والنوازل في كل زمان ومكان، وإنك لا تجد مثل ذلك ولا قريباً منه في الشرائع والقوانين في الأمم الأخرى بل امتازت الشريعة الإسلامية بأمور كثيرة منها:

١ ـ ففي الإسلام يكون الرجوع لهذه الأصول الأربعة المذكورة أعلاه، ولا يجوز إنشاء قاعدة شرعية أو ابتداع أصل في الشريعة لا يرجع إلى هذه الأصول ولا يستنبط منها؛ لأن هذا الأصل المنشأ إذا لم يرجع إلى واحد منها واستقل به العقل وحده يكون باطلاً؛ لأن العقل لا يستأثر بإثبات الأحكام الشرعية فكيف بقواعدها الكلية. أما أصول القوانين فهي مبادئ لا ترجع إلى أصول محصورة وإن كانت مأخوذة من روح التشريع الوضعي، ولذا يجوز إنشاء مبدأ في القانون وابتداع قاعدة

بمحض العقل، فليست لها أصول تشريعية من مبادئ وكليات تكون ضوابط لكل ما يشرع منها، ولهذا امتازت الشريعة الإسلامية بتشريعها العادل الحكيم؛ لأنها من عند الله ولا تتحكم بها عقول البشر قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٤].

٢ ـ أن المبادئ الكلية في الشريعة الإسلامية تتسع لكل زمان ومكان لعموم اشتمالها وسعة مفهومها واتساع دائرتها، وهي لم تغرق في التفاصيل التي تختلف من زمان إلى غيره ومن مكان إلى سواه.

أما أصول القانون والمبادئ القانونية فإنه يراعى في وضعها زمان خاص وأحوال معينة، لأنها وليدة زمانها ونتيجة الارتقاء الاجتماعي والسياسي والاقتصادي في البلاد التي تدين بتشريعها.

٣ ـ أن أصول الشريعة الإسلامية قد استقرت في وضعها في زمن الوحي على رسول الله ﷺ، فلا تقبل بعده نسخاً أو إثباتاً إلا أن يستنبط مجتهد حكماً لم ينص عليه، وإنما بفهمه من الكتاب والسُّنَّة أو الرجوع إلى الإجماع أو القياس، وهذا يعد إظهاراً للحكم وليس إثباتاً من جديد، قال علي رضي الله عنه لمن سأله: هل بعد الكتاب وسُنَّة رسوله شيء قال: لا إلا أن يلهم الله عبداً فهماً في القرآن. أما أصول القوانين فهي قابلة للنسخ والتغيير والمحو والإثبات وهي خاضعة في ذلك للتطورات الزمانية والمكانية.

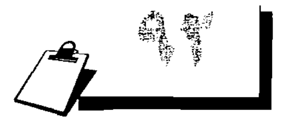
٤ ـ إن الشريعة الإسلامية تتناول العقيدة من الإيمان بالله ورسله وعالم الغيب، والعبادات وصلة العبد بربه وسلوكه الأخلاقي والمعاملات وأنظمة الحياة المختلفة في شتى مرافقها، أما القوانين الوضعية فتتناول المعاملات المدنية وتهمل غيرها لأنها تجعل الدين علاقة خاصة بين الفرد وربه ولا علاقة له بشؤون الحياة، ولذلك فإن للشريعة الإسلامية سلطة داخلية تنبثق من الإيمان بالدار الآخرة وأن العقوبة إن لم تقع في

الدنيا فإنها تنتظره في الآخرة، ولهذا أثره الكبير في التقليل من المخالفات، والوقاية خير من العلاج كما يقال.

أما القوانين فإن الفرد إذا نجا منها في الدنيا فقد نجا ولا ينتظر عقاباً غير ذلك، وهذا يجعل الفرد يحاول بوسائل الحيلة والدهاء الخروج على القانون.

إن ذلك يجعل المسلم يتمسك بدينه لما فيه من مبادئ سامية وقواعد ثابتة تكفل له خير الدنيا والآخرة، وتؤمن له السعادة والاستقرار.





أمهات القواعد الفقهية التي بنيت عليها الأحكام الشرعية

الأصل الذي يبنى عليه التشريع في الإسلام الكتاب والسُّنَّة، وقد درس العلماء منذ عهد الرسول ﷺ هذين المصدرين واستخرجوا منهما الأصول والقواعد الفقهية التي يبنى عليها التشريع في الإسلام، فالإسلام دين الله الخالد إلى قيام الساعة، والنصوص محددة ثابتة والحوادث متجددة، وعلى هذا فإنه يمكن تطبيق تلك القواعد والمبادئ على الحوادث والنوازل والقضايا المتجددة في حياة الناس وشؤونهم ومعاملاتهم، ولا ريب أن ذلك من ميزات التشريع الإسلامي التي لا تجد نظيراً لها في حضارات وتشريعات الأمم الأخرى. ومهما استجد للناس من قضايا وحوادث فإن الحكم عليها على ضوء مصادر الإسلام وقواعده متوافر ومتحقق، لكنه يحتاج إلى العالم المتخصص كي يطبق النص أو القاعدة الشرعية على الواقع، علم ذلك من علمه وجهله من جهله.

وقد ذكر الفقهاء تلك القواعد وبينوها، وممن ذكرها العز بن عبد السلام في كتابه قواعد الأحكام في مصالح الأنام، وممن ذكرها القرافي في الفروق وقد جمع فيه ٥٤٨ قاعدة وقد بيَّن فيه الفروق بين القواعد، ومنها القواعد لابن رجب وقد جمع فيه ١٦٠ قاعدة وقد ذكر ابن نجيم الحنفي أن الدباس وهو من علماء الحنفية قد جمع أهم قواعد المذهب في سبع عشرة قاعدة كلية، وكل ذلك عمل عظيم وجهد كبير لخدمة الفقه والفقهاء.

إن تلك القواعد الفقهية ترجع إلى قواعد خمس، وهي تعتبر أمهات

القواعد ومباني الأحكام الشرعية من نصية واجتهادية وهي:

١ ـ الأمور بمقاصدها، وذلك لأن النبي ﷺ قال: «**إنما الأعمال بالنيات**»[(١)]، ويندرج تحتها أمور كثيرة منها: مثلاً من باع العنب لمن يتخذه خمراً فإنه حرام للعلم بمقصده.

٢ ـ الضرر يزال: وأصلها قوله ﷺ: «**لا ضرر ولا ضرار**»[(٢)]، وهذه القاعدة يبنى عليها كثير من أبواب الفقه ومن ذلك رد المشتري بالعيب، والضرورات تبيح المحظورات.

٣ ـ العادة محكمة وأصلها قوله ﷺ: «**ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن**»[(٣)]، وقد اعتبر الفقهاء العادة والعرف في مسائل لا تعد كثرة ومنها: سن الحيض والبلوغ وكثير غيرها.

٤ ـ اليقين لا يزول بالشك: وأصلها قوله ﷺ وقد شكى إليه الرجل يخيل إليه أنه يجد الشيء في الصلاة قال: «**لا ينصرف حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً**»[(٤)].

وروى مسلم عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا شك أحدكم في صلاته فلم يدر كم صلى، أثلاثاً أم أربعاً؟ فليطرح الشك وليبن على ما استيقن**»[(٥)] ومن أمثلة ذلك من تيقن الطهارة وشك في الحدث فهو متطهر أو تيقن الحدث وشك في الطهارة، فهو محدث وتدخل هذه القاعدة في جميع أبواب الفقه والمسائل المخرجة عليها وتبلغ عند بعض العلماء ثلاثة أرباع الفقه.

---

(١) رواه البخاري برقم ١، ومسلم برقم ٤٩٢٧، نشر وزارة الشؤون الإسلامية.

(٢) رواه أحمد، وابن ماجه عن ابن عباس وقال السيوطي في الجامع الصغير ٩٨٩٩: ولابن ماجه عن عبادة حديث حسن.

(٣) أخرجه أحمد عن ابن مسعود موقوفاً عليه ١/ ٣٧٩.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب ٤ رقم ٧٣١.

(٥) رواه مسلم برقم ٥٧١.

٥ ـ المشقة تجلب التيسير: وأصل هذه القاعدة قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨] وقوله ﷺ: «**إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين**» رواه الشيخان، ويتخرج على هذه القاعدة جميع رخص الشرع وتخفيفاته ومنها التيمم للمريض عند مشقه استعمال الماء وغيرها كثير(١).

وقد أردت من بيان ذلك شمولية شريعة الإسلام لجميع شؤون الحياة بما جاءت به من قواعد عامة ومبادئ شاملة صالحة لكل زمان ومكان مع اليسر والسماحة في فهمها وتطبيقها، ليزداد المؤمن إيماناً بدينه وشريعته الغراء وتمسك بها في سبيل سعادته في الدارين، وليعلم غير المسلم أن الإسلام هو الدين الحق المنزل من اللطيف الخبير كي تسعد به البشرية في حياتها وفي آخرتها، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.



(١) المدخل الفقهي العام، مصطفى الزرقاء ٢/٩٥٣، وانظر: الشريعة الإسلامية تاريخها ونظرية الملكية والعقود، د. بدران أبو العينين بدران ص٢٤٢.



اتق دعوة المظلوم فإنها مستجابة

خلق الله السمٰوات والأرض بالحق، وأقام الكون كله على العدل وحرم الظلم على نفسه وجعله بين عباده محرماً، فقد جاء في الحديث القدسي: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا...**»[1] الحديث.

والظلم ظلمات يوم القيامة، والظلم خراب للديار وهلاك للأمم، ذُكِرَ الظلم في مجلس ابن عباس فقال كعب: إني لا أجد في كتاب الله المنزل أن الظلم يخرب الديار فقال ابن عباس: أنا أوجدكه في القرآن، قال الله ﷻ: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓا۟﴾ [النمل: ٥٢].

وكان معاوية بن أبي سفيان يقول: إني لأستحي أن أظلم من لا يجد علي ناصراً إلا الله.

كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله: أما بعد فإذا دعتك قدرتك على الناس إلى ظلمهم فاذكر قدرة الله عليك وفناء ما تؤتي إليهم وبقاء ما يؤتون إليك والسلام.

ولقد سمعت ورأيت أنواعاً من الظلم تقع على الناس من رجال ونساء وأطفال، ورأيت الظالم فيها إما أن يكون متعمداً الظلم غير مبالٍ بالمظلوم، بل إنه يتشفى منه بذلك، وهذا والله غاية الظلم، وإما أن

(١) أخرجه مسلم برقم ٦٥٧٢.

يكون غير متعمد لظلم غيره، ويعتقد أن ما فعله حق له لم يتجاوز فيه ولم يتعد. فأما المتعمد للظلم غير المبال فيه والذي دعته قدرته من سلطان أو جاه أو غيره إلى الظلم فليتوقع عقوبة الله في الدنيا قبل الآخرة، فإن الله تعالى يقول في الحديث: «**ودعوة المظلوم يرفعها فوق الغمام وتفتح لها أبواب السماء ويقول الرب تبارك وتعالى: وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين**»[١]، وهذا قسم من الله تعالى لا بد واقع، فإن لم يقع في الدنيا فسيكون عليه تبعته يوم القيامة بأشد ما يكون، قال النبي ﷺ: «**اتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب**»[٢].

وقد قيل: إن الله أوحى إلى موسى عليه السلام: «إذا ظُلمتَ فارض بنصرتي لك فإنها خير من نصرتك لنفسك». وقد تكون العقوبة مصيبة ظاهرة في النفس أو الولد والأهل، وقد تكون بتسليط الله عليه من يظلمه ممن هو أقدر منه، وقد تكون غير ذلك.

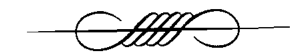
وأما غير المتعمد للظلم فإنه ينبغي للمظلوم بيان ظلمه له، والاستعانة بمن يبين له مدى ظلمه إن لم يكف بيان المظلوم، فإن تاب ورجع عن ظلمه فذاك وإلا فإنه أصبح متعمداً للظلم ينال عقوبة الظالم إن كان في الدنيا أو في الآخرة، وعلى الظالم إذا دعته قدرته إلى الظلم أن يتذكر قدرة الله عليه وانه أقوى منه وأنه وعد المظلوم بالنصر ووعده كائن لا محالة، وألا يستهين بذلك فكم انتصف الله للمظلوم من الظالم وعاقبه عقوبة شديدة، فالظلم مرتعه وخيم، فكان الظالم عظة وعبرة لغيره من الناس.

والعجيب أن بعض الناس والعياذ بالله لا يرتدع عن ظلمه بل يتمادى بإيذاء هذا وأخذ مال ذاك وحرمان حق ذلك، ولا يعلم المسكين

(١) أخرجه الترمذي في باب صفة الجنة برقم ٢٥٢٦.

(٢) أخرجه البخاري برقم ٢٤٤٨.

أنه يأخذ شيئاً يفنى ويعطي المظلوم حقاً يبقى من حسناته يوم القيامة، بحيث يأخذ هذا من حسناته وهذا من حسناته فإذا فنت أخذ من سيئات المظلومين المعتدى عليهم وطرحت عليه ثم طرح في النار والعياذ بالله.
بل وأعجب من ذلك من يظلم ويتلذذ بالظلم ويستهزئ بالمظلوم، وما ذاك إلا أنه قد عميت بصيرته وحاق به مكره السيئ وحق عليه عقاب الله الذي لا يرد عن القوم الظالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله.



٩٤

مخاطبة الناس على قدر عقولهم

أرسل الله الرسل إلى الناس لدعوتهم إلى عبادة الله وكل ما فيه الخير في الدنيا والآخرة، وتحذيرهم من عبادة غيره، وكل ما فيه الشر دنيا وأخرى، ووهبهم الأساليب المناسبة لدعوة قومهم قولاً وفعلاً ومكاناً وزماناً، وكان محمد ﷺ وهو سيدهم قد أوتي جوامع الكلم وعلم أحسن السبل الدالة إلى هداية الناس لسعادتهم وفلاحهم، وكان عليه الصلاة والسلام متحدثاً بليغاً، ومؤثراً في حال صمته في حركاته وسكناته، وكان يخاطب كل إنسان بما يناسبه ويصل إليه فهمه، قال ﷺ: «**كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون أتريدون أن يكذب الله ورسوله**»[١]، وجاء في الحديث: «**ما حدّث أحدكم قوماً بحديث لا يفقهونه إلا كان فتنة عليهم**»[٢].

وقال عيسى عليه السلام: «لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم، كونوا كالطبيب يضع الدواء في موضع الداء».

إنك تجد بعض الناس لا يجيد فن المخاطبة للآخرين سواء في

---

(١) رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس، عن طريق أبي نعيم، ورواه البخاري موقوفاً على علي، قال الألباني: رواه علي بن أبي طالب وهو ضعيف والموقوف هو الصحيح، ضعيف الجامع رقم ٢٧٠١.

(٢) رواه أبو نعيم في الرياء من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف، ولمسلم في مقدمة صحيحه موقوفاً على ابن مسعود: ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة، مقدمة صحيح مسلم رقم ١٤، نشر الشؤون الإسلامية.

اختيار الأسلوب أو الكلمات التي لا يفهمها المستمع، أو باختيار الوقت والموضوع غير المناسبين، ولهذا فإن لكل مقام مقالاً.

وتجد آخرين وهم قلة قد أوتوا حسن المقال وحسن مخاطبة الناس بما يعرفون ويفهمون، فتجدهم محل قبول ومحبة وتأثير: إن تكلموا استمع إليهم، وإن تحدثوا فهم منهم السامع مرادهم، قد أوتوا الحكمة وفصل الخطاب، وقد ظهر منهم على مدار التاريخ جماعة، وأولهم وهم القدوة الرسل عليهم الصلاة والسلام، ولا يزال من هؤلاء المتحدثين والخطباء بقية في أنحاء العالم من علماء وساسة وقادة فكر ودعاة، فعلى الدعاة والعلماء من المسلمين أن يجتهدوا في ذلك تعلماً وتعليماً وتأدباً لما له من الآثار الإيجابية في القبول والتأثير وحسن التجاوب، سدد الله الخطى ووفق لحسن الخطاب إنه على ما يشاء قدير.



٩٥

حياة المسلم بين الشكر والصبر

الحياة فيها المسرات وفيها المضرات، وفيها الخير وفيها الشر، والمؤمن فيها بين أمرين: إما نعمة من الله وعليه شكرها وقدرها حق قدرها، وإما ابتلاء ونقمة فعليه تحملها والصبر عليها واحتساب أجرها على الله، قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

إن منح الخير من غنى وعز وغيرها، وإنزال الشر من فقر وذل وغيرها ابتلاء واختبار، ليتبين الشاكر على النعم والصابر على المحن والمصائب قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

وقد ورد في الحديث عن صهيب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»**[١].

فغير المؤمن إن أصابته سراء فرح وبطر، وإن أصابته ضراء جزع ولم يصبر؛ لأنه لا يؤمل جزاء على ذلك في غير حياته الدنيا، وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد: **«ومن يتصبر يصبره الله وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر»**[٢].

وقال عمر بن الخطاب ﷺ: «لو أن الصبر والشكر بعيران ما

(١) رواه مسلم برقم ٧٥٠٠، نشر الشؤون الإسلامية.

(٢) أخرجه البخاري برقم ٦٤٧٠، ومسلم برقم ٢٤٢٤.

باليت أيهما ركبت»[١].

وذلك لأنه يعلم يقيناً أنه مأجور على ذلك ومثاب عليه.

والشكر يكون بالقول وبالفعل، ويقال: الشكر ثلاث منازل: لمن فوقك بالطاعة، ولنظيرك بالمكافأة ولمن دونك بالإفضال عليه، والشكر زيادة في النعم وأمان من الغير.

إن النعم التي يجب الشكر عليها كثيرة لا تحصى، وأهمها نعمة الإسلام ثم نعمة الصحة ونعمة المال والأهل والولد وغيرها، والمصائب التي يتم الصبر عليها كثيرة، منها الصبر على طاعة الله، والصبر عن معاصي الله، والصبر على أقدار الله.

قال ابن عقيل في الفنون: النعم أضياف وقراها الشكر والبلايا أضياف وقراها الصبر.

وقال الشيخ تقي الدين بن تيمية: من تمام نعمة الله على عباده المؤمنين أن تنزل بهم من الشدة والضر ما يلجئهم إلى توحيده فيدعونه مخلصين له الدين، ويرجونه لا يرجون أحداً سواه فتتعلق قلوبهم به لا بغيره فيحصل لهم من التوكل عليه والإنابة إليه وحلاوة الإيمان وذوق طعمه والبراءة من الشرك ما هو أعظم نعمة عليهم من زوال المرض والخوف أو الجدب أو الضر.

قال ابن مفلح في الآداب الشرعية[٢]: والله إن مرارة الدنيا حلاوة الآخرة، والعكس بالعكس ولهذا قال ﷺ: «**الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر**»[٣] وقال: «**حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات**»[٤]،

(١) الصاحب، عبد العزيز العقيل ص٧٣.

(٢) الآداب الشرعية، لابن مفلح ٢/١٩٣ ـ ٢٠٠.

(٣) أخرجه مسلم برقم ٢٩٥٦.

(٤) رواه أنس وأخرجه مسلم برقم ٢٨٢٢.

ومعلوم أن العاقل من احتمل مرارة ساعة لحلاوة الأبد وذل ساعة لعز الأبد.

ومما يندرج تحت هذا المسمى الكلام في المفاضلة بين الفقير الصابر والغني الشاكر، فذهب بعض العلماء إلى أن الغني الشاكر أفضل؛ لأن الغني مقتدر والفقير عاجز، والقدرة أفضل من العجز، وذهب آخرون إلى تفضيل الفقير؛ لأن الفقير تارك والغني ملابس، وترك الدنيا أفضل من ملابستها.

وقال ابن تيمية: والصواب في هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، فإن استويا في التقوى استويا في الدرجة[١]. قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه للأشعث: إنك إن صبرت جرى عليك القلم وأنت مأجور، وإن جزعت جرى عليك القلم وأنت مأزور[٢].

فنقول: اللهم اجعلنا ممن إذا أعطى شكر وإذا ابتلى صبر وإذا أذنب استغفر وصلِّ اللهم على خير الشاكرين وإمام الصابرين وسيد المستغفرين وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) غذاء الألباب، للسفاريني ٢/ ٥٤٥.

(٢) الصاحب، عبد العزيز العقيل ص٧٥، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٩٦

الاعتراف بالخطأ فضيلة

خلق الله آدم وأسكنه جنته، ثم عصى ربه بمخالفته ما أمره الله به حيث أغواه الشيطان فأخرجه من الجنة قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ [البقرة: ٣٥، ٣٦].

ثم إن آدم عليه السلام قد اعترف بذنبه وخطئه وتاب وأناب فتاب الله عليه بفضله ورحمته وكرمه، قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [البقرة: ٣٧].

وبنو آدم يخطئون كثيراً في حق الله تعالى، إما بالإشراك به تعالى في عبادته، أو عبادة غيره أو بمعصيته ومخالفة أوامره وفعل نواهيه، ويخطئون كذلك في سلوكهم في تعاملهم مع بعضهم، ولذلك فإن أولى خطوات الرجوع والإنابة الاعتراف بالخطأ ثم يأتي بعد ذلك التكفير عن هذا الخطأ، والتوبة في حق الله والرجوع إليه يشترط لها شروط وهي:

١ - الإقلاع عن الذنب.

٢ - الندم على ما حصل منه من ذنب.

٣ - العزم على ألا يعود إلى هذا الذنب.

والتوبة في حق الناس فيما بينهم لها شروط هي الشروط المطلوبة للتوبة في حق الله وتزيد شرطاً واحداً ولذلك فهي:

١ ـ الاقلاع عن الذنب والاعتراف بالخطأ.

٢ ـ الندم على ما حصل منه من ذنب.

٣ ـ العزم على ألا يعود إلى هذا الذنب.

٤ ـ طلب الصفح والعفو ممن أذنب وأخطأ في حقه.

جاء الإسلام ببيان فضيلة الاعتراف بالذنب، ومن ثم الندم على ما بدر منه والعزم على عدم العودة إلى الذنب والخطأ، وكان يقال: أعجل الذنوب عقوبة اليمين الفاجرة، ورد التائب وهو يسأل العفو خائباً.

إن القدوة لنا في الإقرار بالخطأ هو نبينا عليه الصلاة والسلام، ولعل من ذلك ما حدث للرسول ﷺ: «أن رسول الله ﷺ عدل صفوف أصحابه يوم بدر وفي يده قدح يعدل به القوم فمر بسواد بن غزية حليف بني عدي بن النجار وهو مستل من الصف فطعن في بطنه بالقدح وقال: **استو يا سواد** فقال: يا رسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدني، قال: فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه، وقال: **استقد**، قال: فاعتنقه فقبل بطنه فقال: **ما حملك على هذا يا سواد، قال: يا رسول الله حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك فدعا له رسول الله ﷺ بخير وقال له: استو يا سواد**»[1].

ومن ذلك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذكر في خطبة له عن مهر المرأة وعدم المبالغة فيه، فقامت امرأة وقالت: الله يعطينا وأنت تمنعنا وهو يقول: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾ [النساء: ٢٠]، فقال: صدقت، أصابت امرأة وأخطأ عمر.

ويظن بعض الناس أن الاعتراف بالخطأ ضعف وذلة، فتراه يماري ويجادل ويصر على أنه ليس مخطئاً، بل قد ينفعل ويغضب ويخرج عن

(١) قال الألباني: إسناده حسن إن شاء الله تعالى، السلسلة الصحيحة ٦/٨٠٨.

طوره، وقد يخسر أخاه أو صديقه، وما علم أن اعتقاده ذلك خطأ، وأن الاعتراف بالخطأ خلق كريم، وهو يدل على ثقة المرء بنفسه وعلى قوة إرادته وشجاعته في الاعتراف بخطئه، وذلك يكسبه التقدير والاحترام والمحبة، ويمنحه الطمأنينة وراحة البال والسعادة، كما أنه يدفع صاحب الحق إلى العفو عنه بعد أن قدر عليه، ومن أمثال العرب الحقه: العفو عند المقدرة. وأبلغ من ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠].



٩٧

من لم يصب ظنه أخطأ يقينه

إن الحياة تجارب وعبر يستفيد منها بعض الناس بالنظر في أمورهم وشؤونهم الواقعة والمستقبلية، ويربطون ذلك بما حدث معهم في الماضي، جاء في الحديث: «**اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله**»[1].

وهو يقارن بما وقع أو ينتظر بما مضى ويقيس ما لم يقع بما وقع، وهو فوق ذلك قد أنار الله قلبه وبصيرته ليرى كثيراً من الأمور التي لم تحصل بعد وكأنها قد تحققت، ويوفق في كيفية التعامل معها بالأسلوب المناسب وفي الوقت المناسب. وقد قيل: كفى عبراً لأولي الألباب ما جربوا.

كان عمر بن الخطاب ﷺ معروفاً بفراسته، وقد أصاب كثيراً بظنه الذي لم يخطئ، بل إن القرآن الكريم قد نزل موافقاً لرأيه في عدة أمور منها: تحريم الخمر، وكان ابن الزبير يقول: لا عاش بخير من لم ير برأيه ما لم ير بعينه.

وسئل بعض الحكماء: ما العقل؟ فقال: الإصابة بالظن ومعرفة ما لم يكن بما كان.

ويقال: كل شيء محتاج إلى العقل والعقل محتاج إلى التجارب.

وكان العرب يقولون: من لم ينفعك ظنه لم ينفعك يقينه.

---

(١) رواه أبو سعيد الخدري، وأخرجه الترمذي في سننه برقم ٣١٢٧ وقال: غريب.

وقال أوس بن حجر:

الألمعي الذي يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا

وقال الشاعر:

بصير بأعقاب الأمور كأنما يرى بصواب الرأي ما هو واقع

قال في عيون الأخبار[1]: وفي كتاب للهند: الناس حازمان وعاجز، فأحد الحازمين الذي إذا نزل به البلاء لم يبطر وتلقّاه بحيلته ورأيه حتى يخرج منه، وأحزم منه العارف بالأمر إذا أقبل فيدفعه قبل وقوعه، والعاجز في تردد وتثن حائر بائر لا يأتمر رشداً ولا يطيع مرشداً.

ويروى في هذا الشأن أن معاوية بن أبي سفيان قال لعمرو بن العاص رضي الله عنهما ما بلغ من دهائك يا عمرو؟ فقال: لا أقع في مشكلة إلا خرجت منها، فقال عمرو لمعاوية: وأنت؟ فقال معاوية: أنا لا أقع في مشكلة قط. حيث يدفعها قبل وقوعها بما أوتي من حكمة ودهاء.

فمن منا لا يقع في مشكلة إلا خرج منها بحل مناسب دون أن يترتب عليه نتائج سلبية كما هو قول عمرو، فضلاً عن أن نكون مثل معاوية، وألا نقع في مشكلة مطلقاً حيث يتم تلافيها وتدارك الأمر قبل وقوعها، إن هذا لا يتحقق إلا لمن وهبه الله عقلاً صقلته التجارب، فوفق للإصابة بظنه ورأيه، كيف لا ومعاوية وعمرو من دهاة العرب ومن صحابة الرسول ﷺ، فهم ينظرون بما منحهم الله من صفات متوجة بفراسة المؤمن الذي ينظر بنور الله، وما كان لمعاوية أن يحكم أميراً للمؤمنين مدة طويلة ويتعامل مع كبار الأمة من الصحابة والتابعين والعلماء الأفذاذ لو لا ما منحه الله من حكمة وفراسة وحسن سياسة.

إن كلاً منا يتمنى أن يكون مصيباً بظنه يملك فراسة المؤمن وينظر

---

(١) عيون الأخبار، لابن قتيبة ٣٦/١، دار الكتاب العربي، بيروت.

للأمور بنور الله ولكن لعل وعسى أن تتحقق الأماني؟ أرجو أن نأخذ بالأسباب التي تؤدي لذلك ومنها:

١ ـ الاستفادة مما ورد في ذلك في القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية.

٢ ـ الاطلاع على سير الخلفاء الراشدين ومن بعدهم وفهمها ومحاولة الاستفادة منها.

٣ ـ قراءة ما ورد في كتب العلماء والأدباء مما هو في هذا الباب والعمل على تمثله في حياتنا.

٤ ـ إعمال العقل بعد صقله بالتجارب، وألا ينطلق المرء في أموره دون الاعتبار ومقايسة الأمور ببعضها.

٥ ـ تطبيق ما تعلمه الإنسان وما يراه في حياته العملية في هذا الجانب على شؤونه ومعاملاته مع الناس، وأن يكون ذلك رصيداً يبني عليه ما جد من أموره.



هوية الأمة وكيانها

إن كل أمة لها هويتها وكيانها بين الأمم، وإن الله تعالى لما اختار الإسلام ديناً للبشرية وجعله عقيدة وشريعة ومنهاج حياة، أثبت لهذه الأمة مبادئها ومرتكزاتها التي تكون هويتها وكيانها وهي في تقديري:

١ ـ الأسس والقواعد التشريعية وأصل ذلك القرآن الكريم والسُّنَّة المطهرة، وحفظ ذلك إلى قيام الساعة ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩].

٢ ـ إن الإسلام يتناول كافة شؤون المسلم، فهو عقيدة وشريعة ومنهاج حياة قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، فهو أفضل شريعة شرعها الله وأكملها، وهي تتفق مع الشرائع السابقة في أصل الإيمان والعقيدة وتزيد عليها التشريعات التي تحقق مصالح الفرد والمجتمع والأمة في كل نواحي الحياة.

٣ ـ أرسل الله لها أفضل رسله وهو محمد ﷺ، وجعله خاتم الأنبياء والرسل، وجعل رسالته عامة للناس كافة ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨].

٤ ـ في القرآن الكريم والسيرة النبوية تأكيد على هوية وكيان الأمة وأنها ليست أمة تابعة لغيرها بل هي أمة لها شخصيتها وهويتها وكيانها المستقل عن غيرها، وقد كان النبي ﷺ ينهى عن التشبه باليهود

والنصارى وغيرهم، قال عمر بن الخطاب ﷺ: «نحن أمة أعزنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله».

٥ ـ أنه جعل لها لغة حية وحيوية بليغة في مبناها ودقيقة في معناها، وحفظها لأنها لغة القرآن الكريم، وقد تكفل الله بحفظه فيكون حفظ ما يؤدى إلى حفظه تابعاً لذلك، واللغة مكون رئيسي لهوية أي أمة وكيانها.

٦ ـ أنه جعل لها عبادات تشمل الرجل والمرأة، ووقّتها بأوقات محددة كي يتجه الجميع إلى إلٰه واحد بقلوبهم وأبدانهم، وشرع لها لقاء أسبوعياً عاماً على مستوى العالم الإسلامي لنشر المحبة وتدارس ما يهمهم في أمور دينهم ودنياهم. إنك ترى أن الإسلام يأخذ بأيدي أبنائه ليكون لهم شخصية مستقلة وألا يقلدوا الأمم الأخرى في أي من شؤونهم الدينية، أما الدنيوية فهي متاحة للجميع يأخذ منها الكل وفقاً لمصلحته دون تأثير على هوية الأمة وكيانها.

٧ ـ شرع لها التوجه إلى الكعبة المشرفة في بيته الحرام بمكة المكرمة، يستقبلونها في صلواتهم وزيارتها للعمرة، وقصدها للحج لتأدية المشاعر مع المسلمين بقلوب متحدة مطمئنة ترجو رحمة ربها ونوال مغفرته في هذا المؤتمر العام كل سنة يلتقي فيه المسلمون لتبادل المنافع والمصالح والاستفادة من خبرات بعضهم، وهذا التوجه يؤكد هوية الأمة ووحدة كيانها.

٨ ـ يؤرخ تاريخ الأمة بالتاريخ الهجري، وهو بداية التحول في الأمة الإسلامية وإنشاء كيان ودولة ذات مقومات وأسس لها أبعاد سياسية واجتماعية واقتصادية وغيرها، فعلى الأمة الالتزام بذلك وعدم الانسياق مع الآخرين باعتماد التاريخ الميلادي وذلك باعتماد التاريخ الهجري القمري الذي تعتمد عليه دول مثل الصين، أو التاريخ الهجري الشمسي

إذا كان القصد اعتماد تاريخ لا يتأثر على مدار العام كما هو حال التاريخ الميلادي.

٩ ـ إن الله تعالى جعلها خير أمة أخرجت للناس؛ لأنها تؤمن بالله وتبلغ رسالة الأنبياء، فتأمر بالخير والمعروف، وتنهى عن الشر والمنكر.

١٠ ـ أن دستور الإسلام وهو القرآن الكريم والسُّنَّة المطهرة، قد حفل بكثير من النصوص التي تأمر المسلمين بأن يكونوا كما أمرهم دينهم، وألا يكونوا أتباعاً للأمم الأخرى من يهود ونصارى وغيرهم، وهم بامتثالهم لتوجيهات دينهم يكونون أمة قائدة يتبعها غيرها ولا تتبع أحداً، ذلك أنهم خير أمة أخرجت للناس فيما ينفعهم ديناً ودنيا. ومما ورد من الأحاديث في المخالفة لغير المسلمين والتمسك بالشخصية الإسلامية حديث أنس ﷺ أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يواكلوها ولم يجامعوها في البيوت، فسئل النبي ﷺ فقال: «**اصنعوا كل شيء إلا النكاح**، فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه»[1]، وقد وردت كثير من الآيات والأحاديث النبوية في النهي عن مشابهة الأمم الأخرى من اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم في الأمور السلبية وما يعملونه من مساوئ في عقائدهم وفي تعاملهم وتصرفاتهم، وما ذاك إلا أن الأمة الإسلامية أمة لها شخصية وكيان خاص بها، فهي الأمة التي يجب أن تقود العالم بما حباها الله من مقومات، ولا يجوز أن تكون تابعة ومقودة، كيف وقد وهبها الله ديناً صافياً وعقيدة خالصة وأخلاقاً وسلوكاً تضمن للفرد والمجتمع والأمة سعادتها وفلاحها في الدنيا والآخرة.

إن هذه المقومات التي تجعل كيان الأمة الإسلامية كياناً فريداً مميزاً يجب التمسك بها وعدم التهاون في الأخذ بها فهي هويتنا

---

(١) رواه أنس بن مالك، وأخرجه مسلم برقم ٣٠٢.

وشخصيتنا وكياننا وتنازلنا عنها أو عن بعضها يخلخل الكيان ويطمس الهوية.

١١ ـ إن تاريخ الأمة الإسلامية تاريخ مشرق ومميز في تعاملها مع الأمم والحضارات الأخرى، وهو يختلف كثيراً عن تاريخ غيرها مما أوجد لها كياناً وسمة بارزة لا يدانيها فيها غيرها.

إنك ترى الأمم السابقة واللاحقة تتمسك بشخصيتها وهويتها، فترى مثلاً ألمانيا تتمسك بلغتها وتعتز بقوميتها، وترى اليابان كذلك تفخر بلغتها وتعتز بقوميتها وتتمسك بدينها الذي تؤمن به وليس هو ديناً سماوياً، وغيرهما كذلك في هذا العالم.

وقد حاول أعداء الأمة قديماً وحديثاً النيل من هذه الأسس والمبادئ والأركان للأمة تارة بإبعادها عن دينها، وتارة بالنيل من لغتها، وأخرى بالتعدي على نبيها عليه الصلاة والسلام، وقد تأثر بهم بعض من أبناء الأمة ممن لم يدركوا أهمية التمسك بكيان الأمة وهويتها، أو أنهم ظنوا ووهموا أن التقدم والتطور إنما يكون بالتنازل عن هذه المكونات كما يريده الأعداء، ولكنهم لن يدركوا مبتغاهم بحول الله، فقد انتبه كثير من أبناء الأمة لما يراد بهم وأقبلوا على التعليم والثقافة وبث الوعي بين أفراد الأمة كي تتمسك بهويتها ومصدر عزها وكرامتها وتكون أمة واحدة كما أرادها الله ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [المؤمنون: ٥٢] وفق الله أبناء الأمة للفقه في دينهم والعمل بما فيه كي يسعدوا في الدنيا والآخرة، ويتبصروا بما يخطط له من لا يريدون لهذه الأمة النماء والتطور والتقدم، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين.





حفظ النعمة من الزوال

قد أنعم الله علينا في هذه البلاد وغيرها وخاصة دول الخليج العربي نعماً عظيمة وآلاء جسيمة يجب شكرها وتقديرها حق قدرها؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

فالزيادة مقرونة بالشكر فبالشكر تدوم النعم، ونقص النعم أو زوالها مقترنة بجحودها ونكرانها.

إنك ترى أثر تلك النعمة من الأعمال الخيرة بذلاً وعطاء للجمعيات الخيرية ومساعدة المحتاجين، ونطمح إلى بذل المزيد من ذلك.

ولكنك ترى في المقابل من لم يرع النعمة ولم يحافظ عليها، فمنهم من يبذر ويسرف في مأكله ومشربه ومسكنه، ومنهم من يتجاوز حد الاعتدال في مناسباته وحفلات أفراحه من زواج وغيره، ومن العجب أن كثيراً ممن يعمل ذلك من متوسطي الحال، بحيث تكون مناسبات الأفراح عندهم سبباً لصرف المدخرات ـ إن وجدت ـ ولتراكم الديون، كل ذلك سعياً وراء المظاهر والمباهاة الفجة، وإني إزاء ذلك أدعو إلى التقيد بما يأتي:

١ ـ الإيمان بالله تعالى وتقواه سبب رئيسي في تنزل البركات وزيادة الخير، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

٢ ـ شكر الله تعالى على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، وقيدها بالاقتصاد وحسن التصرف، فبالشكر تدوم النعم بل تزيد ويباركها الله.

٣ ـ البعد عن الإسراف في استعمال النعم وجحود المنعم فإن الإسراف والجحود عنوان ذهاب النعم وزوالها ومحق بركتها.

٤ ـ الاقتصار في الحفلات على الكفاية فقط بعيداً عن المظاهر والمفاخر التي لا طائل تحتها بل هي مذمة عند الله ومكروهة وممجوجة عند العقلاء.

٥ ـ التقليل من التكاليف الأخرى في الزواج من أثاث ورياش وشبكة وشهر عسل وغيرها لأنها تثقل كاهل الزوج وتنغص عليه حياته، وليس لها فائدة حقيقية تعود على الزوجين، بل هي مباهاة ومفاخرة قد تكون سبباً في عدم توفيق الزوجين في حياتهما، إما بوقوع الحسد والعين، وإما بالخلاف بين الزوجين على أمور تقوم على المظاهر التي لا يقرها الإسلام، بل ونهى عنها إذا كانت تعود بالضرر، وما أحسن اليسر والبساطة في المناسبات من زواج وغيره، كما كان قدوتنا ﷺ وصحابته ومن بعدهم يتعاملون به دون كلفة أو مشقة.

٦ ـ في الشكر وحفظ النعم التقدير والمحبة من الناس وهو ما ينزله الله في قلوب البشر منحة منه لمن قيد النعم بالشكر والحفظ، وهذا ما ينشده كل امرئ عاقل.

٧ ـ في الإسراف وإهانة النعم زوالها، إما بافتقار من يصدر منه ذلك، أو أن ينزع الله البركة من ماله أو من أسرته أو من صحته، فيصبح يعاني في هذه الحياة، وهو قد يشعر أو لا يشعر في السبب الذي أوصله إلى ما هو فيه.

٨ ـ وضع الآلية المناسبة للاستفادة من بقايا النعم وخاصة في حفلات الزواج وغيرها وإيصالها إلى المحتاجين، وليس هذا هو الحل

والعلاج لمشكلة الإسراف ولكنه من باب الضرورة، وهذا هو ما تقوم به بعض الجمعيات في هذه البلاد وغيرها والعمل على نشرها في أنحاء البلاد والدعوة إلى التعاون معها تحقيقاً لأهدافها.

٩ ـ التوعية عن طريق المساجد وفي الجمعة خاصة، وعن طريق وسائل الإعلام المتعددة بأهمية شكر النعمة والبعد عن الإسراف فيها، حفظاً لها من الزوال، وأن تكون المأكولات في المناسبات بما يكفي فقط.

١٠ ـ أن يكون أهل الحل والعقد من المجتمع من علماء وأمراء وأعيان قدوة للناس في الاقتصاد والبعد عن المباهاة والمظاهر، بحيث تكون مناسباتهم وأفراحهم في الزواج وغيره من الحفلات مثالاً يحتذى في البساطة واحترام النعم وقيدها بالشكر.

والله الهادي إلى سواء السبيل.



لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد

يرى المسلم المنقاد لأمر الله تعالى كثيراً من الناس من مختلف الشعوب والأمم، ممن لا يؤمنون بالله وقد ازدهرت حالتهم من حيث الصحة ورغد العيش والرفاه في المسكن والمركب، ويرى غيرهم ممن آمن بالله وأطاعه في أعماله واجتنب نواهيه يعيش في شح من العيش وقلة ذات اليد، فعلى المسلم ألا يتأثر بذلك، ولكن ليزدد إيماناً بأن الحياة الدنيا تكون للمؤمن وغيره قال تعالى إجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام في مكة المكرمة: ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ١٢٦].

وقد زينت الدنيا للكافرين فاقبلوا على متعها الزائلة وبذلوا لها كل المستطاع ليدركوا تلك الملذات، بل ويسخرون من المؤمنين وما هم عليه من الإيمان، وأنهم لم يدركوا من حظوظ الدنيا مثل ما أدركوا هم منها وهذا ضلال مبين، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٢]، فالحياة الدنيا ابتلاء وامتحان وإنما الفضل كل الفضل للمؤمنين الذين اتقوا ربهم وفازوا بالنعيم المقيم.

وقد استفدت من ذلك ما يأتي:

١ ـ أن من سنن الله الكونية أن الدنيا وما فيها من متع عامة للبشر والمخلوقات، وهي رزق، والله يرزق المؤمن به والكافر، فليست الدنيا

دار جزاء ومثوبة، وإنما الجزاء والمثوبة على الإيمان والأعمال الصالحة في الآخرة.

٢ ـ أن المتع في هذه الحياة مهما بلغت في المأكل والمشرب والملبس والمركب وغيرها فإنها زائلة ومتاع قليل لا قيمة له بالنسبة للآخرة.

٣ ـ أن الغنى والتمتع بالخيرات في الحياة الدنيا كما هو متاع للكافر فإنه جائز للمؤمن إذا عرف حق الله فيها مصدراً ومورداً وإنفاقاً.

٤ ـ أن للرزق أسبابه فمن أخذ بها فإنه ينال نصيبه منه سواء أكان مؤمناً أم كافراً.

٥ ـ أن الدنيا على أهميتها من حيث كونها مزرعة للآخرة واكتساب الأعمال الصالحة التي يثاب عليها المؤمن، فإنها لا تساوي شيئاً إذا قورنت بالآخرة، وقد جاء في الأثر: «**لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء**»(١).

٦ ـ أن جزاء المؤمن على إيمانه وأعماله الصالحة يكون يوم القيامة، فيثاب عليها بالجنة والنعيم المقيم قال تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾ [آل عمران: ١٩٨].

أما الدنيا فليست دار جزاء وثواب وإنما هي عمل وجهاد وإنتاج.

٧ ـ أنه قد يوهب للمؤمن في الدنيا صحة وسعة ورزق وطمأنينة وانشراح صدر وذلك بسبب أعماله الصالحة وهذا فضل من الله ومن الثواب المعجل له ببركة إيمانه وأعماله الصالحة، ويثاب على ذلك في الآخرة بالجنة قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ

---

(١) رواه عبد الله بن عمر، قال الخطيب البغدادي: غريب جداً ـ تاريخ بغداد ٣١٣/٤.

﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧].

٨ ـ إن من المتع في الحياة الدنيا ما يمنح لغير المؤمن جزاء على أعماله الخيرة التي أداها ولم تكن مبنية على الإيمان بالله، فيهبه الله المال والجاه والصحة والمتع الأخرى لأن الله تعالى لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

روى ابن جرير أن النبي ﷺ قال: «**ما أحسن من محسن وقع ثوابه على الله**»(١).

وفي رواية البزار: «**ما أحسن من محسن مسلم أو كافر إلا أثيب**»، قالوا: يا رسول الله هذه إثابة المؤمن قد عرفناها فما إثابة الكافر؟ فقال ﷺ: «**إذا تصدق بصدقة أو وصل رحماً أو عمل حسنة أثابه الله، وأن يأتيه المال والولد في الدنيا وعذاب دون عذاب عقاباً في الآخرة وقرأ**(٢): ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]».

وإعطاؤه ذلك في الدنيا حتى لا يبقى له عمل قد يطلب ثوابه من الله يوم القيامة لأنه بني على غير أساس صحيح قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣].



(١) رواه ابن عباس قال أبو نعيم: تفرد به الهيثم عن حفص، حلية الأولياء ٧/ ٢٨٣.
(٢) رواه عبد الله بن مسعود، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان ١/ ٢١١.

١٠١

الهدايا وأثرها في تأليف القلوب

منذ عاش الناس في هذه الحياة وهم يتقلبون بين حب وكره وصداقة وعداوة، فإذا أرادوا كسب القلوب وزيادة المودة سلكوا طرقاً وأساليب تؤدي وتوصل لذلك ومنها الهدايا: وهي تقديم المُهدي إلى من ينشد وده وقربه شيئاً يدل على محبته له وتقديره له، وكان ذلك سائداً بين الأمم، فلما جاء الإسلام حث على الهدايا، لما فيها من زيادة المحبة ونشر المودة والقضاء على الخصام والعداوة، فجاء في الحديث: «**تهادوا تحابوا فإن الهدية تفتح الباب المصمت وتسل سخيمة القلب**»[1].

فكان المسلمون يتهادون أنواع الهدايا تنفيذاً لتوجيهات نبيهم وتحقيقاً للأهداف السامية من الهدية.

وليست الهدية بحجمها وثمنها ولكن بمعناها ومغزاها وهي على أنواع:

فإن كانت الهدية من الصغير إلى الكبير مكانة فكلما كانت الهدية لطيفة ورقيقة ورمزية كانت أبهى لها، وإذا كانت من الكبير إلى الصغير مكانة فكلما عظمت وجلت كانت أوقع لها وأنجح، فإذا لم يجد المرء ما يهديه فليكن منه تلطف حسن. قال رجل لأبي الدرداء: إن فلاناً يقرئك السلام، فقال: هدية حسنة ومحمل خفيف.

---

(١) رواه أبو هريرة. قال الحافظ العراقي في تخريجه أحاديث الإحياء للغزالي: إسناده حسن ٢/ ٥٣. ورواه مالك في الموطأ في حسن الخلق ١٦.

وكتب رجل إلى صديق له: وجدت المودة منقطعة ما كانت الحشمة عليها متسلطة، وليس يزيل سلطان الحشمة إلا المؤانسة ولا تقع المؤانسة إلا بالبر والملاطفة.

أهدى الطائي إلى الحسن بن وهب قلماً وكتب إليه:

قد بعثنا إليك أكرمك اللَّه — بشيء فكن له ذا قبول
لا تقسه إلى ندى كفك الغمـ — ـر ولا نيلك الجزيل
واغتفر قلة الهدية مني — إن جهد المقل غير قليل

إن الهدايا قد تختلف من زمان لآخر ومن مكان لغيره، لكن يبقى أن هدايا الورود والزهور والطيب تناسب كثيراً من الناس، ومن الهدايا المناسبة الكتب والأقلام وما خف حمله وغلا ثمنه دون مبالغة، وتلك تكون من الهدايا المتلقاة بالقبول عند الناس، وتؤدي دورها في تأليف القلوب ونشر المحبة والمودة، كما أن رد الهدية وتبادلها مع المهدي يزيد في أواصر العلاقة ويقويها، ولو أن يكون ذلك بالكلام الطيب والرد الجميل، كما ورد «**من صنع إليكم معروفاً فكافئوه فإن لم تستطيعوا فادعوا له**»[١]، وأرى أن تكون الهدايا وسيلة وسبباً لنشر المودة والمحبة بين أفراد المجتمع بعيداً عن المبالغة كمّاً ونوعاً، نسأل الله أن تعم المحبة والمودة بين الناس إنه سميع مجيب.



(١) رواه أبو داود والنسائي بإسناد صحيح، كشف الخفاء ومزيل الإلباس، إسماعيل العجلوني ٢/ ٢٩٤ ورقمه ٢٣٦٨. بلفظ: «**من أسدى إليكم**».

الخاتمة

بدراسة واستقراء البحث واستخلاص ما جاء فيه من نتائج يتبين ويتأكد:

١ ـ أن سعادة الإنسان إنما هي بتقوى الله والعمل الصالح والأخلاق الحميدة والسلوك المستقيم، فمن قام بذلك فهو السعيد حقاً في حياته وبعد مماته، ومن أخل بذلك فهو الشقي وتكون شقاوته حسب تفريطه في القيام بذلك.

٢ ـ أن الحياة الدنيا قصيرة مهما طالت في نظر الإنسان، وسيفارقها الإنسان يوماً ما فليعد نفسه لتلك اللحظة، وليتزود من الأعمال الصالحة التي سيجد جزاءها عند الله.

٣ ـ على المرء أن يبذل جهده ووقته في التحصيل العلمي في التعليم إلى أعلا الدرجات، وفي القراءة والاطلاع في مصادر العلم والثقافة، وفي الاتصال برواد العلم الذي قد تخصص فيه، وغيرهم ممن يمكنه الاستفادة منهم في بناء خبرته المعرفية والعلمية.

٤ ـ أنه لا غنى للإنسان عن توفيق الله في أموره كلها، فقد يريد شيئاً والله يقدر غيره، وحينها فعلى الإنسان ألا يكره، فالخيرة فيما اختار الله، ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

٥ ـ إن حصول المرء على رصيد جيد من العلم والخبرة والتجربة يعد مكسباً جميلاً، ولكن الأهم من ذلك أن يؤثر على شخصيته وواقعه كي يكون قدوة لمن حوله.

٦ ـ أنه منذ ظهور الإسلام وقف المشركون والمنافقون واليهود والنصارى للصد عن دين الله، وهم يتعاونون في سبيل القضاء على الإسلام والنيل منه ويتآمرون عليه في كل مناسبة وحين، ولكنهم لن يستطيعوا لأنه دين الله وقد حفظه قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾ [الصف: ٨، ٩].

إن على المسلمين أن يفهموا دينهم وأن يطبقوه واقعاً في حياتهم، وأن يتعاونوا في تحقيق مصالحهم وأن يعرفوا أعداءهم ومخططاتهم كي لا تؤثر فيهم، وعلى العلماء منهم بالذات أن يبينوا خطأ معتقدات الأعداء وضلالهم عن طريق المقارعة بالحجة والفكر والعقل، فالإسلام دين العقل، وفيه ما يضمن سعادة البشرية وفلاحها دنيا وأخرى.

٧ ـ أن اليهود أمة تنظر إلى غيرها من الأمم سواء أكانوا مسلمين أم مسيحيين أم غيرهم نظرة دونية، فهم يرون أنفسهم شعب الله المختار والناس كلهم خدم لهم، كما يرون أن قتل غير اليهودي أو سبي ماله وأرضه مباح لهم، وذلك يظهر من كتبهم المحرفة، ومن توجيهات حاخاماتهم الذين يضلونهم، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥].

والواقع الحالي خير شاهد على ذلك وما تخفي صدورهم أكبر، وعليه فإن ما جاء في القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية وسيرة المصطفى ﷺ في تعامله معهم رداً على سوء معاملتهم ونقضهم العهود، كلها تؤكد غدرهم وأنهم لا يحترمون العهود والمواثيق، ولذلك فإن على المسلمين في هذه الفترة التي لا يملكون فيها القدرة والإرادة في استرداد حقوقهم أن يصبروا ويحافظوا على عزتهم وكرامتهم، وألا يسعوا خلف اليهود لعقد اتفاقية سلام، فإن اليهود لن يعقدوا اتفاقية إلا إذا كانت لمصلحتهم

بالكامل، ولو عقدوها ثم رأوا مصلحة لهم في نقضها فإنهم سينقضونها دون تردد، وإنما يمكن عقد الهدنة معهم حتى يأذن الله بالنصر والغلبة للمسلمين، وذلك يتحقق بحول الله إذا استعدوا بالقوة العلمية والمعنوية والمادية، ويومئذ يتحقق وعد الله ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر: ٥١].

٨ ـ أنه لن يتحقق للمسلمين نهضة أو تطور إلا بأمرين:

أحدهما: الإيمان بالله والتمسك بالأخلاق الحميدة والسلوك القويم وتأدية ما يفرضه الإسلام من أعمال.

ثانيها: العمل بجد واجتهاد للأخذ بأسباب النهضة وإعطاء العلم أهمية بالغة في تعليمه وتشجيع منتسبيه وتوفير الإمكانات اللازمة وأن يكون اندفاع المسلم لعمله من منطلق أنه عبادة يثاب عليها، فيؤديها بكامل وقتها بدءاً ونهاية بكل جد وإخلاص وتفان وإتقان.

٩ ـ أن هوية الأمة هي عنوان عزتها وكرامتها، ومن هوية الأمة المحافظة على ما فيه ميزتها وخاصيتها من التمسك بالقرآن الكريم والسُّنَّة وما شرع فيها للمسلم، ومنها اللغة فعلينا أن نتمسك بها في كل شؤوننا تعليماً وعملاً، فاللغة العربية من أفضل اللغات ألفاظاً ومعاني ودقة في التعبير وشمولاً في الوصف، ولن تنهض أمة النهضة الحقيقية ما لم يكن تعليمها وأعمالها بلغتها الأم، وخير مثال على ذلك واقع بعض الدول كاليابان والصين وكوريا وغيرها التي اعتمدت لغتها أساساً للتعليم والتعامل فحققت النهضة، وواقعنا وما نحن فيه من تأخر، وهذا يتطلب العناية بترجمة العلوم والمعارف من اللغات المختلفة إلى اللغة العربية أولاً بأول وإقامة المراكز المتخصصة للترجمة والدراسات.

أرجو أن يكون فيما قدمته لك أيها القارئ الكريم فائدة تنير لك

الطريق، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه، وصلى الله وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.





المراجع والمصادر

١ ـ **الآداب الشرعية**، لمحمد بن مفلح المقدسي، مكتبة العاصمة الحديثة ١٣٩١هـ.

٢ ـ **آداب الكسب والمعاش**، محمد جمال الدين القاسمي، دار الكتب العلمية ١٤١٥هـ.

٣ ـ **إحياء علوم الدين**، لأبي حامد محمد الغزالي، مكتبة الحلبي بمصر ١٣٥٨هـ.

٤ ـ **الأحكام السلطانية**، للقاضي لأبي يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلي، مطبعة الحلبي بمصر، الطبعة الثانية ١٣٨٦هـ.

٥ ـ **الأخلاق في الإسلام**، د. عبد اللطيف محمد العبد، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة.

٦ ـ **الأربعون النووية للنووي**، الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ.

٧ ـ **الأشباه والنظائر في قواعد وفروع الشافعية**، لجلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٨ ـ **أصول الفقه الإسلامي**، د. بدران أبو العينين بدران. مؤسسة شباب الجامعة ١٩٨٤م.

٩ ـ **اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم**، تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية، دار الفكر.

١٠ ـ **الأمالي**، لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، دار الكتب العلمية، لبنان.

١١ ـ **البيان والتبيين**، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، دار الفكر للجميع ١٩٦٨م.

١٢ ـ **التشريع والفقه الإسلامي تاريخاً ومنهجاً**، مناع القطان مكتبة وهبه بمصر.

١٣ ـ **تهذيب الأخلاق لابن مسكويه**، مكتبة صبيح، القاهرة ١٣٧٨هـ.

١٤ ـ **تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمٰن ناصر السعدي، دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

١٥ ـ **جامع بيان العلم وفضله**، أبو عمر يوسف بن عبد البر القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

١٦ ـ **الجامع الصغير**، لجلال الدين السيوطي (٨٤٩ ـ ٩١١هـ) دار الفكر، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠١هـ.

١٧ ـ **الجامع لأحكام القرآن**، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة ١٣٨٧هـ.

١٨ ـ **خطاب إلى الغرب (رؤية من السعودية)**، إعداد مجموعة من العلماء والمثقفين السعوديين، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

١٩ ـ **خطاب الغرب رؤية من السعودية مجموعة من العلماء والمثقفين**، مؤسسة غيناء للدراسات، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

٢٠ ـ **ديوان الشافعي**، مكتبة الكليات الأزهرية ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.

٢١ ـ **سنن أبي داود**، سليمان بن الأشعث السجستاني المتوفى ٢٧٥هـ، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٢٢ ـ **سنن ابن ماجه**، محمد بن يزيد القزويني (٢٠٧ ـ ٢٧٥هـ) دار إحياء التراث العربي.

٢٣ ـ **سنن الترمذي**، محمد بن عيسى الترمذي (٢٠٠ ـ ٢٧٩هـ) دار السلام بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

٢٤ ـ **السنن الصغير**، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، نشر جامعة الدراسات الإسلامية باكستان، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٢٥ ـ **سنن النسائي**، أحمد بن شعيب النسائي (٢١٥ ـ ٣٠٢هـ) دار السلام بالرياض ١٤٢٠هـ.

٢٦ ـ **شرح العقيدة الطحاوية**، للعلامة ابن أبي العز الحنفي، المكتب الإسلامي بدمشق الطبعة التاسعة ١٤٠٨هـ.

٢٧ ـ **الشريعة الإسلامية تاريخها ونظرية الملكية والعقود**، د. بدران أبو العينين بدران، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية.

٢٨ ـ **الصاحب**، عبد العزيز العقيل، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٢٩ ـ **صحيح البخاري**، محمد بن إسماعيل البخاري، دار السلام بالرياض، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ.

٣٠ ـ **صيد الخاطر**، لأبي الفرج عبد الرحمٰن بن علي بن محمد بن الجوزي، دار الفكر، دمشق.

٣١ ـ **عيون الأخبار لابن قتيبه**، دار الكتاب العربي.
٣٢ ـ **غذاء الألباب لشرح منظومة الآداب**، محمد السفارينى، مطبعة الحكومة ١٣٩٣هـ.
٣٣ ـ **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية**، محمد علي الشوكاني، مطبعة مصطفى الحلبي بمصر، الطبعة الثانية ١٣٨٣هـ.
٣٤ ـ **كشف الخفا ومزيل الإلباس بما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس**، إسماعيل بن محمد العجلوني ١١٦٢هـ. مؤسسة الرسالة، بيروت.
٣٥ ـ **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، للحافظ نور الدين علي بن أبي نكر الهيثمي المتوفى (٨٠٧هـ)، دار الريان للتراث، القاهرة.
٣٦ ـ **مجموع الفتاوى**، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ.
٣٧ ـ **المدخل الفقهي العام**، د. مصطفى أحمد الزرقاء، مطبعة طربين دمشق عام ١٣٨٧هـ.
٣٨ ـ **مسند الإمام أحمد**، المكتب الإسلامي ودار صادر بيروت.
٣٩ ـ **المعجم الفلسفي**، مادة (الحياء).
٤٠ ـ **المغني عن حمل الأسفار في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين**، للحافظ عبد الرحيم العراقي، حاشية على الإحياء للغزالي، مكتبة مصطفى الحلبي بمصر.
٤١ ـ **المغني لابن قدامة**، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي (٥٤١ ـ ٦٢٠هـ) هجر للطباعة، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
٤٢ ـ **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، تأليف محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، توزيع دار الإفتاء بالسعودية.
٤٣ ـ **الموسوعة العربية العالمية**، الطبعة الثانية، الناشر مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ١٤١٩هـ.
٤٤ ـ **الموسوعة العربية الميسرة**، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان.
٤٥ ـ **الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب**، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن قيم الجوزية، توزيع دار الإفتاء السعودية.
٤٦ ـ **وسم على أديم الزمن**، د. عبد العزيز الخويطر، مؤسسة الجريسي بالرياض.

فهرس الموضوعات

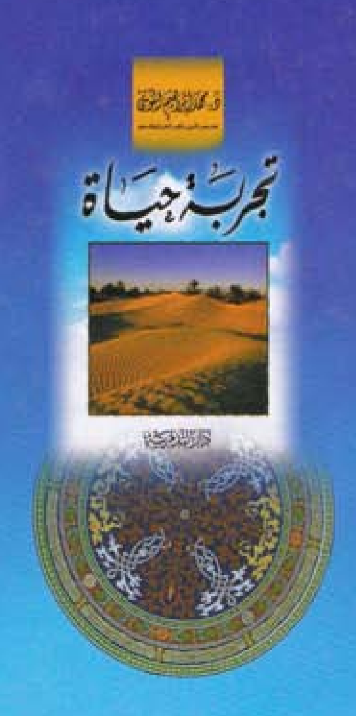
الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة




رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com


تجربة حياة